٨١١ر٥
م٠ ح

المنح المكية فى شرح الهمزية ، تاليف ابن حجر الهيتمى ، أحمد بن محمد ـ ٩٧٤ هـ . بخط أحمد بن أحمد أبى العنايات بن عبد الرحمن المعروف بالعناياتى ٩٨٩ هـ .

٤٨٤١

٢٤٧ ق ٢٣٠ س ١٤×٢١ سم

نسخة جيده ،خطها نسخ حسن ، طبع

الظاهرية (الشعر) : ٣٨٩ كشف الظنون ٢ : ١٣٤٩

١ـ الشعر، العصر التركى والمملوكى ، أدب اللغة العربية أ ـ المؤلف ب ـ الناسخ جـ ـ تاريخ النسخ د ـ أفضل القرى لقرا أم القرى هـ ـ شرح الهمزية .

الحمد لله على نعمائه

سأل سائل التقدير

إلى ملك العبيد الفقير

محمد بن عبد القادر بن محمد

الدين عامله الله بما يرضاه

في دنيا وأخراه

أمير الكبير

ملكه الفقير المحتاج
عبد الله الأستاذ
غفر له

كتاب شرح الهمزية لابن البحر المكي نعمه الله تعالى

برحمته ورضوانه

وأسكنه فسيح جنانه

لمحمد وآله

أمير

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"

الرقم: - ٤٨٤١ ف ٢٠٠ ١ ٢ --

العنوان: المنح المكية في شرح الهمزية -

المؤلف: - ابن حجر الهيتمي - - - - -

تاريخ النسخ: - - ٩٨٩هـ - - - - -

اسم الناسخ: محمد بن أحمد بن عبد الصادق - -

عدد الأوراق: ٤٧٥ ق - - - ٣٤٤ - ٣٤٤

ملاحظات: - - - - - - - - -

- - - - - - - - - -

شرح المنزية لابن حجر

بسم الله الرحمن الرحيم رب اختم بخير

الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب اخرس الفصحا واعجز البلغا عن النقوه بمثل اقصر سورة من سوره بل اية من اياته وبجوامع الكلم وبدايع الحكم وعظيم الخلق في سايرا قواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات ابهرت العقول وقصرعن احصائها استقصا المادحين لسيرو اياته وبخصوصيات قطعت الخلايق عن ان يصلوا للثناء عاله وكمال شرفه وشرف كما لانه وبامته سطع عليها بدر وجوده وفي افق سعوده وفاض عليها فايض جوده في عالم شهوده فانار من اخلاقها وعقولها وكمل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وراض ما استصعب من اياتها واغاض ما استراب من بوايها ماصارت به خير الامم والعدول الشهود علي من عليهم تقدم نص القران القطعي البرهان القاصم لظهور المعاند وترهاته واوجب علي الكافة غاية تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب فحماهم بلحظه واسعافه وامداداته واشهد ان لا اله الا الله وحد لاشريك له شهادة انتظم بها في سلك عناياته واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبوء منه بخوارق حباته والمفوض اليه امداد الانبيا والمرسلين والملايكة المقربين بمعالي القرب وبياناته صلى الله عليه وسلم وعلي اله واصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زايغ وتحريفاته وهداة الخلق الي الصراط المستقيم باوضاح كلياته وجزيئاته صلاة وسلاما دايمين بدوام نعم الله تعالي على خواصه واهل طاعاته وبعد فمما يتعين علي كل مكلف ان يعتقد كمالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاتحصى وان احواله وصفاته وشمايله لا تستقصى وان خصايصه ومعجزاته لاتجتمع قط في مخلوق وان حقه علي

العلم

وقد ذكرنا فيما سبق وبيانا لاحسانه واحواله عليه وخصايصه ومعجزاته ودلايله ذهب الناس في هذه الاعصار كل مذهب واظهروا كل عجيب

ان

الكمل فضلا عن غيرهم اعظم الحقوق وانه لايقوم ببعض ذلك الامن بذل وسعه في اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء منابته ومآثره وحكمه واحكامه وان المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا الا الي الاقل من كل لاحد لنهايته وعيض من فيض لا وصول الي غايته ومن ثم كان ابلغ بيت هنا المطلع الاتي كما يعلم مما ياتي فيه وفي بردة المديح قوله فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم ثم يليه دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم ثم يليه فبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم فان النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن كل ما يتعين من ذلك كيف واي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة عن صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول ما احيا الشعراء اليوم بمدحه من بعد ما مدحت حم تنزيل الكتاب فعلم انه لو بالغ الاولون والاخرون في احصاء منابته لعجزوا عن احصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان المسلم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض ذخرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه مفرد

وعلي نفس واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحقيق بقول القايل نعم ما قاله رحمه الله

فما بلغت كف امرء متناول من المجد الا والذي نال اطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحة لاحمد الا والذي فيه افضل

ولابن الخطيب الاندلسي رحمه الله عليه

مدحت آيات الكتاب فما عسى يثني علي علياك نظم مدبج

واذا كتاب الله اثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

وقد روي العارف المحقق السراج عمر بن الفارض السعدي في النوم
فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال رضي الله عنه

• ارى كل مدح في النبي مقصرا • وان بالغ المثني عليه واكثرا •
• اذا الله اثنى بالذي هو اهله • عليه فما مقدار ما تمدح الورى •

قال البدر الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي
تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه
عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني وان جلت دون مرتبته
والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق
على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قلا من كثر **هذا** وان من ابلغ ما مدح
به صلى الله عليه وسلم من النظم البديع الرائق واحسن ما كشف عن كثير
من شمائله من الوزن المنيع الفائق واجمع ما حوته قصيدته من مآثره
وخصايصه ومعجزاته واوضح ما اشارت اليه منظومته من بدايع
كمالاته ما صاغه صوغ البر الاحمد ونظمه نظم الدر والجوهر

الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المفنن المحقق البليغ الاديب
المدقق امام الشعرا واشعر العلما وبليغ الفصحا وافصح الحكما الشيخ
شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله
صنهاج بن هلال الصنهاجي ولد سنة ثمان وستمايه واخذ
عنه الامام ابو حيان والامام النحوي ابو الفتح بن سيد الناس ومحقق
العصر العز بن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست او سبع وتسعين
على ما قاله المقريزي لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه سنة
اربع وتسعين كان احد ابويه من بوصير الصعيد والاخر من دلاص
قرلبت الكنيه فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها
بلد ابيه فغلبت عليه **وكان** من عجايب الدهر في النظم والنثر

دلو

ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التي قيل انه انشدها
رمده بعد نظمها فراي النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فمسح عليه
شيئا منها فنقل في عينيه فبرا لوقته لكفاه ذلك شرفا كيف
وقد ازدادت شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها في البيوت
والمساجد كالقران وكان بعاني صنعة الكتابة على الحمامات وبالشر
بيليس الشرقيه ثم ترك ذلك **وصحب** القطب ابا العباس المرسي
رضي الله عنه وارضاه وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه
فعادت عليه بركته وساعد حظه وهمته الى ان فاق اهل
زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه
فرحمه الله ورضي عنه **من** قصيدته الهمزيه المشهورة العدة
الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني
العديمة النظير البديعة التحرير اذا لم يلتبس احد على منوالها ولا وصل
الى علي حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي المولود سنة
ست وعشرين وسبعمايه المتوفي سنة احدى وثمانين وسبعمايه
فانه مع جلالته ومطالعته من العلوم النقليه والعقليه وتقدمه
على اهل عصره في العلوم العربيه والادبيه لاسيما علم البلاغة
ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه ومره ونهايته من
بدايته اراد ان يحاكيها ففاته الشبه وانقطعت به الحيل عن
ان يبلغ من معارضتها ادنى ارب **وذلك** لطلاوة نظمها وحلاوة
رونقها وبلاغة جمعها وبداعة صنعها واملاء الخافقين بانوار
جمالها وادحاض دعاوي اهل المكابرين ببراهين جلالها فهي دون
نظايرها الاخذ بانمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول
والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمايل الكريمة على سنن

توفي رحمه الله سنة اربع وتسعين

قطع اعناق افكار الشعرا عن ان تشرئب الى محاكاة ملك المحكمات
والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على
اخر وضرب على اخر من حيث فن القوافي وكالايطا وهو تكرير
لفظ القافية بمعناه قبل سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفا وهو
اختلاف حرف الروي والاقوا وهو اختلاف حركته **لكنها** وان
شرحت وتعاودتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور
مانع يجلو لمع ابكارها على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر
مخبات اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها
عما قد يوجب القصور والعثار ويبنه على نفايس فرايدها وينوه
بجلالة عرايس فوايدها ويغرب عن غرايب تعقيدها ويفصح من فنون
بلاغتها وبدايع تانيقها وتشييدها **فاستخرت** الله تعالى في شرح
لذلك وان كنت لست هنالك ولجيا ان اندرج في سلك خدمة جنابه
صلى الله عليه وسلم وان اطوق لشبه سوابغ مدده ولحظه الاعظم
ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا سايرامري اليه وسايلا
منه بدايع الطافه وتتابع لحافه وتيسير هذا المطلب ولنجاح هذا
المارب انه الجواد الكريم الروف الرحيم **وسميته** المنح المكيه
في شرح الهمزيه **ويلغبني** ان الناظم سماها ام القري لتشبيهها لها
بمكة بجامع انها حوت بطرق التصريح والايما ما في اكثر المدايح
النبويه وحينيذ **سميته** افضل القري لقرا ام القري وقد بين
شارحها الامام المحقق في العلوم الالهية والشرعية الشمس الحوجري
شيخ مشايخنا رحمه الله وشكر سعيه بحرها وعروضها وضربها وقافيتها
وما يدخلها من العلل والزحاف بما اطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى
هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لايحتاج الا لمجرد التذكير

ومن

ومن لا يعرفه يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير
وخلاصة شئ منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزا
سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن وقد يدخله الخبن
في مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه احف بل وفي
جميع اجزايه فيحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف
سابعه من البعض او الكل عن السابع اذ لا توقف على متحرك وهو صالح
وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تفقد صورة الوتد
فيصير مفعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفه ووقع في كثير
من ابيات هذه القصيده وهو من جملة الزحاف وان اجري مجرى
العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف
واحد متحرك اذ ليس هنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة
التي هي الروي والقافيه قيل اخر كل كلمة من البيت والاصح انها
من اخر كلمة حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الاتي
على الاول لفظ سما وعلى الاصح من الميم منه **وسترى** كنز ما اعاه
الناظم من انواع البديع لاسيما الاقتباس القراني لكن فيه كلام
منتشر وخلاصة الحق منه انه مجمع علي جوازه كما قاله بعض المتاخرين
المطلعين **قال** وقد استعمله العلماء فاطبة في خطبهم وانشائهم
واستكثر قوم جهلا بالنصوص والنقول فقد استعمله النبي
صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث والصحابة والتابعين والعلما
قديما وحديثا نصوا في كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية
امتناعه يرده استعمال مالك رضي الله عنه له ونص علي جوازه غير
واحد منهم عبد البر وعياض **وقد** نقل الشيخ داود المناخلي
اتفاق المالكيه والشافعيه على جوازه **وفي** شرح مجمع البحرين

لابن الساعاتي التصريح بجوان ولافرق بينه بين ان يزاد على لفظ القران اوينقص منه اويغير اعرابه اولا قال السكاكي اعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولايمكن وصفه في استقامة الوزن وكالملاحة ولاطريق لتحصيله لعيزدوي الفطر السليمة الا التمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لايدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ولايمكن اقامة الدليل عليه كما ان الجوادون في المحاسن قد تكون احلى منها في العيون والقلوب ولايدرك سبب ذلك ولكنه يدركه بالذوق وللناس ولاهل الذوق ليسوا الا الذي اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسايل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك سن ية وملكة تامة فاليه يرجع في فضل بعض الكلام على بعض ويكون علم المعاني والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر الكلام وتسميته بالمعاني والبيان حادثة من المتاخرين كما اشار الى ذلك الكمال بن الانباري وغيره وقد حصلت رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم رحمه الله من طرق متعددة منها بل اعلاها التي اروها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المتاخرين ابي يحيى زكريا الانصاري الشافعي عن العز ابي محمد بن الفرات عن العز بن عمر بن البدر بن حماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر بن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقيني والسراج بن الملقن والحافظ بن الدين العراقي عن العز بن جماعة رحمهم الله تعالى عن الناظم واروها ايضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة منهم السبتي بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن علي بن عبد الله الحنبلي كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم

وقد

وقد راعى امرين مهمين احدهما البداءة بالبسملة للحديث الحسن والصحيح كل امر ذي بال اي حال يهتم به لايبداء فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم اي مقطوع البركة ولاتنافيه رواية الحمد لله لان القصد البداءة باي ذكر كان كما افادته رواية لايبداء فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة بيان افضل الذكر لاعيز ومن ثم ابتدي القران بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لايبداء فيه بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم والمعلومات فهي احق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتخير الحسن وتناسب المعاني وعدم تعلق البيت بما بعده وليس ايضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال في النظم والنثر بان يكون مبداء الافتتاح على ما بني ذلك النظم والنثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول ابي تمام

• السيف اصدق انباء من الكتب • في حده الحد بين الجد واللعب •

لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لايخفى على متامل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الى اخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله در من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه بمثله قال رضي الله عنه

كيف ترقى رقيك الانبياء ياسماء ماطاولتها سماء

كيف هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط والاستفهام على الفتح لخفته وترد للشرط وخرج عليها نحو بيغ كيف يشاء وجوابه

محذوف لدلالة ما قبله عليه والاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا
وهو كيف زيدا وغيره اذ هي للانكار المنسوب بالتعجب المتضمن للنفي كما
يعلم مما يأتي وكما في الاينما الاتيتين ويقع خبرا قبيل ما لا يستغني نحو
كيف انت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد اي على اي حالة
تربي الانبيا رقيك اي لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه لفاظ ظرف
فوضعها نصب دايما وتقديرها في اوعلى اي حال وجوابها المطابق
على خير ونحوه وانكر ذلك الاخفش والسيرافي فواضعها رفع المبتدا
نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد اصحيح زيد ونحو كيف
جاء زيد راكب جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحو **قال** ابن مالك
لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر
بقولك على اي حال لكونها سوالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها في
تاويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليها مجازا **قال** ابن هشام
وهذا حسن انتهى وعلم من قوله لكونها الى اخره انه يستفهم بها عن
حال الشئ لا عن ذاته **قال** الراغب وانما يسال بها عما يصح ان يقال
فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكلما
اخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه
للمخاطب والتوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله
قوما **وفرق** الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سوال تعويض
لاطلاقه فكان الله تعالى في الاية الاولى فوض الامر اليهم في ان يجيبوا
باي شئ اجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سوال حصر وتوقيت فانك
تقول اجدك راكبا ام ماشيا فتوقت وتحصر ومعنى الاطلاق
ما قاله صاحب المفتاح كيف سوال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال
كلها والكفار حين صدور الكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدى الحالتين

اى ص١٩

اما

اما عالمين بالله اما جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله افاد
انى حال العلم تكفرون ام في حال الجهل هذا معنى التفويض في الاية
تربي رقيك الحبي فاضبه مكسور القاف من رقي المسلم
وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسرا قبيل
الهجرة الى السما الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي سمع فيه تصاريف
الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع
الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك
مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي في رقي بالفتح وهو التنقل من كل
صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى اكمل واعظم وهكذا الى
ما لا غاية له ففي كلامه استعماله المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة
والمجاز وهو الاصح عندنا في الاصول وعلى مقابلة المنقول عن الاكثرين
يكون هذا من عموم المجاز **الانبياء** جمع بني نعيل بمعنى فاعل او
مفعول بهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر مخبر ومخبر عن الله تعالى
او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او من نوع الربتة على غيره من الخلق
وهو ذكر من بني ادم حر سالم من منفر لعمي وما وقع ليعقوب وشعيب
عليهما السلام لم يكن عمى حقيقيا اوحي اليه بشرع ولم يومر بتبليغه
فان امر فرسول ايضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله
على الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الادمي
كالملك والجني الا مقيدا ومنه جاعل الملايكة رسلا الله يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غير في الاول
اذ هو فيه ايحاء ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال المعني
بما يوصله اليه **فان قلت** لفي رقي الانبيا رقيه لتصريحهم بان
الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما هو في رقي كل منهما رقيه

ولم تف عبارته **قلت** ممنوع بل هي وافية بل مصرحة به لان
قوله ما طاولتها سماء صريح في نفي رؤية الكل كما يعلم مما يأتي في
شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه اراد بالانبيا
هنا ما يشمل الرسل على ان المحقق ابن الهمام نقل في مسايرته
ان المحققين على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك
وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة
في عدد الانبيا والرسل وسيأتي بعضها **تنبيهات** منها ما صرح به
كلامه لما مر في معنى كيف انه استفهام متضمن لمعنى رؤيتهم كرؤيته وللتعجب
ممن يستشكل في ذلك وهذا اولى ممن قال وللتعجب من وقوعه لوقوعه
من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي بمعنييه السابقين
وانه المنفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع اما الاول فواضح واما
الثاني فلذلك عند من تامل اي القران وما اشتملت عليه اما تصريحا
او تلويحا من الاشارة الى افاقه قدره العلي عنده وان لا مجد يساوي
مجده **وقال** المفسرون في ورفع بعضهم فوق بعض درجات
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا الابهام
من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه
العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن ثلاث الدرجات
ان اياته ومعجزاته اكبر وابهر اذ ما من معجزة لنبي قبله الا وله مثلها
او ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات لم يقع
نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القران فانه لا تتناهى معجزاته
ولا تنقضي اياته وان امته ازكى واكثر وخير واظهر من بقية الامم
بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة يستلزم خيرية نبيها
وافضلية دينها اذ لا شك ان خير نبيهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال

بينهم وان صفاته اعلى واجل وذاته افضل واكمل كما يصرح به قوله
تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة
ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان يأتي بجميع ما فيهم من
الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم **وفي** حديث الشفاعة
العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منهما واعترافه بانه ليس لها اهلا
التصريح بذلك ايضا ولفظ الحديث الصحيح انا سيد ولد ادم وفي رواية
انا اكرمكم على ربي **وفي** حديث الترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيمة
ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي وهو صريح في دخول
ادم لحديث البخاري وغيره انا سيد الناس يوم القيمة وحديث انا
سيد العالمين صححه الحاكم **واعترض** وبذلك يعلم افضلية الملائكة
لان ادم افضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتي على الاثر
ليس لاحد من الملائكة وحديث الترمذي الحسن كما بينه البلقيني في
فتاويه رد على الترمذي وانا اكرم الاولين والآخرين وهذا صريح
في شموله للانبياء والملائكة جميعهم وحديث **قال** ادم يا رب اسالك
بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي الحديث وفيه انه تعالى
قال يا ادم وكيف عرفته ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتني بيدك اي
قدرتك الباهرة ونفخت في من روحك اي سرك العجيب الذي لا
يعلم حقيقته غيرك رفعت راسي فرايت على قوايم العرش مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب
الخلق اليك **قال** الله صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي وادع
سالتني بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم
واعترض لكن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وله حكم المرفوع لولا محمد
ما خلقت ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش

على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن وفي روايات اخر لولاه ما خلقت السماء ولا الارض ولا الجو
ولا العرش ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا
شمسا ولا قمرا وصح انا اول من تنشق عنه الارض فالبس الحلة من
حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس لاحد من الملائكة يقوم ذلك
المقام غيري وفي رواية ذكرها السراج البلقيني في فتاويه انه تعالى
قال له قد منت عليك بسبعة اشياء انك اول نبي لم اخلق وفي السموات والارض
خلقا اكرم علي منك وفي اخرى ذكرها ايضا ان جبريل قال له ابشر فانك
خير خلقه وصفوته من البشر حياك الله عالم يحيى به احد من خلقه
لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن بحير وهو من علماء
اهل الكتاب الذين لا يقولون شيئا الا عن هذا سيد العالمين وصح
ايضا عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل امام اهل الكتاب بسنة ادته
صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة امورا منها وانا اكرم
خليقة الله على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فان الملا
ضحك فقال للسائل يا بن اخي هل ترى ما الملائكة انما الملائكة
خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وساير الخلق
التي لا تعصي الله شيئا وان اكرم الخلق على الله تعالى ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم وبين السراج البلقيني ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك
فانه من اجل الصحابة فلا يقوله الا عنه صلى الله عليه وسلم او مما صح من
التوريه قال و اختيار البلقيني والحليمي افضلية الملائكة يمكن
حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا جزم بعض تلامذته او على
تفضيل في نوع خاص اي لانه قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا توجد
في الفاضل ثم قال ولا يظن باحد من ائمة المسلمين ان يتوقف في

افضلية

افضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك ساير الانبياء واطال في الخطا
والرد على من توقف في ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا معرفته
وهذا الزعم باطل فان هذا من مسايل اصول الدين الواجبة الاعتقاد
على كل مكلف والبيان بسوق ادلتها وايضاحها على كل ممن تاهل لذلك
وقد صح في الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتامل قوله مما سواهما
تجده ظاهرا بل صريحا في كل ما ذكرناه ومنها ما افاده كلامه من جواز
التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة
فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان
بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني على الانبياء
لا تخيروا بين الانبياء فهي اما قبل علمه بالتفضيل وانه افضلهم واما محمولة
على التواضع لتصريحه بالتفضيل او على تفضيل يودي الى تنقيص او الى
نقص من مقام احدهم وعليها يدل سياق الحديث او على التفضيل
في ذات النبوة او الرسالة فانهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون
فيه وانما يتفاوتون في زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات
والكرامات وزعم حملها على التفضيل بارائنا ليس في محله لان تفضيل
ذلك بالراي المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه
واما الحديثان الصحيحان ما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب فحكمة التخصيص
فيهما بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف
محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول
يونس صلى الله عليه وسلم الى قعر البحر اي لا تتوهموا من هذا التفاوت
الصوري تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل النسبة كل اليه واحد

وان تفاوت مكانيهما لتعاليه عن الجهة والمكان فهو نهي عن تفصيل
معيّد بالمكان لا مطلقا **ومنها** ان قوله الا النبيا يشمل من عرف
منهم ومن لم يعرف **قال** فقالي منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك **واختلفوا** في عدد من عرف منهم والمشهور فيه ما في
حديث ابي ذر رضي الله عنه عند ابن مردويه في تفسيره **قال** قلت يا
رسول الله كم الانبيا قال ماية الف واربعة وعشرون الفا **قلت** يا
رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير **قلت** يا
رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال يا اباذر واربعة سريانيون
ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم
واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا اباذر واول بني
من بني اسرايل اي من بعد اولاد اسرايل وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم **واولهم**
موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك **وروى** هذا
الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم
وصححه لكن خالفه ابن الجوزي فذكره في موضوعاته واتهم به ابراهيم
ابن هشام **قال** الحافظ ابن كثير ولاشك انه تكلم فيه غير واحد من
ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم **وروي** ابو يعلى
كان ممن خلا من اخواني من الانبيا ثمانية الا ان نبي ثم كان عيسى بن مريم
ثم كنت انا **يا** حرف ندا للبعيد او للقريب المنزل منزلته وهو هنا
اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق وتسامى **سماءً**
بالتنوين والنصب لانها نكرة وهي موصوفة وهي من حيز التشبيه
بالمضاف فتنصب لاغير على الاصح وقال الكسائي يجوز فيها النصب
والضم وفصل الفرا فاوجب النصب اذا كان العايد من الصفة اليها
ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا والضم اذا كان ضمير خطاب

كيا رجل ضربت زيدا الا باتي الخلاف في النكرة المقصودة وهو قول الاعمى
لانيادي مطلقا والمازني لايتصور ندا وها لانه يقتضي الاقبال عليها
وعدم قصدها يقتضي عدمه قال وما جاء منونا منها فضرورة والكوفيون
شرط صحة ندايها ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها نحو يا ذا هبا
والمنع ان لم يكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة حيث لم
توصف النكرة بمفرد او جملة او ظرف والاجاز ندا وها مطلقا اتفاقا
فان قلت ما هنا نكرة مقصودة فطعا كما يعلم مما باتي وموصوفة
بجملة ماطا ولتها سماء كما تقدر وحكمها متناف فان قصدها يوجب
بناءها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقدر فما المغلب
منهما حينيذ **قلت** لم ار للنحاة في هذه الصورة نصا وانما اطلقوا
في المقصودة البنا وفي الموصوفة النصب ومفهوم هما متخالف اذ اطلاق
الموصوفة يقتضي انه لافرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة
يقتضي انه لافرق بين الموصوفة وغيرها لايقال الوصف يستلزم القصد
ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لابدع ان الاعمى
يقول يا رجلا صالحا خذ بيدي من عيزان يقصد احدا بعينه ولكن لابعد
ان يدار الامر في نحو هذه الصور على نظر الناظر فان اعتبر الوصف
اجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه وهو ان يجوز تنوينها
للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء ضمه او الاولى النصب
فالخليل وسيبويه والمازني على الاول على ما كان او نكرة مقصودة وعيسى
ابن عمر والجرمي والمبرد على الثاني ردا الى اصله كما رد غير المنصرف الى
الكسر عند تنوينه في الضرورة **واختار** ابن مالك في شرح التسهيل
ابقاء الضم في العلم والنصب في النكرة المعينة لان شبههما بالمضمر
ضعيف وبعض المتاخرين عكسه وهو اختيار النصب في العلم لعدم

الالباس فيه والضم في النكرة المعينه ليلا التلتبس بالنكرة غير مقصودة
اذ لافارق حينيذ الا الحركة لاستوايهما في التنوين اذا تقرر ذلك
فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثاني والثالث النصب
و الذي اقول انه ان الضم متعين هنا على الكل لان الظاهر خلاف
ما توهمه الراي الرابع ان محل الخلاف حيث لا الباس يتولد منه محذور
وهنا النصب يترتب عليه محذور لايهامه ان السماء الاولى نكرة
غير مقصودة وحينيذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لا يصح مطاولتها
نكرة غير مقصودة ايضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما
هو المراد هنا اذ هي اسم جنس يشمل سايرالاجرام العلويه فان هذه
بهذا المعنى التي لايطاولها سما اي مرتفع غيرها لانه لم يوجد في هذا
الوجود ارفع منها **ما** نافيه **طاولتها** اي غالبتها في الطول والارتفاع
سماء وهذا الشطر الثاني كالدليل للشطر الاول اذ المقدر لم يرتق
احد منهم ارتقايك الحسي ولا المعنوي وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم
وصفاتهم باسرها ادنى الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات **قال**
تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الاية صريحة في
فضلهم على جميع الملايكة بل الخلق اذ العالم سوى الله وانما جمع العقلا
تغليبا لهم **وفيه** استعارة لفظ السماء الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم
والثاني لبقية الانبيا لان السماء اعلا ما يرى من الاجرام المحسية كما
انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقا الملايم للمستعار منه
لم يساووك في علاك وقد حاولت سناء منك دونهم وسناء
لم يساووك مستانف على ما ياتي فيكون من اسلوب الحكيم او حال
من فاعل ترقى **في علاك** جمع علياء تانيث الاعلى من علي بالفتح يعلو
في المكان وعلي بالكسر يعلي وعلى بالفتح يعلى علاء في الشرف

قال

قال الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم نفي المساواة وكان المعنى
لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه عين فقال العالم يلزم من نفي المطاولة
نفي المساواة اشار الى نفيها وان كان يوخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح
نفي رقي احد منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه
تاكيد واطناب فقط على ان لذكر فايدة اخرى هي البرهان عليه بطريق
اخر وحينيذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول
والبرهان عليها في الشطر الثاني ثم اعادها بمعناها في اول البيت الثاني
والبرهان عليها بما في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته **وقد حال**
اي حذر ومنع جملة مستانفة او حالية من الفاعل او المفعول وقدهنا
واجبة الذكر او المقدر عند البصريين قالوا لتقرب الماضي من الحال واعترضهم
المحقق السيد الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بان هذا غلط
منه وسببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال
الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات ولا ترد بانهما وان تغايرا
كلهما متقاربان كما هو شان الحال وعاملها وحينيذ لزم من تقريب
الاولى تقريب الثانية المقارنة لها في الزمن فتامله فانه مهم اذ تغليط
اولئك الايمة الذين لا يخصرون مع امكان تاويل كلامهم تساهل وافتيات
الشارح على الاول بعيد كتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل
يساووك القريب وان كان ممكنا والاول اولى لما فدمته ان هذه
الجملة كالبرهان او التعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحاليه تفيد
ذلك هنا ايضا على انها الظاهر المتبادر **سنا** بالقصر اي ضوء
عظيم ظاهر **منك** خصك الله به ومن مجاز عن علوم القران المحيطة
بعلوم الاولين والاخرين وغيرها التي اختصه الله بها وامره ان يباله
بانه يزيد منها وهذا مقتبس من تسميته تعالى للقران نورا في ايات

كنين من كتابه نحو وابتعوا النور الذي انزل معه وعما اختصه الله بتعالي
به من جمال ظاهر بما اتاه من الحسن في خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف
عليه السلام فضلا عن غيره كما اخبر به صلي الله عليه وسلم وفي خلقه بما
ابان الله تعالي رفعته فيه الي الغاية بقوله عز قايل وانك لعلي
خلق عظيم وهذا مقتبس من تسميته تعالي لنبيه نورا في نحو لقد
جاكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلي الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان
الله تعالي يجعل الكلا من حواسه واعضايه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك
وتفضل الله عليه به ليزداد شكرا وشكرا مته علي ذلك كما انا امرنا بالدعاء
الذي في اخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله به لذلك **ومما** يويد انه
صلي الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشي في الشمس والقمر لا يظهر له
ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلي الله عليه وسلم قد خلصه الله تعالي
من سايرالكثايف الجسمانيه وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل اصلا خرقا
للعادة كما خرقت له في شق صدره وقلبه مرارا ولم يتاثر لذلك **دونهم**
وسناء بالمد اي رفعة عظيمة او بيتها لم ينته اليها مخلوق اي انتفت
مساواتهم له لمانع منهم عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور
وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد الي ادني تساويهما فضلا عن كماله وفي
جعله هذين حاجزا استعارة بتحريديه كما ان في جمعهما الجناس المذيل
ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا او طرفا وهو ان يماثل اللفظان
وينفرد احدهما بزيادة حرف في اخره كقولهم العادل العاد وهو احد
اقسام الجناس الناقص ومنها نحو الساق والمساق ويسمي بالمردوف لان
حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه الجناس ونحو داه ودواه ويسمي بالمكتنف
لان حرف الزيادة مكتنف اي متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف
باكثر من حرف نحو من ما من وليسمي متوجا ونحو جهد ومجاهد وحوي

وجولخ سماه في التلخيص مذيلا واهل البديعيات علي ان الزايد
من اخر حرف او اكثر يسمي مذيلا ومن اوله كذلك يسمي مطرفا **تنبيه**
الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وقايدته الميل الي الاصغاء
اليه فان مما تله الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا اكثر منه
الناظم رحمه الله في هذه القصيدة وربما تركت التنبيه علي كثير منه
في محله استغناء بظهوره او تقدم التنبيه علي نظايره ومع كون
الجناس يوجب الميل والاصغا فمحل مراعاته مالم تعارضه قوة المعني
وتمكنه مع فقد والالم تراعي ومن ثم قال تعالي وما انت بمومن لنا
ولو كنا صادقين فلم يقل مصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معني قولك
فلان مصدق لي انه قال لي صدقت ومعني مومن لي ان صدقني واعتني
والمقصود الثاني لا الاول فترك الجناس لذلك وترك ايضا في ادعون
بعلا وتذرون احسن الخالقين اما لان التحسين تحسين وانما يستعمل
في مقام الوعد والاحسان لا في مقام التهويل اولان بدع احض من يذر
لانه ترك الشي مع سبق الاعتنا به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا
معتنين بالهة الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فعين
تذرون مبالغة في التشنيع عليهم لانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم
واسنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر عناية بعض الادبا في قوله
لو قال تدعون لراعي الجناس وبقيت اجوبة اخر ليست بذاك فلذا
تركتها وفي قوله وقد الي اخره التذييل وهو ان يوتي بعد اتمام الكلام
بجملة تشتمل علي معناه بجري مجري العلة لتوكيد ما قبلها وتحققه كقوله
تعالي وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول النابغة
اي الرجال المهذب بعد ولست بمستبق الي اخره **تنبيه** ثاني سيمر بك
ذكر استعارات بليغة تحتاج الي معرفتها في هذه القصيدة فلا باس

بالاشارة الي شيء مما يتعلق بها وحدها المجاز تضمن تشبيه ما
عني به بما وضع له فهي بجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له
لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرايت اسدا يرمي ثم ما قصد
اشتراك لفظيهما المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة
الطيران للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة او لا كاستعارة الاسد
للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع
اقسام كثيرة باعتبار ان كلا اما عقلي او اما حسي ثم اللفظ المستعار ان
كان اسم جنس ولو تاويلا كعلم اشعر بوصف سميت اصلية او فعلا او
مشتقا منه بان يقصد به المعنى القايم بالذات او حرفا فتبعه لان الاستعارة
تعتمد التشبيه المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه المشبه او مشاركا
للمشبه به فيه وانما صلح لموصوفيه الحقايق اي الامور الثابتة دون منا
الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلايم احد طرفيها سميت مطلقة
او بما يلايم المستعار منه فمرشحة وهي ابلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي
التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان
وجه التشبيه فيه منتزعا من عدة امور تسمى استعارة تمثيلية كما يقال
للمتردد في امرين اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى وبقي من اقسامها الاستعارة
بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان
غير داخلين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشيء
من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه
به سمي ذلك المشبه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة
تخييلية لانه تخيل ان المشبه من جنس المشبه به قال

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له

الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص امر باخر بطريق
مخصوص ويعبر عنه ايضا بانه اثبات العلم المذكور ونفيه عما سواه
وينقسم الي قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي واما
مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب اي لا صفة له غير ذلك وهو
كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شيء
في القران والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة
لا يتعداها الي التبري من الموت الذي استعظمتم فهو لاز كونه من شان
الاله وانكرتموه افان مات اله وترد عليهم ايات كثيرة نحو انما العلم
عند الله انما يأتيكم به الله والله اعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان
مفاد انما قام زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قايم
اثباته له ونفي غيره عنه **مثلوا** اي صور الانبيا او الواصفون لشمايلك
وهو الاقرب وان لم يجر له ذلك لانه معلوم على حد حتى توارث بالخلف
صفاتك جمع صفة وهي ما دل على معنى زايد على الذات محسوس كابيض
ومعقول كالعالم **للناس** من الانس فتختص ببني ادم فاصله الاناس
حذفت همزته تخفيفا لا لتعويض ال عنها لجمع بينهما او من نوس اذا
تحرك فبعض الجن كذا قيل **والذي** في القاموس الناس يكون من الانس
ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزين ادخل عليه ال ثم قال وناس
الابل سقيها واناسه حركه **ك** نعت لمصدر محذوف مفعول
مطلق لمثلوا اي تمثيلا مثل **ما** مصدرية **مثل النجوم الماء** اصله
موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما
يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى
على ان الضمير للانبيا ان ما شاركهم فيه من الصفات وان كملت ولم يصل
لادناها غيرهم لانها فيه بلغت من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه

حقيقه كالنجوم الحقيقيه المرئية من غير حايل وبينهم كصور النجوم التي
ترى في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم
على هذا المجاز عقلي كقول الموحد ابنت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك
الى ما علم من حال الانبيا انهم نعتوا صفاته الكريمه لاممهم وصوروها
لهم لكنهم مع ذلك لم يتصوروا كنهها لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا
اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد
صورها لا عينها وفي هذا من البلاغة في المدح ما لا يخفى لان الانبيا
مع كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك حقايق صفاته العليه كان عجزهم
اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما ياتي في قوله الا بشرت في مهابك
الانبياء لان ذاك في مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان صفات
ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان كرروا الاوصاف وتفننوا
في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما
وصلوا اليه ان ادركوا الرايح منها وعجزوا عن ادراك شيء من حقايقها كما
ان غاية من يري النجوم في الماء انه يدرك مباديها اوصافها ويعجز عن
ادراك حقايقها وقد شرح الناظم رحمه الله هذا بقوله في قبرة للمديح
اعيى الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة الدليل ايضا بناء
على المعنى الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفي المساواه بل في
الحقيقه القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ولما
قرر ان ما اوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها ولا احقايقها اراد ذلك تقريرا
وتمكينا في النفوس فقال رحمه الله عليه

انت مصباح كل فضل فما تصدر الا عن ضوئك الاضواء

انت ايها العلم المفرد الذي لا يساوي بل ولا يدانى مصباح اي سراج
وهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا كل اسم موضوع لاستغراق

افراد

افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم
القيمة فردا واجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة
قلب الى متكبر اي على كل اجزايه وقراءة التنوين لعموم افراد المقلوب ثم
ان لم يكن نفيا للنكرة ولا توكيدا لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جاز ت
اضافتها وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت
لمنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شيء فعلوه وعلى كل ضامر
ياتين او لمعرف جاز مراعاة لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة معناها
وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث
وقعت في حيز نفي بان سبقتها اداته او فعل ينفي نحو ما جاء كل القوم وكل
الدراهم لم اخذ ثم يتوجه النفي الى السلب شمولها فتفهم اثبات الفعل
لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور
مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم
الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى الله
عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن يوجه الى كل فرد فرد كذا
ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لنفاسته وكثرة
الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ فضل وكمال برز لغيرك
في الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر
ادم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما انا قاسم والله يعطي وخبر لو كان
موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا
من وراء وراء اشر التشبيه بالسراج على الغمر لانه يقتبس منه الانوار
بسهولة وتخلفه فروعه فتهتدي بجذه ووجه التشبيه ان نور صلى
الله عليه وسلم يظهر للاشيا المعنوية كنور البصر بدور السراج يظهر
المحسوسه كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر من المعقول من حيث

هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج
لكونه محسوسا فلا نيا في ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بلا نسبة
ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما في قوله تعالى المن يخلق كمن لا يخلق
واذا تقرر ان كمالات غيره المشبه بالاضواء مستمدة من كماله الذي هو
الضوء الاعلى فسبب ذلك ما تصدر اي يبرز في الوجود ضوء بيضاء
عن ضوء احد مطلقا الا ضوءك فانت المخصوص بانك الذي يبرز عن
ضوءك الذي اكرمك الله به الاضواء كلها من الايات والمعجزات وساير
المزايا والكرامات وان تاخر وجودك عن جميع الانبيا لان نورك
بنبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد
الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شيء
خلقه الله قبل الاشيا قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشيا نور نبيك
من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في
ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا
شمس ولا قمر ولا جن ولا انس فلما ان اراد الله تعالى ان يخلق الخلق
قسم ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح
ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول
السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم
الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني
نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد
لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح حديث اول ما خلق الله القلم
وجاء باسانيد متعددة ان الماء لم يخلق شيء قبله ولا نيا فيان ما في الاول
في نور نبينا لان الاولية في غيره نسبة وفي حقيقته فلا تعارض وفي
حديث عبد بن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر

الف

الف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى ادم جعل ذلك النور في ظهره
فكان يلمع في جبهته فيغلب على ساير نوره الحديث وصح حديث متى كنت
نبيا وكتبت نبيا قال وادم بين الروح والجسد وليس المراد من ذلك التقدير
لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العليه بثبت بها ذلك الوصف
دون غيرها في عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالمعنى
عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تاييد لما قيل انه تعالى لما خلق
نور نبيه صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى نور الانبيا عليهم الصلوة
والسلام فغشيهم من نوره ما انطفهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا
نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبياء قالوا
امنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى من
الشاهدين وفي هذه الاية كما قاله التقي السبكي من التنويه بقدره
العلي ما لا يخفى ومع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم وان
امتهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلائق فهو نبي الانبيا وكذا كانوا فيما
كلهم يوم القيمة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وفيه استعارة المصباح
للفضل المبني على تشبيه بيت واسع يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه
استعارة بالكناية بتبعها استعارة تخييليه واستعار السراج الذي يستمد
منه الاضوا لنبينا صلى الله عليه وسلم لانه الذي يستمد منه الكمالات
باسرها واشار على القرين لانه يستمد منه الاضوا بسهولة وتخلفه
فرعه فتتمحى من بعده والضوء الذي هو اعلى من النور بدليل جعل
الشمس ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مكنيه بجامع ان
كلا من الضوئين المعقول والحسي يهدي الى المقصود وايضا الكمالات
الدينيه تنور الظاهر والباطن قال يخاطبه صلى الله عليه وسلم

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء

لك لالغيرك ذات اصلها مونث ذي المقتضية لموصوف واللازمة للاضافة غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها فقالوا ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته كما هنا وكما في قول حبيب رضي الله عنه وذلك في ذات الاله العلوم جمع علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما او الادراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض وحد بحدود اخر كلها مدخول له ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال الله عارف لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شانه ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين قال الراغب من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء في الروع او تخلق العلم الضروري او بسماع الكلام النفسي من فيض عالم الغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى الفاعل اي الغايب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فما لكل من عالم الشهادة لا المفعول اي المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وحض بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الايه لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والاخرين في الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزييات فلانبيا في ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التي قال فيهن صلى الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله لانها جزييات

اليقين ح

معدودات لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبيا والاولياء من ذلك ما لا يمكن رده لاسيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتي بسط جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في شرح قوله وكم اخرج خباء له الغيوب خباء وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة او اخر الكتاب ومنها اي العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسما لادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم واصله لأدم لكنهم لينوا النانيه تخفيفا وجعلوها في التصغير واوا نظرا لتليينهما من الادمة بالسكون او الفتح او من اديم الارض كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وورد عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من بديع جماله وان يوسف عليه السلام كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر بوديا القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب واجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطلقوا على التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق وصح خبر ان ادم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسريانية الاسماء مبتدا موخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف ايضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم مما قبله لان ادم مبين لله تعالى على الملايكة بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلايهم عليه بزعمه ومدحهم بقولهم لجعل فيها الى اخره فربما توهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا اذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان ادم لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم بها وان الحاصل لنبينا

هو العلم بحقايقها ومسمياتها ولاريب ان العلم بهذا اعلى واجل من
العلم بمجرد اسمايها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة
بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير ذلك ان المقصود
من خلق ادم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود
بطريق الذات وادم بطريق الوسيله ومن ثم قال بعض المحققين انما
سجد الملايكة لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي فى جبينه
ثم ماسلكه الناظم ان ادم اعلم اي باحدى الطرق السابقه ادعاء للاسما
فقط اي الالفاظ الموضوعة بان الاعيان والمعاني هو الوارد عن ابن
عباس رضى الله عنهما فقيل علم الاسماء الموضوعه بكل لغة وعلمها اولاد
فلما افترقوا فى البلاد وكثروا واقتصر كل قوم على لغته وهذا بقوى ما
هو الاصح فى الاصول ان اللغات كلها توقيفيه وقيل انما علم لغة
واحده لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالمواضع وبقابل
ماسلكه الناظم قولان **احدهما** انما علم مدلولها لان المزية فى العلم
انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات وبمنافعها لا بمعرفة ان اسماها كذا
وكذا **قال** بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد
من اللفظ لان نوطه باسماء هولاء وما بعد ظاهر او صريح فى الاسما
فقط ومعنى ثم عرضهم اي الاعيان لانها التى تعرض دون الاسما انما ابرزت
اليهم ليخبروا باسمايها فلا تايد فيه لكون العلم للمسميات خلافا لمن زعمه
ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين
مقتضى اللفظ والمعنى ولما ذكر شرف ذاته وترفيه صلى الله عليه وسلم
بما يبهر العقول انتقل الى ذكر شرف نسبه كذلك فقال مستانفا

لم تزل فى ضمايرالكون مختارلك الامهات والاباء

لم تزل حال كونك **فى ضمايرالكون** اي الوجود وضمايره مستودعاته

الجنة

الخفية من الاصلاب والارحام **مختار** اي تصطفى **لك الامهات** جمع
ام وهى الوالدة وان علت واصلها امهة لجمعه على امهات قيل امهات
للادميات وامات لغيرهن **والاباء** جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت
واو تخفيفا اي كما طابت ذاتك بما اودعته من الكمال الاعلى كذلك طابت
نسبك فلم يكن فى امهاتك من لدن حوى الى ابيك عبد الله الا من هو
مصطفى مختار ومناهيك بذلك حديث البخاري بعثت من خير قرون
بنى ادم قرنا فقرنا حتى من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان الله
اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وحديث الترمذي بسند
حسن ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقهم ثم خير القبايل فجعلنى
من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلنى من خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا
اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وحديث ان الله اختار الخلق
فاختار منهم بنى ادم ثم اختار من بنى ادم العرب ثم اختارنى من العرب
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب
ببغضى ابغضهم **واعلم** ان ادم ولد من حوى اربعين ولدا فى عشرين
بطنا الا شيث وصيته فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه
وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه بوصية ابيه له ان لا يضع هذا
النور الذي كان بجبهة ادم ثم انتقل الى شيث الا فى المطهرات
من النسا ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الى ان وصل ذلك
النور بجبهة عبد المطلب ثم ولد عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب
الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الاحاديث كحديث البيهقى فى
سننه ما ولدنى من سفاح الجاهلية بشئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام
وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المراة تسافح الرجلين ثم يتزوجها

المكتبة المركزية والأرشيف
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السايب ابن الكلبي عن ابيه
قال كنت للنبي صلى الله عليه وسلم مابة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيا مما كان في امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر
خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي
لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شي وابو نعيم لم يلتقي ابواي قط على
سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة
مصفا مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وابن مردويه
قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من انفسكم بفتح الفاء
وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس من اباي من لدن ادم سفاح
كلها نكاح **تنبيه** لك ان تاخذ من كلام الناظم الذي علمت ان الاحاديث
مصرحة لفظا في اكثرها ومعنى في كلها انا ابا النبي صلى الله عليه وسلم
غير الانبيا وامهاته الى ادم وحوي ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في
حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في انما المشركون نجس
وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان الاباء كرام والامهات
طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم في حكم المسلمين
بنص الاية وكذا من ابرهيم الى ادم **قال تعالى** وتقلبك في الساجدين
على احد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ
فهذا صريح في ابوي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل
الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في
حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى ما طعن فيه ان الله
احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليهم وسلم
وقول ابن دحية يرده القران والاجماع ليس في محله اذ لا دلالة بمكن شرعا
وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع

وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة
وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه ردت عليه الشمس بعد غروبها فصلى
الوقت حتى صلى العصر اذ الكرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هذا
وطعن بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي ايضا وخبر انه تعالى لم ياذن
لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لامه اما كان قبل احيايهما
وايمانهما به او ان المصلحة اقتضت تاخير الاستغفار بها عن ذلك الوقت
فلم يوذن له فيه حينئذ **فان قلت** اذا قررتم لهما من اهل الفترة
وانهم لا يعذبون فما فايدة الاحيا **قلت** فايدته انتفاعهما بكمال لم
يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم لحقوا بالمسلمين في مجرد
السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العليه فهم بمعزل عنها
فالحقا برتبة الايمان وزيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما
وفي هذا من بديع ذكرته في الفتاوي ولا يرد على الناظم ازر فانه كافر
مع ان الله ذكر في كتابه العزيز ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان
اهل الكتاب اجمعوا على انه لم يكن اباحقيقة وانما كان عمه والعرب
تسمي العم ابا بل في القران ذلك **قال** الله تعالى اباي ابرهيم
واسماعيل مع انه عم ليعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله
بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهرها كالبيضاوي وغيره فقد
تساهل واستروح وحديث مسلم **قال** رجل يا رسول الله اين ابي
قال في النار فلما قفا دعاه وقال ان ابي وابالك في النار بتعين
تاويله واظهر تاويل له عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب
تسمي العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاتية الشاهد بخلافه على اصح
محاملها عند اهل السنة وان عمه هو الذي كفاله بعد جده عبد المطلب
او انه انما قصد بذلك تطييب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو قوع

سمعه اولان اباه فى النار بدليل انه انما قاله بعد ان ولى اوكان ذلك
قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه سيل
عن اطفال المشركين فقال هم مع اباهم ثم سيل عنهم فذكر انهم فى
الجنة **واما** قول النواوى رحمه الله فى حديث مسلم ان من مات فى
الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو فى النار وليس
فى هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان هولاء كانت قد بلغتهم دعوة
ابرهيم وغيره عليه الصلوة والسلام اسمى فعهد جدا للاتفاق على
ان ابرهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورساله اسمعيل اليهم انتهت
بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت
وقد يوول كلامه بحمله على عبادة الاوثان للذين ورد فيهم انهم فى النار
وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي ثم رايت
الابى شارح مسلم بالغ فى الرد على النووي بان كلامه مناف لحكمه بانهم
اهل الفترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة
لانهم الاهم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادرى
الثانى ثم قال انه لما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة
علمنا ان الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن
قول بعض المحققين فى هذه المسالة والحذر الحذر من ذكرها بنقص فان
ذلك قد يوذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحياء
بسبب الاموات واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا
يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية
من الفقها ان اهل الفترة لا يعذبون **وسبب** ذلك انا عهدنا فى
الغلام الذي قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله وحده
فكذا هولاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله

ورسوله

ورسوله فلا يرد هولاء نقضا على ما استفيد من الاية ومشى عليه
اوليك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته فى
الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم اخبار احاد فلا تعارض القطع بان
اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور فى الاحاديث مقصور
على من بدل او غير من اهل الفترة مما لا يعذر به كبقاء الاوثان وتغيير
الشرايع وكان قايل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذي
عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد
ارسال الرسول اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد
اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته ولا فرق
بين من بدل وغير وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لانه
لا قياس فى ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة قايلون ان ابا
النبي صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين فذلك رد بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه فى علم النحو وما
يتعلق به واما المسايل الاصوليه فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة
ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مومنون فنسبة ذلك للرافضة وحدهم
مع ان هولاء الذين هم ائمة اهل السنة قايلون به قصور واي قصور
وتساهل واي تساهل **قال** طيب الله ثراه

ما مضت فترة من الرسل الا بشرت فيها بك الانبياء

ما مضت فترة وهي ما بين الرسول وبعثة الرسول الذى يليه
كما بين عيسى وبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدرها والمشهور
انه نحو ستمايه سنه اي زمن خال **من الرسل** جمع رسول ومر تعريفه
اول الكتاب اي ما مضى زمن خال من الرسل يسني فيه ذكرك **الا** جددته
وبشرت من البشارة وهي الخبر السار **فيها** ليس فيه اضمار قبل

المذكور لان مرجع الضمير للفاعل وهو مقدم الرتبة وان تاخر لفظه
على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفتن اي الا يدركوا الاقوام الكائنين
في تلك الفتن **بك** اي بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك
الانبياء اي الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وفي هذا استدلال
واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على السنة الرسل
وانه نبي الانبيا المتقدم عليهم التابعون له هم وامهم وشاهد
ذلك قول الله تعالى عن عيسى صلى الله عليه وسلم مبشرا برسول ياتي من
بعدي اسمه احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم
اي في اية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي وامهم وحذف ذكر الامم استغناء
بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع **لما** مفتوحة توطية للقسم الذي تضمنه
اخذ الميثاق ولتومنن به وجواب ما الشرطيه ومكسورة اي لاجل
ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم اي وهو محمد
صلى الله عليه وسلم لتومنن به ولتنصرنه الآيه وقد اختلف المفسرون
فيها **والذي** قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس
وقتادة رحمهم الله انه تعالى اخذ على كل نبي بعثه من لدن ادم الى
محمد صلى الله عليه وسلم لين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي
ليومنن به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبيا كانوا ياخذون الميثاق
من امهم بانهم ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به ونصروه
ودعوى هذا هو معنى الايه دون الاول مردوده ولانها في الاول العالم
بان الانبيا لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم في اخر الايه بالنص
على من تولى ذلك لان التعليق في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى الى
قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل

لاخذنا

لاخذنا منه باليمين فالمقصود انه لو فرض انه بعث وهم احيا لزمهم
ذلك كما ان القصد من هذين الايتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم
قال الامام التقي السبكي دلت الاية على انهم لو ادركوا زمنه كان مرسلا
اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبيا، وامهم
من لدن ادم الى قيام الساعة وحينيذ يدخلون في قوله وارسلناك
الى الناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبيا اعلامهم
وامهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا
بكونه امهم ليلة الاسرا ويظهر في الاخرة بانهم كلهم تحت لوايه بل
في اخر الزمان يكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
دون شريعة نفسه ثم بين الناظم بعض فوايد تلك البشارات بتلك
الفترات فقال **تغمده الله برحمته**

تناهى بك للعصور وتسمو بك علياء بعدها علياء

تناهى اي تتفاخر **بك** اي بوجودك **العصور** اي الازمنة الطويلة
من لدن ادم الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفخر على العصر الذي قبله
لوجودك فيه بكمال اعلى مما قبله ولو في ضمن ايانك لكن اعظمها افتخارا
عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر انشايك ثم عصر رضاعك فشق
بطنك فتبعدك بحراء وغيره ثم عصر بنوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر
دعوتك الخلق الى الله ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك ثم عصر
هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك وفتوحك ثم عصر
دخول الناس في دين الله افواجا ثم عصر حجك ثم عصر ابناعك على تعاقبهم
الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طايفة من امتي قرايا
تتزايد في كل عصر من اعصار حياته على ما قبله وبحسب ذلك يكون
افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصور اتباعه تتفاوت بتفاوت

مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفخر كل عصر على غيره بحسب ذلك ايضا
واعمالهم المتضاعفة له بتضاعف يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف
له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله ولذلك كل واسطه بينه وبينه لانه
الدال للكل ومن دل على خير فله مثل اجر فاعله بكل حال متضاعف له بحسب
تضاعف من بعده ويتضاعف للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف
الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراك كنهه العقل ثم عصر مقامه المحمود
وشفاعته العظمى الي يفصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر
حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته
ولا تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر به بحسب ما تمتع فيها من كماله
لان الازمنة والامكنة تشرف لشرف من تكون فيها وما يكون فيها من
المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم
افضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا النص خلافه على ان ليلة القدر من
خصوصياته فتفضيلها انما هو لاجله ايضا **وتسمو** اي تعلو وترتفع
من سموت وسميت كعلوت وعليت **بك** اي تتلبس بالك مرتبة **عليا**ء
تاينث الاعلى **بعدها** في الزمان والعلو مرتبة اخرى **علياء** اي اعلى
منها اي لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة اعلى مما قبلها واعلى
منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل مراتب تفاوته كما
ذكر في قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك ان علومه
ومعارفه متزايدة متفاوته الى ما لا نهاية له وقوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله **قال** العارف القطب
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه هذا غين انوار لا غين اغيار اي لانه
صلى الله عليه وسلم كان دايم الترقي فكان كلما توالت انوار العلوم
والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها

دونها

دونها فيستغفر الله تواضعا طلبا للمزايد كماله **وفي** قول الناظم وتسمو
الي اخره من المدح ما لا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو
وترفع به ولم يجر على ما هو المتبادر انه الذي يسمو ويرفع به لما هو
الحق انه تعالى خلقه في عالم الامر على اكمل كمال يمكن ان يوجد لمخلوق
ثم ابرزه في عالم الخلق مندرجا في تلك المراتب فتشرف به لا يتشرف بها
لما علمت انه كامل قبلها فتامل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح **قال**
وبدا الوجود منك كريم من كرم اباؤه كرماء
وبدا اي ظهر **الوجود** اي لهذا العالم **منك كريم** اي سالم من كل
نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد ان ينتزع من امر
ذي صفة صفة امر اخر مماثل لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكماله
في ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف تلك الصفة الى حيث يصح
ان ينتزع منه موصوف اخر تلك الصفة وهو انواع منها ما يكون
بمن للتجريد كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق حميم اي قريب يهتم
لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان
اخر مثله في الصداقة فنحو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة الكرم
صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك
الكريم الذي ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد **من** اصل اب
وام **كريم** اي سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غير
كما علم مما مر وياتي وهذا ظاهر في اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم
وسيأتي في ذلك **اباؤه** جميعهم كما افادته الاضافة من لدن ادم اليه
واراد بالاباء ما يشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار
والكرم مالهما واحد **كرماء** اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم
تنبيه قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله

عليه وسلم كان اذا انتسب لا يجاوز عدنان وفي مسند الفردوس عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز
معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون لكن قال السهيلي
الاصح ان هذا من قول ابن مسعود قال عمر كان ابن مسعود اذا قرأ والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون لانهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس بين اسمعيل وعدنان
ثلاثون اما لا يعرفون ومن ثم انكر مالك على من يرفع نسبه الى ادم وقال
من اخبرهم بهذا اي ان ذلك من كلام المؤرخين الذي لا دليل عليه ولا
ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة **هذا**

نسب نخسب العلا بحلاه قلدتها بنحورها الجوزاء

نسب عظيم بل لا اظهر ولا اجل منه في الانتساب وهو اسم لعموم
القرابة الذي يجمع متفرقها **نخسب** ايها المخاطب اي نظن **العلا**
جمع علياء تاتي اعلى كما مر **بحلاه** بضم اوله وكسره وهو افصح جمع
حلية بكسر اوله بسبب حلا ذلك النسب **قلدتها** اي العلا منعوت
نخسب الثاني والاول العلا **بنحورها** اي بنجومها **الجوزاء** اسم لبرج في
السما كما في القاموس وعليه فنجومه هي الاتية وتطلق عرفا على النجوم
المجتمعة المعروفة وهي نسبة المرأة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ
لا بدع ان ينسب الى الشيء من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد
التي اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التي
تسمى نطاق الجوزاء او تيجة الجوزا كما قال القايل:

• لو لم تكن فيه الجوزاء خدمته • لما رايت عليها عقد منتطق •

اي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب لسبب ما يحلى به
من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزا بنجومها اي جعلت نجومها قلادة لها

فعلم

فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من اولئك الاباء الكرام قد ارتفع في
زمانه حتى صار كانه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء
به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزا وان ذلك
النسب تناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزا وان مجموع هذا
النسب كالعقد الثمين جدا الذي يقلد عنق تلك المرابت العليه فعلم
من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة ما في هذين البيتين من انواعها
البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزا المتتابعة كتتابع ذلك
النسب في الشرف وعلو المرابت ولما قدر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين
الذي تقلدته تلك المرابت العليه اخذ في مدح ذلك العقد بلفظ حبذا
الموضوعة للمدح كنعم بل الزايدة عليها باشعارها بان الممدوح محبوب
للنفس قريب منها فقال **حبذا عقد سودد وفخار انت فيه اليتمة العصماء**

حبذا مبتدا وما بعده خبره وحب فعله وذا فاعله وعقد هو
المخصوص بالمدح واصل هذا الاختلاف هم في اصله وهو ذا فحب فعل جامد
وذا فاعله هل هما باقيان على حالهما كلمتان ركبتا فصارتا كلمة واحدة
وعليه هل غلبت الفعلية لسببها او الاسمية لشرفها **عقد** بكسر
اوله وهو العلاة من الجوهر **سودد** اي سيادة **وفخار** اي تمدح بالخصال
الجليلة **انت فيه** اي ذلك العقد وفي نسخ وفيها نظرا الى المعنى لما تقرر
ان العقد العلاة الجوهر **اليتيمة** اي التي لا شبيه لها في حسنها **العصماء**
من العصمة اي الحفظ والمنع لان من شان هذه الدرة ان يبالغ في حفظها
ومنعها عن ان تصل اليها يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة
لعقد او حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له
صلى الله عليه وسلم ولنسبه اي حبذا نسبك الذي اذا ذكرت وعددت
معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار

على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واعلاها بحيث تكون انت
واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد
لغيرها المتميز بها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل
ويفوت الوصف وشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة المصرحة
في انه صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقين والخليفة الاكبر عن رب العالمين
ولما تمم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته وقال

١٢ **ومحيا كالشمس منك مضيء اسفرت عنه ليلة غراء**

و جدا ايضا **محيا** اي وجه **كالشمس منك** حال من محيا **مضيء** مبتدا
خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه بمنك وشاهد
هذا حديث البخاري عن الربيع بنت مُعَوِّذ ولرابيه لقلت الشمس
طالعة وحديث احمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة
رضي الله عنه ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قايل
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف في الطول انه
جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة
وفي حديث علي عند الترمذي والبيهقي لم يكن بالمطهم ولا المكلثم اي المدور الوجه كان في وجهه تدوير
اي قليل مع سهولة خد به وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم مما
تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر مطلقا فاندفع من
عيب التشبيه بهما اخذا من قول الحسن بن هاني المشهور بابي نواس

• تنتيه الشمس والقمر المنير • اذا قلنا كانهما الامير •
• لان الشمس تغرب حين تمسي • وان البدر ينقصه المسير •

نعم

نعم قول ابن ابي هالة يتلالاء وجهه تلالاء القمر ليلة البدر وعايفوق
التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينيذ يملاء نوره الارض لحوح ما كانت
اليه ويونس كل من يشاهد وهو مجمع النور من غير اذى ويمكن الناس
من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تعشي البصر وتمنع من عكن الروية اليها
وذلك ان تقول لا يفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى وحينيذ
فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما **اسفرت** صفة
او حال ايضا اي انكشفت وانفضت **عنه** اي عن ذلك المحيا **ليلة** عظيمة
غراء اي بيضاء بظهور نوره فيها وعمتها وهذا اولى من جعل ذلك
لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثاني عشر او لكونها من الغر بناء على
انها ليلة ثاني الشهر وغرته ساعات ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه
له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول الماخوذ من الغرة وهي بياض في وجه
الفرس وهي غرة في وجه الدهر ثم ابدل منها فقال

١٣ **ليلة المولد التي كان للدين سرور بيومه وازدهاء**

ليلة المولد بكسر اللام زمنها كمكان الولادة بفتحها وكلاهما هنا
بعيد فالاحسن انه مصدر سمي ليلة الولادة **التي كان** اي دام واستمر
على حد وكان الله غفورا رحيما **للدين** وهو لغة الجزا واصطلاحا
الشرع المبعوث به النبي الكريم وحد ايضا بانه وضع الهي سابق
لذوي العقول باختيارهم المحمود **سرور** اي فرح عظيم **بيومه** واليوم
في عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفي عرف الشرع من طلوع
الفجر **وازدهاء** اي هذه الليلة الغراء هي ليلة ولادتك وانت اشرف
مولود فلاجل ذلك سر الدين واهله اليوم الذي برزت فيه الى هذا
الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سايرالاديان والايام

تنبيه اضاف الناظم كالامن الليلة واليوم الي المولود فاحتمل ان
يكون من القايلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث
عثمان ابن ابي العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفيه لانها شهدت
ولادة النبي صلى الله عليه وسلم قالت فما شئ انظر اليه من البيت الا نور وابي
لانظر الي النجوم تدانو احتى اني اقول لتقعن علي رواه البيهقي ولم يذكروا
فيه الا النور وتدلي النجوم وبتصريح عايشة رضي الله عنها ايضا بذلك كما
رواه الحاكم وان يكون من القايلين بانه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله
الا بي يوم نالت بوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به حديث
مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعف
في الفضايل والمناقب محتمل اتفاقا فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل
طلوع الشمس او اراد مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند
ولادته الا سه مما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر
فيمكن تدليها حينيذ بل بعد طلوع الشمس خرق للعادة للمبالغة في اكرامه
صلى الله عليه وسلم وعلى انه ولد ليلا ليلة مولده افضل من ليلة القدر
واستدل قايله بوجوه كلها مدخولة كما يعرفه الواقف عليها ان
حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر
مسلم ثم قيل في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو في صفر او ربيع
الاول او الاخر او رجب او رمضان او يوم عاشورا اقوال والاصح
انه في صفر او ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه
معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث
وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ وقيل لعشرة وقيل لاثنتي عشرة
وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه
وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان ليلا تتوهم

انه

مطلب

انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول
ليظهر مرتبته على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو
دفن بها لكان يقصد بتعالها فاورد بموضع مفضول عند اكثر العلما
لتشرف به بل ليوقف به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده
بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا
في عام ولادته فالاكثرون انه عام الفيل بل حكى الاتفاق عليه والمشهور انه
ولد بعد بخمسين يوما ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون
يوما وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل
قبله بخمسة عشر سنة انتهى وايد كونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا
الذي ولد بمكة وتقدمه لظهور وفي مكانها والصواب انه بمكة
قيل بالشعب وقيل بالدوم والمشهور انه المسجد المشهور الان بالمولد
وزعم انه عسفان شاذ لا يعول عليه وقد صرح بعض ائمتنا ان اول
واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر لاستلزام انكار وجود
النبي الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **قال رضي الله**
وتوالت ببشري الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء
وتوالت اي تتابعت **ببشري** اي بشارة **الهواتف** للناس جمع
هاتف وهو ما يسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يري
شخصه والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتب الله والسنة
الاحبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير وجمع اكثره بن
ظفر في كتابه الدرر **ان** اي بان متعلق ببشري **ولد المصطفى** اي المختار
على الخلق كلهم **وحق** اي ثبت **الهناء** اي الفرح والسرور لكل الخلايق
به قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والبشارات به

صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن
منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون **شعر**

• فاقتم ما انيء من الناس انجبت • ولا ولدت انثى من الناس واحد •
• كما ولدت زهرية دات مخمر • مجنبة لوم القبائل ماجد •

وهتف اخر على ابي قبيس باربعة ابيات فيها معنى ذلك وزياده ومنها
سواد ابن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن
اسلامه لخبره ان ربيبه انشده ابياتا تلات ايام متواليه فذكرها للنبي
صلى الله عليه وسلم فيها حث قارب على المجيء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والايمان به وعظيم مدحه ومنها ما جاء بسند فيه ضعف ان راهبا
كان بمر الظهران ينوك ان يولد منكم يا اهل مكه مولود اسمه محمد
تدين له العرب وتملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكه مولود الا بادر
عنه فجاء عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما راه قال
كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه فما سمعته قال محمدا
وقد طلع نجمه البارحة وروى الحاكم عن عايشه رضي الله عنها انه كان عكة
يهودي فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة ولد الليلة فيكم مولود قالوا لا
نعلمه قال ولد هذه الليلة بني الامة الاخيرة بين كتفيه علامه فيها
شعرات متواترات كانهن عرف فرس فادخلوني على امه واخرج له فكشف
عن ظهره فراى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك
ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرايل **وذكر** الحافظ ابو سعيد
النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب
وكان يصبي في غرته ويوجد من فمه رايحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون
به فيسقون نام في الحجر فانتبه محمولا مدهونا قد كسي حلة البهاء
والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به ابن ابي كهنة قريش فقالوا

ان

ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى في
الحجر فراى رويا وقصها على اكهان فقالوا لين صدقت رويا ك
ليخرجن من ظهرك من يومن اهل السموات والارض وليكونن في الناس
علما مبينا **وذكر** الحفاظ ان زمزم كانت اندرست فراي عبد المطلب
ما دله عليها فحفرها فاذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده الحارث
فنذر ان رزق عشر بنين ليذبحن احدهم لله تعالى فلما تموا عشرة
راي من يامرهم بوفاء نذره فاتبته وذبح كبشا فراي انه لا يجزيه فذبح
ثورا فراى انه لا يجزيه وهكذا حتى امر بذبح احد بنيه كما نذر فاقرع
بينهم فخرجت على عبد الله فجاء به ليذبحه عند الكعبة فمنعه سادات
قريش واموره ممانون كاهنة فاشارت ان يقرع بينه وبين عشرة
من الابل وانه كلما خرجت القرعة يزيد عشرة فلما بلغت مايه خرجت
القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين
وصح انه اقرن قال له ذلك والثاني اسمعيل وعلى انه اسحق وعليه
الاكثرون فقد مر ان العرب تسمي العم ابا **قال** رضي الله عنه

١٥ **وناداني ايوان كسرى ولولا ايه منك ما دعاني البناء**

و من عجايب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انه **تداعى** اي تهادم
اي اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خراب **ايوان**
بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري بانه الصفه
العظيمه كالازج وغيره بانه بيت موزج اي مبني طولا غير مسدود
الوجه اي فهو طوله واسعة بابها عقد واسع قاله وهو فارسي
قيل هو البيت العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرافات وقيل
بيت الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل
ان ذلك الايوان كان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما

كسرى انوشروان بفتحها وكسرها معرب حسرا اي واسع الملك وهو
لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان
لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشه وفرعون لملك القبط
والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك ولولا حرف
امتناع لوجود اي امتنع جوابها لوجود تاليها اية صادرة منك الي الوجود
اي علامة عظيمة على بنوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا ينتفع
له راس وبه التفات من العينة الي الخطاب والاصل منه اي المصطفى
ماتداعى البناء اي هذا المبني المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام
الذي كان يظن به انه لا يهدمه الا نفخة الصور فاذ قد تحرك وسقط منه
اربعة عشر شرافة حينيذ فليس ذلك الا محض اية منه صلى الله عليه
وسلم للوجود على بنوته وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعز
وسر بتلك الاربعة عشر في الاشارة الي انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة
عشر فملك عشرة في اربع سنين واربعة الى زمن عثمن وقد فتح في زمن
عثمن رضي الله عنه اكثر اقليم فارس وكسر كسري واهانه غاية الهوان
وتقهقر الى اقصي مملكته ثم قتل في زمن عثمن رضي الله عنه وزال ملكه
بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه اذا هلك كسرى فلا كسري
بعده وان امواله وكنوز تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع
الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما
جاءه كتابه ممزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك
بلاده وقال لسراقه وكان من فقراء اصحابه كيف بك اذا لبست سواري
كسري فلما اتى بهما عمر رضي الله عنه البسهما اياه اي اظهارا للمعجزة وذلك
عند مبيح وقال الحمد لله الذي سلبهما كسري والبسهما سراقه ولما
راي كسري ما وقع بايوانه وراي تلك الليلة الموبذان اعلم علماء مملكته

انه راي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلاده
افزع كسرى ذلك فسال الرآي فقال حدث يكون من ناحية العرب
فكتب كسري الى النعمان ابن المنذر ملك العرب ان يرسل اعلم من في ارضه
من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا جيدا
فساله عن ذلك فقال علم ذلك عند خالي سطيح وهو بالشام فجاء الرسول
واسمه عبد المسيح فوجده مشرفا على الموت فاخبره سطيح بما جملته
من عبد المسيح على جمل مسيح الى سطيح وقد دانى على الضريح بعنه ملك
ساسان لارتجاس الايوان اي تحركه وخمود النيران ورويا الموبذان
راي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجله وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة
اي قرية بين الكوفة والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة ساوة
وحمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك
منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكلما هو آت آت ثم قضى سطيح
مكانه وسمي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في يده
القضيب كثيرا وكان عمتي بين يديه بالعصا يصل اليها قال القاضي
واراها العصاه المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي
لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا وسمي ايضا صاحب القضيب اي
السيف كما في الانجيل هو صاحب العصا يرعى بها الاحبار والقضيب
بيد به الاشراد قال تغمده الله بالرضوان

وغدا بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاءه
و من العجايب التي ظهرت ليلة ولادته ايضا لينتبهوا ويسالوا عن
سبب ذلك انه غدا اي صار تلك الليلة كل بيت نار اي كل
واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها ويبتدا يقادهم لها

حتى لها الف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران
لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء و هي للحال وفيه تاييد لما
ذهب اليه الجمهور منهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا تو جد
الا نكرة وخالفهم الزمخشري وابو البقا والجزولي وابن عصفور
تجعلان خبرا سواء كانت بمعنى صار او بمعنى وقع بقله في وقت الغدو
او الرواح وجعلوا من ذلك اغدا عالما وحديث تغدو اخماصا وتعود بطانا
ضاحكا اي صار في حال ضحك **وفيه كربة** بضم اوله اي غم ياخذ النفس
وربما اهلكها **من** اجل **خمودها** اي سكون لهبها من غير ان تطفى جمرها
والا قليل هدت **وبلاء** عظيم صبه الله عليهم صبابا زالة ما يعتقدونه
الاجلهم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان في اقليم الفرس من بيوت النار
الموقودة المائة من السنين ما يجيل العادة انطفاها فاذا انطفت تلك
النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث
في العالم وكان كذلك وسبب لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما مر
وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء
و من تلك العجايب ايضا **عيون** فهو مبتدا سوغه وصفه بقوله
للفرس بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم
وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الغراسة بالفتح وهي
الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم **غارت** في الارض حتى لم يبق منها
قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان بينها من كثرة المياه ما يجيل العلماء
عيضها ولذا قيل طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين سادة
لبلد معروف بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام
فهل استفهام للتعجب من مآلهم او لغيرهم وتقريعهم **كان لنيرانهم**
بها اي بتلك المياة التي غارت **لطفاء** لانها لم يطفئها الا سر وجود نبينا

صلى الله عليه وسلم وظهور المضمحل به كل الهدى وباطل ولذا قال
مولد كان منه في طالع الكفر وبال عليهم ووباء
مولد عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف **كان** اي
صار على الدوام **منه** اي من اجله او من لابتداء الغاية **في طالع الكفر**
اي في نحو النجوم والالهام الذي طبع به على عوائد الكفر وغايات اهله
المترتبة عليه كرويا الموبذان والهام سطيح السابقين انفا ويصح ان
يراد المولد نفسه اطلع كل ذي بصائر على ان الفرس والكفار يحل بهم
وبال اي وخم عظيم **عليهم** اي على اهله الذين هم الفرس بدليل
السياق واعم بدليل الواقع **ووباء** ويجوز قصره وهو المرض الشديد
وهما وفيهما للبناس اللاحق كائنان عما اعتراهم بوجوده من اشراف
ملكهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والوبال والهوان والنكال قال
فهنيئا به لامنة الفضل الذي شرفت به حواء
فبسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه
الامة من المزايا ولها من العطايا ولابايه وامهاته من الشرف الاكبر
والتميز الاظهر حق ان يقال لامه **هنيئا** به **لامنة الفضل** اي
ثبت لك الفضل اي الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيئا اي لا افة
فيه ولا تنكد وهو حال عند الاكثرين موكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ
لم يسمع الا كذا **قال** المبرد انه مصدر كالعافية واصل ذلك انهم انابوا
عن المصدر صفات كعايد بك وهنيالك **قال** بعض المغاربة وهي
موقوفة على السماع **وقال** غيره انه مقيس عند سيبويه فيقال لكل من لازم
صفة وهنيئا اسم فاعل من هنئ وهنوء كشريف من شرف وهو ما اتاك
بلا مشقة **الذي شرفت به حواء** فمن دونها من امهاته الى امنة
فان الولادة منسوبة الى كل منهن بذلك وزائدة بها شرفت بما

شرفت به البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها هذا او للجمع بين طرفي
الولادة الاولى والاخرى وليبنبه على ان حوا امتازت بابوان الى وجود
عالم الاصلاب وامنه امتازت بابوان الى وجود عالم الاستقلال مع
عدم الواسطة ومزيتم قال بيننا تميزها على حوا بذلك فقال

من لحواء انها حملت احمدا وانها به نفساء

من استفهام استبعادي بمعنى النفي لحواء اي من ذي الذي يفرح
لها بانها او يقع لها في انها حملت احمدا بالتنوين للضرورة اي حملت به
وهو من غرر اسمايه وقد سماه الله تعالى به على لسان موسى كما في الحديث
وعيسى كما في القران وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه
احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيمة عند
سجوده تحت العرش بما في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بحامد
لم تفتح على احد قبله فيلهم ربه بها وكذلك يعقد له لواء الحمد ويكون
تحته ادم فمن دونه وانها به نفساء اي اصابها نفاس وهو الدم الخارج
عقب الولادة سمي بذلك لانه اثر نفس اي وبالها ولدته بلا واسطة اي
لو قدر لها ان تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم
يقدر ذلك لها بل لامنه لما سبق في علم الله انها الغاية بشرف الانتهاء
وهو افضل مما فازت به حوا من شرف الابتداء ولهذا قال

يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

يوم بدل من مولد اسم زمان نالت اي اعطيت بوضعه اي بسببه
امنة ابنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهي تلتقي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة ابايه في كلاب وكان وهب سيد
بني زهرة سنا وشرفا وام امنة مرة ابنة عبد العزى بن قصي بن
عبد الدار بن كلاب من بيانيه فخار وهو التمدح بالخصال العليه

والنبم

والتيم المرضيه ما لم تنله النساء حتى حواكما مر وهذا لا يقتضي
افضليتها على حوا مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها
له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيث مزية واحدة او
مزايا لا يقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع
قام في حوا على ايمانها الكامل وامنه وقع الخلاف في ايمانها بل وفي بخاتها
ونقل عن الاكثرين عدمها ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر
ومما نالته كما اخرجه ابو نعيم والخرايطي وابن عساكر ان عبد المطلب
لما خرج بعبد الله ليزوجه لمر ويا التي زارها وقد مرت راته كاهنة قرات
الكتب قرات نور النبوة في وجهه ومزيتم كان اجمل وانبل فسالته ان تقع
عليها وتعطيه مايه من الابل فابى وقال

• اما الحرام فالحمام دونه • والحل احل فاستبينه •
• يحمي الكريم عرضه ودينه • فكيف بالامر الذي تغينه •

فمر به ابو حتى اتى به وهبا ابا امنة فزوجه بها وهي يومئذ افضل امراة
في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم
خرج ومر على تلك المراة فلم تكلمه فسالها لم لم تعرضي نفسك الان علي
قالت فارقك النور الذي سالك لاجله وذكروا انه لما استقرت
تلك النطفة الكريمة فيها اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض
وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك السنة
الفتح وفوذي في الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن امنه ذات
العقل الباهر والفضل الظاهر فرخصها الله تعالى لهذا الحسب لانها
افضل قومها حسبا واذكاهم اصلا وفرعا وفي حديث بن اسحق لها
حدثت انها حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه
الامه وقالت ما شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما اي في ابتداء

حمله لرواية الها وجدته وحملت على الابتداجمابين الاحاديث واتاني ات
واناين النائمة واليقظانة فقال قولي اعيذه بالواحد من شركل حاسد
ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت من ابيات اخر مشهورة ولا اصل لها كما قاله
الزين العراقي واخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان في
دلالة حمل امنه برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت
تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام
الدنيا وسراج العلما ولم يبن سدير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا
ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات ولذلك اهل البحار
تبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من تهامة رحمله نداء في الارض ونداء في السما
ان البشرى افقدان ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا وروي ابو نعيم ان
امنه اتاها ات بعد ستة اشهر من حملها وقال لامنه انك حملت بخير
العالمين فاذا وضعته فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما اخذها الطلق وكانت
وحدها رات كان طايرا ابيض قد مسح فؤادها فذهب رعبها ثم اتيت ببشربة
بيضا فتناولتها فاصابها نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طولا فاخذ في بها
فقالت من ان علمن لي وفي رواية فقلن لي نحن اسية امراة فرعون وهؤلاء
الحور العين ثم رايت ديباجا ابيض قد مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم
اباريق فضة وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرتها منا قرها من الزمرد
واجنحتها من الياقوت ورات مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام
منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها
النفاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى
السماء كالمتضرع للمتهل ثم رايت سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت
منادیا طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه
ونعته وصورته ويعلمون انه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه

تم

ثم تجلت عنه في اسرع وقت وروي الخطيب البغدادي بسند الها
لما وضعته رات سحابة عظيمة لها وز يسمع منها صهيل الخيل وخفقان
الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت منادیا طوفوا به
جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملايكة والطيور
والوحوش واغمسوه في احلاق الانبيا ثم انجلت عنه وقد قبض على حربة
بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قايل يقول بخ بخ قد قبض
محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبن احد من الدنيا الا دخل طابعا
في قبضته ثم رايت ثلاثة نفر بيد احدهم ابريق فضة والثاني طست
من زبرجد اخضر والثالث حربة بيضا اخرج منها خاتما يحار الناظرون
دونه فغسله سبع مرات ثم ختم بين كتفيه ثم احتمله فادخله تحت اجنحته
ساعة ثم رد الى امه قال برد الله مضجعه
وانت فنعما با فضل لما حملت قبل مريم العذراء

و يوم انت امنة فنعما اي حبذا للذكور وقد يدخل فيه النسا تبعا
كما هنا به مولود افضل بالاجماع مما اوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله
عليه وسلم وان كان ناذرا لورود ه في القران نحو لما خلقت بيدي والسماء
وما بناها الايات ولا انتم عابدون ما اعبد وكلام العرب سمع من كلامهم
سبحان ما سخرك لنا ولورود هذا ولمثاله رغم قوم منه دوسق به وابو عبيد
ومكي وبن خروف وقوعها على احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلي
لا اقع على اولي العلم الا بقرينة وقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما
طاب لكم من النسا واي الطيب منهن وعليه فما هنا نظير الاية لان من صفات
من يعقل الحمل المذكور في قوله حملت قبل اي قبل امنه وسران بينهما
نحو ستماية سنة لمه مريم بنت عمران الصديقة بنص القران قيل هي من
ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه اربعة وعشرون ابا وفي

الصحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النسا للخلاف فى نبوتها
وان كان ستاذا ولما رفع عيسى للسما كان سنها ثلاثا وخمسين سنة
وبقيت بعد ذلك خمس سنين **العذراء** اى البكر لانها لم تتزوج والعذرة
البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبريل فى جيب درعها فحملت به ووضعته
من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم وخصه هذا
مع تصريحه قبل بانه الانبيا لانه نزل من السماء على منارة جامع بنى امية
البيضا شرقى دمشق كما رواه مسلم فى اخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير
ويبطل الجزية وزما تو هم من ذلك مع باهر معجزاته ودلائله من غير ابرهان
كان لبيشا ما هو مثلها واشهر منها كما يأتى انه الخاتم الافضل فيفى ذلك على
الوجه الاكمل ونزوله انما هو لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ان
الجزية لا تقبل بعد نزوله لاسفاء ما لهم من نوع شبهة تمسك بكتاب تكذيبه
لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلى وراء المهدى او لامه يتقدم بعد
اعلاما بانه لم ينزل مستقلا بل تابعا موبدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم ولخبر البخارى انا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والاخرة ليس بينى
وبينه نبى وبه يرد على من قال كان نبيا خالدين سنان نبى اصحاب
الرس ولخبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة
حق وان النار حق ادخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفى خبر الصحيحين
ان كل مولود يمسه الشيطان الا عيسى قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
واتى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولانها فى هذا افضلية
بنبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر هذا فى جنب ادوها
وقد تكون فى المفضول مزية او مزايا لست فى الفاضل لكن فيه ما يخالف
ذلك وبيوقفه **قالت** اعاذها الله علينا من ركاته

مطلب

افضل

شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بتولها الشفاء

شمتته من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة
والمهملة دعا له بالسلامة من الشوامت او ببقاء سمته كما هو لان العطاس
ربما كان سببا للتعويج نحو العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس
فى جمعه لجمل واجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهى الرسالة
ويقال لها مالكة فالاصل فيه مألك ثم قلب فصار ملاكا على وزن مفعل
وحينيذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه
على ملائكة لانهم راعوا الملاك بعد القلب وقبل ان تخفف وقولهم من الالوكة
مصرح بان ميمه زايده وهو راى الجمهور وذهب طايفة الى انها اصلية ثم
اختلفوا هل هى من الملك بالفتح اى القوة لقوتهم او بالكسر معنى مملوك
قولان قيل واحسن من الجميع قول النضر بن شميل الله اعز ما خوذ من شئ
والتحقيق الذى دلت عليه الاثار وقوله تعالى كان من الجن وزعم
ان نوعا من الملايكة يسمون بذلك ليس فى محله لتوقفه على صحة خبر به
ان ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وانه لم يكن من الملايكة طرفة عين
وان المصحح للاستثنا فى الاية التغليب لكونه كان فيهم او هو منقطع
وفى خبر مسلم خلقت الملايكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار
وخلق ادم مما وصف لكم وظاهر ان عنصرهما يمتحض من النور والنار
وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم
تاويل الاولين بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك
ولان مراد المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث السوال فى
القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض
ونحوها ولم يعباءوا بذمهم للسنة الغر فجحم الله **اذ وضعته** اى وقت
وضع امه له **وشفتنا** اى افرحتنا واسرتنا او من الشفا لانه رقيه والرقيه

كثيرا يحصل بها الشفا لان قولها الاتي يشفي العليل و يبرد الغليل

تقولها الشفاء بالفاء المشددة وهي ام عبد الرحمن بن عوف احد العشرة رضي الله عنهم بنت عمرو بن عوف و قولها هو ما اخرجه ابو نعيم عن ولد عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك الله و رحمت ربك قالت الشفا واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته ثم لم البث ان غشيني ظلمة و رعب وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بالرحى بعنه الله فكنت في اول الناس اسلاما و حمل الناظم قولها استهل الله عطس حتى عين تسميته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج لسند اد حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من احوال المولود بخلافه لا يصار اليه الا بتصريح من يعتمد عليه ولم ار في قولها فسمعت قايلا يقول على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة و اشارة الى ان عصمة الملايكة توجب ان الفعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع و على ما قاله مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يتعين لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في المهد فاذا كان صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه منهم **قال رحمه الله**

رافعا راسه وفي ذلك الرفع الى كل سوددا ايماء

رافعا من فعول وضعته **راسه** الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطا و ابن عباس ان امنة قالت لما فصل مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج له نور اضاء ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها و رفع راسه الى السماء

وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه اولا بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم **الى كل سودد** اي رفعه و سيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذي هو **ايماء** اي اشارة الى سناه و فدية يرتفع و يعلو في الدنيا و الاخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك و لا جن و لا انس فقال **رحمه الله**

رافعا طرفه السماء ومرمى عين من شانه العلو العلاء

رافعا حال من ما منه الاولى و تعدد الاحوال المتداخلة **طرفه** اي بصره **السماء** اي ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث عطا و ابن عباس المذكور و روى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابعه يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها و سبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد دفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل و سر هذا الرمز الاشارة الى علو مرماه اذ **مرمى** هو الاصل غرض الرامي الذي يصيبه بسهمه وهنا ما انتهى اليه البصر **عين من** موصولة **شانه** اي قصده **العلو** اي ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى **العلاء** بالفتح والمد اي الرفعة و الشرف و يجوز ضم عينه مع القصر اي كما ان رفعة راسه اما الى ما مر فكذلك رمقه ببصر الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته و ما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المرتب على الرفع و الرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذي هو مفاد هما له اعتبار ان مختلفه **قال** **تغمده الله برحمته**

وتدلت زهر النجوم اليه واضات بضوءه الارجاء

و يوم تدلت اي قربت و دنت فهو عطف على نالت **زهر النجوم** من اضافة الصفة الى الموصوف اي الكواكب المضيئة **اليه** صلى الله عليه وسلم كرامة له و تعظيما لم يقع نظير لغير كما رواه البيهقي و ابن السكن عن عثمان

ابن ابي العاص عن امه فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع فامتلأ نورا ورايت
النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي فلبب هذا الذي اضاءت
لها اي تلك الكواكب المضيئة الارجاء اي نواحي البيت او نواحي
السماء او نواحي الوجود باسره قال رحمه الله
وترات قصور بصرى بالروم نواها من دار البطحاء

و يوم ترات من راي بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة
التفاعل بل اصل الفعل ليخادعون الله وعاقبت اللص اي رويت
قصور بصرى ومرانه لقب لكل من ملك الروم بالروم اي في بلاد
الروم وهو ابن عيصو وبين بصرى وقصور التجنيس المطلق وسماه
قوم كالسكاكي وغيره تجنيس المشابهة وهو ما تماثل الكلمتين بحيث يشتبهان
المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى ازفة الازفة
يا اسفى على يوسف اسلمت مع سليمان فاقم وجهك للدين القيم
وزعم الحلبي ان هذا ليس من اصناف التجنيس وان عد اكثر المولفين
له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه
بتجنيس المشابهة فنبهوا انه اشبه التجنيس وسيربك كثيرا وليس في
الحقيقة تجنيسا وسيربك كثيرا منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس
يشبه الاشتقاق وما ذكر في الاخير هو ما ذكره الحلبي ولا يانافيه
عد عين له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى المراد من اقم وجهك
للدين افرغ وسعك في صرف جميع انشطك في نشر والعمل به وعين
نظرا الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاء به اليه حال كون تلك القصور
يراها برويته كاملة من اي الذي دار البطحاء اي مكة والابطح
والبطحا السيل الواسع الذي فيه دقاق الحصبا واصل ذلك الحديث الصحيح

٢٧

انه صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله خاتم النبيين وان ادم لمنجدل
في طينته وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي
رات وكذلك امهات الانبيا يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم
رات حين وضعته نورا اضاء له قصور الشام وفي رواية عنها قالت
رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضات له الارض حتى رايت قصور الشام
وفي اخرى ليلة وضعه نورا اضات له قصور الشام وفي رواية عنها
قالت رايت ليلة وضعه نورا اضات له قصور الشام حتى رايتها وفي اخرى
لما ولدته خرج من فرجي نورا اضات له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من
قذر وفي اخرى لما فصل مني خرج منه نورا اضاء له ما بين المشرق والمغرب
وفي رواية الشفا السابقة واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى بعض قصور الشام ولا ينافي هذه الروايات رواية الهارات مثل ذلك
عند ابتداء وضعه لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته
زيادة في البشارة بظهور وظهور دينه صلى الله عليه وسلم وخصت الشام
بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته صلى الله عليه وسلم
اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السالفة انها دار ملكه اي باعتبار التبعية
اليها قبل نظرا لها وكذا اسري الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابراهيم
ولوط عليهما الصلوة والسلام وبها ينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وهي
ارض المحشر والمنشر فاجده صح عند الضيا انه صلى الله عليه وسلم
ولد مختونا مقطوع السرة حق لا يرى احد سوته زاد الحاكم ان ذلك تواترت
به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح
كلها تقرر فكيف تتواتر قبل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية
فيه بل قال الكلبي ان ادم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروي
بعض الحفاظ بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد المطلب ختنه يوم

الله

سابع ولادته وجعل له مادبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم **وفي** طريق منكر انه ختن عند حليمة حين شق قلبه ولما تم الكلام على عجايب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته شرع في ذكر عجايب الرضاع ومعجزاته فقال مستانفا او عاطفا عطف الجمل **طاب ثراه**

وبدت في رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء

وبدت اي ظهرت لمن في عصر صلى الله عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان **في** فعل وزمن **رضاعه** وهو امتصاص اللبن من الثدي **معجزات** تسميتها بذلك مجازا وجرى على اصطلاح السلف كالامام احمد رضي الله عنه فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجرت فيه الشروط الاتية ام لا ولكن الاشهر الذي عليه اكثر اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقته الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبيا عليهم الصلوة والسلام فعلم ان لها شروط احدها عرفها للعادة بان تحيل وقوعها كانشقاق القمر تابعها اقترانها بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة مع امن معارضتهم امن تحديت فلانا نازعته لاغلبه وهو مجاز اذ اصله الحد فيتعارض فيه الحاديان فيتحدا كل الاخراي يطلب حداه فخرج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولي والخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وفي كرامات لا معجزات وتسميتها صاي تاسيسا للنبوة لا يقال خرج به ايضا الخارق المتاخر عن التحدي بما يجزجه عن المعارضة العرفية لانه يلزم عليه اخراج اكثر ايات نبينا صلى الله عليه وسلم كنبط الحصا والجمع والدواب ونبع الماء قيل لعله لم يتحد بغير القران وفي نفي الموت وزعم انه لا معجزة الا هذان اقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق انه المراد بالتحدي معناه الاصلي بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارن لذلك والخارق

الذي لا تؤمن معارضته كالسحر سواء قلنا انه قلب الاعيان او احالة الطبايع لانا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهيه بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا والا لما قع من مدعيها صدقا ام لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافي ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمه لانه ليس مدعيا للنبوة بل للالوهيه وقد دلت القواطع على كذبه وان بروز ذلك على يده لمحض الفتنة لاعيزا تالنهاد لالتها على صدق المتحدي فخرج الخارق الكذب له كان قال ايتي نطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل في بير ليكثر ماؤها فغارت لا نقال كان ينبغي للناظم ان يقول ايات بينات او برهان لان هذه الواردة في القران والسنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر فلذلك خصت بالذكر **ليس فيها** متعلق بخفاء **عن العيون خفاء** لوضوحها وهي اسم مصدر لاخفيته لانه بمعنى كتمته لا مصدر تخفيته لانه بمعنى اظهرته وبين بدت وخفا الطباق **قال**

اذ ابته ليتمه مرضعات قلن ما في اليتيم عنا غناء

اذ اي وقت او لاجل انه **ابته ليتمه** اي لاجل موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وقيل مات وهو في المهد وهذا في ما في المتن الا ان يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع قبل ان يوضع لكن برده ان موته انما كان بطيبة المنون وهو مات من تجار الشام عند اخوال ابيه عبد المطلب بني النجار وقد تقدم ان المرضعات عقب وضعه علن يتمه قيل انما سمي عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب لياتي به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم ليلا يكون لمخلوق في عنقه

حق مرضعات كن يابين الي مكة نلتمس الرضعا لان ارضاع المراة ولدها
عار عندهم قلن انما تركناه لانا انما نبغي الرضعا رجاء للمعروف ومن ابايهم
واما الام والجد فاعسي ان يصنعا ما في هذا اليتيم بينه وبين يتمه
جناس اشتقاق عنا متعلق بقوله غناء بفتح المعجمة اي ليس فيه ليتمه
وفقره نفع يغني عناشيا وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص علي
خلاف فيه منتشر قال روض اسم مرقد

فاتته من ال سعد فتاة قد ابتها لفقرها الرضعاء

فبعد ان تركته لذلك اتته من ال سعد بني بكر ونسبت اليه مع انه
الجد التاسع لانه الاشهر وبه عرفت القبيله وزوجها منهم ايضا فتاه اي
شابة كريمة كابنة من بعض هذه القبيله فتقول التارح ان من بنيانه بعيد
وفي كونها حليمة السعديه من الفال الحسن والبشارة العظيمه بحصول
غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفي ونعم وقد كان صلي الله
عليه وسلم يحب الفال الحسن قد ابتها لفقرها الرضعاء جمع رضيع اي اهلهم
لان الفقر ليستلزم قله الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع
غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوايجها الخارجه فلا يعيدها في
دفع الجوع الذي هو المحذور واصل دلت ما رواه بن اسحق واسحق بن
راهويه وابو يعلي والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها
انها قدمت مكة في نسوة من قومها تلتمس الرضعا في سنة محدبة ومعها
صبيها وشاة ما تنض بقطره لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من
الجوع ثالث وما علمت امراة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلي الله عليه
وسلم فتاباه اذ قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا
غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع بين صواحبي ليس
معي رضيع لانطلقن الي ذلك اليتيم فلاخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب

صوف

صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك الاذفر وتحته حرير اخضر
راقدا علي قفاه يعظ فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله
فدنوت منه رويدا فوضعت يدي علي صدره فتبسم ضاحكا ففتح عينيه
ينظر الي فخرج من عينيه نور حتي دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته
بين عينيه واعطيته ثدي الايمن فاقبل عليه ماشاء من لبن فحولته
الي الايسر فابي وكانت تلك حالته بعد قال اهل العلم الله اعلمه
ان له شريكا فالهمه العدل ثم اخذته فاهوالا ان جيت به رحلي
فقام صاحبي يعني زوجها الي شاتنا تلك فاذا بها الحافل فحلب ما شرب
وشربت حتي روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم
يزل الله يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت امه وذهبت به علي
اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الي السماء
ثم مشت فسبقت دوابهن فضرن متعجبين ويقلن لها هذا اتانك التي
كانت تزفك طورا وتخفضك اخري فتقول نعم فيقلن ان لها شانا
عظيما فسمعت الاتان تقول ان لي شانا عظيما بعثني الله بعد موتي
ويحكن هل تدرين من علي ظهري علي ظهري خير الاولين والاخرين
وابدل من انثه قوله طيب الله مضجعه

ارضعته لبانها فسقتها وبنيها البانهن الشاء

ارضعته لبانها بكسر اوله مفعول به ويجوز علي بعد كونه مطلقا لان
معني لبانها رضاعها اذ يقال هو اخو ملبان امه ولا يقال لبنها فاللبان
مختص بلبن الرضاع فبسبب هذا الرضاع لهذا المولود الافضل من سايرا
المخلوقات سقتها اي حليمه وبنيها وقد كانوا اشرفوا علي الهلاك
من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غاية المحل والجدب البانهن وفيه
استعمال لبان في غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته لبانها السابق

فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك **الشاه** جمع شاة كرامة لذلك المولود وانما سقيتهم مع ذلك
المحل لانها ببركته صلى الله عليه وسلم **ابجحت** ثولا **عجافا** وامست **بها**
شائل ولا عجفاء فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا لصورة تعريفه
وصفة نظرا للكون اذ فيه جنسيه نحو ولقد امر على اللئيم يسبني **ثولا**
بالتشديد جمع ثائل وهي في الاصل الناقة التي تثول بذنبها للقاح ولا
تبن بها اصلا فاستعملها في الشاة مجازا علاقته المشابهة **عجافا** اي
هزيلات **وامست** لم يرد باصبح واسي معناها بل انها كانت في حال فاعترضها
نقيضه في اقرب زمن واسرعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما
بها اي فيها **شائل** مبتدا او فعل الظرف **ولا عجفاء** اي هزيلة وبين
اثبات الثول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن اكثر الناس
لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولك ان تقول ليس ما هنا من
وزان الاية لان الذي فيها نفي العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن
ولا عزه وما هنا فيه الاثبات في زمن والنفي في زمن اخر وهذا لا تضاد
فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او ايهامه ولو بادنى الرابطة
كما هو معلوم من استقراء امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك
ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه اذ الفاء
تاتي لغير التعقب فالاتيان موجود على الخامعه فلا تمنعه ايضا لان ضمير
احييناه للميت فكانه قال احييناه الميت وهذا فيه **قال**

اخب العيش عندها بعد محل اذ غدا للبني منها غداء

اخب من الخصب بكسر اوله وهو ضد الجدب **العيش** اي كثر قوت
الادميين والدواب **عندها** اي حليمة او الشاه ورجحه منها الاتي **بعد**
محل اي سنة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع

اذ اي ذلك الاخصاب وقت او لاجل ان **غدا** اي صار **للبني** الاعظم
غداء بالمعجمة اي لبان يغذيه وبين غدا وغذا الجناس السابق في عنا
وعناء **بالهامنه** اقتضوعف الاجر عليها من جنسها **والجزاء**
بالها كلة تعجب من هذه الافعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى
الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي ترجى ونظير هذا التعجب قوله في البردة
يا طيب مبتدا وما منه ومختتم فالندا فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل
او المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت امرا نادته على سبيل التعجب وفيه
مجاز التشبيه للتشبيه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى من يسمع ويعقل وزعم
ان يا للتشبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قبل والتقدير يا متعجبا
تامل طيب مبتدا يه ونظير هنا يا متعجبا تامل ما اشير اليه **منه** تمييز
اي نعمة منها عليه **لقد** اللام للقسم او للتاكيد **ضوعف الاجر** اي كثر
الثواب اذ تضعيف الشيء ان يزاد عليه مثله او اكثر **عليها** اي توالى وتتابع
حال كونه متواليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازي او على بابها
منه اي لاجلها على حد ولتكبروا الله على ما هداكم اي لاجل هدايته
اياكم وحال كونه **من جنسها** كما علم من قوله فسقتها الى الخ **والجزاء**
من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما
سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبينهما تباينهما مع انها كانت
وقت اخذه من امه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل ان غذاه
كان من البانها ازال الله عنها المحل والجدب وابدلها منها الخصب والخير
الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما
نشاء عن تسخير الله لها هذا الفعل الجميل الصادر منها للنبي عن سبق سعادتها

واذا سخر الاله انا سا لسعيد فانهم سعداء

و قد تقرر في المعقول والمنقول انه **اذا سخر** اي ذلل **ودفن الاله**

انا سا لغة في الناس لسعيد اي لخدمته ومحبته والقيام بشانه
فانهم بسبب ذلك سعداء جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد وبمنه
وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والاخرة ولان المرء مع
من احب من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح به الحديث ولان الارواح
كما في الحديث ايضا جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح ايتلف في
عالم الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي وروحها
وبوها بل ردصلى الله عليه وسلم سببي هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها
وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها وكذلك زاد في اكرام
بنتها الشيما لما اعتقها من جملة من اعتق من سبيهم كما ياتي وهذا من فن
البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان ياتي الشاعر ببيت يكون جملة حكمة
او موعظة او تنبيها او نحو ذلك من الحقايق الجارية مجرى الامثال كقول ابي
الطيب ٥ واذا كانت النفوس كبارا ٥ تعبت في مرادها الاجسام ٥
وهو كثير في كلام الناظم واصل ما ذكره بقوله ارضعته الى هنا ما رواه
ابن اسحق وغيره من قولها بعد ما قدمناه عنها انفا ثم قدمنا ارض بني
سعد ولا اعلم ارضا اجدب منها وكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب
ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى
تومر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح اغنامهم جياعا
ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من بركته
الزيادة والبركة حتى مضى لها سنتان وفطمته ولما قدرما حصل لها من الخصب
بعد الجدب بركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها
بكثرة لبن شاتها عقبه بما يبين بان تلك المضاعفة في قوله
ضوعف بلغت مرات كثيرة فقال رضي الله عنه

٣٦ حبه ابنت سنابل والعصف لديه تستشرف الضعفاء

حبة

حبه اي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه
يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها على ذكر المستعار له بان
لا يكون في الكلام ما سند اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم بكم
الايه انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذي هو هم
وقول السبكي انه استعارة راي مخالف للجمهور فلا يعول عليه كحبة واشار
الى وجه الشبه الذي هو تضاعف الجزائيين انه ليس من التشبيه البليغ
لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه فقوله ابنت سنابل كثيرة جمع
سنبله وهي مجتمع الحب في كل سنبله مايه حبه والله يضاعف لمن يشاء
ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين
مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف والعصف اي
والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن لديه اي عنده يستشرف اي يتطلع
الضعفاء اي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحال
ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقرا يتطلعون الى ورق
النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب
واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجدونه

٣٧ وانت جد وقد فصلته وبها من فصاله البرجاء

و بعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين انت به جده عبد المطلب
الذي في الرواية الاتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل ولان امه
ما كانت تفعل به شيا الا بعد امره وزجره نعم في سيرة بن هشام ان حليمة
رضي الله عنها لما اتت به مكة اضلته في الناس فاتت جده واخبرته
بذلك فدعا الله حتى وجده و الحال انها قد فصلته اي فطمته و الحال
انه يحق بها من اجل فصاله اي فطامه البرجاء اي الغنم الكثير لما شاهدت
من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها

٣٨ انما حرص المرضع قبل
عليه صوناله عن اجتباء

اذ احاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناءه

اذ اي اتت به وقت او لاجل انه **احاطت** اي احدقت **به ملائكة الله** لاجل شق قلبه الاتي وهذا ظاهر الرواية الاتيه الهم ثلاثة وكذا على رواية الهم اثنان لانهما اقل الجمع عند جماعة **فظنت** حليمة **بانهم** البانا به **قرناءه** اي شياطين يريدون ايذاه فخافت عليه واسرعت الى جده لتسلم من بغتته **قال نور الله ضريحه**

ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء

ورأى جده وامه حين ردته اليهما **وجدها** اي شدة محبتها له وتعلقها **به** وزاد معها ذلك وليلم من وباء مكة كما ياتي في الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه **و** هي للحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذي راها به **من** اجل **الوجد** الذي بها **لهيب** اي نار **تصلى** اي تحترق **بها الاحشاء** جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استينافية فمن ابتدائية محينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة ان شان الوجد انه ينشاء عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل ومن ثم دنى لحالها واطفاء نار ذلك الوجد برده اليها

فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يميل منه الثواء

فارقته بدل من انت **كرها** اي حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت في اقامته صلى الله عليه وسلم عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وساير متعلقاتها **و** الحال انه **كان لديها** اي عندها **ثاويا** اي مقيما **لا يميل** بالبنا للمجهول **منه** متعلق بقوله **الثواء** الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اي لا يميل اقامته بل يحب ويرغب فيها لما ترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس ولما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق

صدره لانه السبب في احضاره لجده وامه المذكور انفا ولذا ابدل من فاء احاطت في قوله **تعمده الله بالرحمة**

شق عن قلبه واخرج منه مضغة عند غسله سوداء

شق عن قلبه بالكيفية الاتية في القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استيناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع في زمن الرضاع وما بعده مما ياتي ويويده انه ذكر في قصته اشياء كون الخاتم جبريل لم ترد في قصة شقه عقب الرضاع بل في شقه الذي عقب ذلك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة التي بسطها وهو اعني القلب مضغة في الفواد معلقه بالسياط فهو اخص من الفواد قاله الواحدي والذي في الصحاح انهما مترادفان **قال** البدر الزركشي والاحسن قول غير الفواد غشاء القلب والقلب حبته وسويداه وبويد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشري بان الفواد وسط القلب سمي به لتفوده اي توقده والقلب مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ما قاة تقلبها الريح بطن الظهر **واخرج منه** اي القلب **مضغه** اي قطعة لحم قدر ما يمضغ **عند غسله** ظرف لاخرج **سوداء** صفة لمضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة اجزاء الانسان فعدمها نقص في البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتبار والعناية من خلقه بدونها وياتي في رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان سودا وان ولا ينافي ما ذكر الناظم لها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما ياتي فلا بدع انه اخرج منه واحدة ثم شقان لان المراد بها المبالغة في تطهيره وتكريمه وذلك يستدعي استقصاء تنظيف جوفه **قال رحمه الله**

خصّه عنى الامين وقد اودع ما لم يُودِع له انباء

خصّه اي ذلك الشق المفهوم من شق وهي استيتا فيه او معطوفة على
شق بحذف حرف العطف اي ثم بعد شقه لأمّه واعادته الى ما كان عليه
عنى جبريل عليه السلام **الامين** على كتب الله ووحيه **و** الحال ان ذلك
القلب الكريم **قد اودع** حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار
الالهيه **ما** اي الذي او شالم **يودع** بضم التا وكسر الدال المهملة اي تنشر
له اللام زايده اي ما لم تنشره وتحيط به **انباء** اي اخبار لانه لا يعلمه
الا مولية والمتفضل به عليه **قال** العلما جعل الله القلب في الانسان
هو الذي يعقل عنه وهو اصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل
اسراره التي يودعها قلب من شاء فاول قلب اودعها قلب محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اول خلق وصورته اخر صورة الانبيا فهو اولهم واخرهم فلذا
خان جميع كما لاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله **قال**

٤٤ **صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء**

صان اي حفظ **اسراره** التي اودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك
الختام الواقع من جبريل وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين او نحوه
وبينه وبين ختمه جناس الاشتقاق **فلا الفض** بسبب هذه الصيانة **لا الفض** اي
الكسر بالتفرقة **ملم** اي واقع به اي بذلك الختم **ولا الافضاء** اي الاشاعة
واقعة لذلك الستر وبين الفض والافضا التجنيس المطلق ومر فيه
بي قيصر وقصور زياده ويجري ذلك في قوله بعنى الامين واصل
قوله وانت جده الى اخره قول حليمة رضي الله عنها بعدما قدمته عنها
كما في السير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه
وفصلته فكان ينبت شبابا لا ينبته الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى
كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شي على بقايه عندنا

لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه
وبا ومكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا
بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لغنمهم لنا خلف بيوتنا جاء
اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي فقد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض
فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابو نشتد نحوه فنجده قائما
منتقعا لونه فاعتنقه ابو وقال اي بني ما شانك قال جاني رجلان
عليهما ثياب بيض فاضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه
ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابو يا حليمه لقد خشيت ان يكون
ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نخوفه قالت
فاحتملناه الى امه فقالت ما رددكما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا
نخشى الاحداث والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما
فلم نرعها حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه الشيطان لا والله
ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعياه عنكما
وفي حديث عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا في بني
سعد بن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن وادي مع انراب لي من الصبيان فاذا
انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملي ثلجا فاخذوني من بين اصحابي
وانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض
اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مغرزي الى صدري الى منتهى عانتي وانا انظر
اليه فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم
غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده
في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء
فرمى بها ثم قال اي اشار بيده يمنة وليسرة كانه يتناول شيا فاذا خاتم من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة

ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث
لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فانتهى فالتأم
ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني لفاضا
لطيفا الحديث وفي رواية عند البيهقي ان احدا لثلاثة في يده ابريق
من فضة وبيد الثاني طشت من زمرد خضرا وورد في الثابوت المذكور
في الاية انه كان فيه الطشت الذي غسل فيه قلوب الانبيا عليهم الصلوة
والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به قيل وانما
يسلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص الختم به كما مر فالحكمة انه من جملة
علامات النبوة وانما شاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة
في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما مع تكرر
الشق لان الوارد فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية
البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا تدركه العقل وروي
الشق ايضا وهو ابن عشر سنين ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو
نعيم في الدلايل ورواها عبد الله بن الامام احمد في رواية مسند ابيه
بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة
قال اني لفي صحراء واسعة امشي ابن عشر حج اذا انا بر جلين فوق رأسي
يتول احدهم لصاحبه هو هو قال فاقبلا فاخذاني واضجعاني بحلاوة
القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر
يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا الصدري فيما اري
مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال شق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل
والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة والرأفة قلبه
فادخل شيا كهيئة الفضة ثم اخرج دردا كان معه فذر عليه ثم نفذ
لشاني ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورافتي للكبير

ودروي خامسة ولا ثبت وحكمة شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج
ما مر منه تطهيره عن نقايص الصبي ليكون حينيذ على اكمل صفات الرجولية
ولذلك نشاء على اكمل احوال العصمة قال بعض الايمة ولعل هذا
الشق كان سببا لاسلام قرينه المروي عند البزار واشارة الى حظ الشيطان
المباين له كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته ولمكنه الله منه
واما قول الرازي وغيره في حال الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز
تقديمها على النبوة لان الذي عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران
المعجزة بالتحدي فرد دد بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظائر
ذلك كثيرة قيل هذا الشق هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك
تنبيه اول بنت شق صدره الشريف مرة اخري عند مجي جبريل له بالكوثر
وهو بغار حرا كما يأتي ومن رواها الطيالسي والحارث في مسنديهما وكذا
ابو نعيم ولفظه ان جبريل وميكايل شقا صدره وغسلاه ثم قالا
اقراه باسم ربك الايات والحكمة كمال التهيوء والتقوي على ما يلقى اليه
من القول الثقيل بقلب قوي في اكمل احوال التطهير وبنت مرة اخري تواترت
بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسري ففي البخاري وغيره انه شق
قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج الى ركوبه البراق فشق من ثغرة
نحره الى مراق بطنه فاستخرج قلبه ثم غسل في طست ذهب اي لان محرم الذهب
انما كان بعد علي ان الغالب في احوال تلك الليلة انه من احوال الغيب فيلحق
باحكام الاخرة مما وحكمه وايمانا ثم حشي اي وتجسم المعاني جسمانية ومنه
الرواية الصحيحة يوتى بالموت ثم اعيد وحكمة هذا الشق التهيوء الى الرقي
الى الملاء الاعلى والتقوي على استجلاء ما شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا
لموسى صلى الله عليه وسلم لانه لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق وغيرهما
يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تاويله لصلاحية القدرة له

ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في تاويلهم نصوص سوال الملايكة
وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فتح الله هولاء
ومن يتعمم وقد رى ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار وكانت عليه بردا
وسلاما وهذا الشق ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل صلى الله عليه
وسلم فانه مقدمات ذبح لاحقيقته كما هو راي اهل السنة وبتقدير الذ
ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وامر السكين على حلقه فلم تقطع شيا
وبتقدير ذلك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج
القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق نوع مشقة
لرواية فاقتل وهو منتقع اللون اي صار كلون النقع اي الغبار وهو شبيه
بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وماشق عليه اي صبر صبرا من
لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعد ما فطم مع انفراده عن امه ويتمه
من ابيه واختطافه من بين الاطفال ليكون تسهيلا لما يلقاه في المال
ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسرا بماء زمزم اي لانه يقوي
القلب ويسكن الروح واخذ البلغميتين من اثار الملك له على ماء الكوثر
انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازعه فيه بما لا يجدي كما بينته في
شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه اكثر اهل
السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الايات لا في الدماغ تنبيه
ثان قال القاضي عياض رحمه الله ختم النبوة اثر شق الملكين بين كتفيه
وابطله النووي رحمه الله بان شقهما كان في بطنه وصدره اي كما جاء في
الروايات ومن ثم صح عن انس رضي الله عنه كنت اري اثر المخيط في صدره
فالصحيح او الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة
وتفتح فمعجمتين اعلاه ورواية انه الايمن ضعيفة قيل ولربه ورد

ابو نعيم انه جعل عقب ولادته والذي في حديث البزار وعين عن ابي ذر
يا رسول الله متى علمت انك نبي وبما علمت حق استيقنت قال اتاني اثنان
وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال احدهما لصاحبه
شق بطنه فشق بطني واخرج قلبي فاخرج منه مضغة الشيطان وعلق
الدم فطرحها فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل
قلبه غسل الملاي الثوب الذي يتغطى به ثم قال احدهما لصاحبه خط
بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان وولياعني فكانى اري
الامر معاينة وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه
علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه ايتني بماء وثلج فغسلا به جوفي
ثم قال ايتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه
وختم عليه بخاتم النبوة تنبيه ثالث اختلفت الروايات في كيفية
تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع مضغة
ناشزة بندقة سلعة شئ يختم به فتاحة شامة خضراء محمرة في اللحم
شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات ذر الجملة اي الشخانة وعن
الهاء هنا الطاير المعروف وذراها بيضها مردد قال المحققون ولا اختلاف
في ذلك في الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مرادها واحد وهو
قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع
الكف اي على هيئته لكنه اصغر منه وفي المستدرك عن وهب ان شامات
النبوة في ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا
صلى الله عليه وسلم فايدة اخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم
عن العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك اما
لبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك حيث استرت
اليه مال قال صلى الله عليه وسلم اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا

واسمع وجبته اي سقطته حين يجد تحت العرش قال البيهقي تفرد
به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات
حسن **ولما** فرغ من ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع عقبه
من شق صدره ذكر حكم ستانه في حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه
الاني بتهجة ما اودعه قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال

الف المسك والعباءة والخلوق طفلا وهكذا النجباء

الف المسك والعباءة عطف تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما **والخلوق**
عن الناس في حال كونه **طفلا** فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان
يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا لانه لو تعبد لنشر احد
لظن انه من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل
بشرع ولم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى
عليهم الصلوة والسلام ومعنى ان اتبع ملة ابرهيم اي في التوحيد وخص لانه
الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوة من الرفق الذي لم يوجد
بكماله الا لابرهيم وغايته الا لنبينا صلى الله عليهما وعلى ساير الانبيا والمرسلين
وسلم وقد امر باتباع الكل في فعلهم اقتده مع اختلاف شرايعهم ومع
ان فيهم من ليس برسول كيوسف عليه السلام في قول فيتعين ان المراد
اصول التوحيد والاخلاق **فان قلت** لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام
فيما قبل النبوة والذي في الاية بعدها **قلت** بل يحتاج اليه كما ضعفوه
لان القايلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر
باتباعه فما لم ينزل عليه في شي فامس بذلك بعد النبوة يدل على انه كان
يا لفه ويعمل به قبلها والا فكيف يومر باتباع ما لا يعرفه **قال** السراج
البلقيني ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفيه تعبده عليه الصلوة
والسلام لكن روى بن اسحق وغيره انه كان يجاور في حرا شهرا في كل عام من السنة

يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه
من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل من بيته حتى يطوف بالكعبة
انتهى والظاهر كما قاله غيره واحد ان عادته كانت الذكر والفكر مع الكتاب
للخلوة والانعزال عن الناس بجوار غيره **وهكذا النجباء** اي ومثل هذا
الشان العلي شان الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق
ويليه في ذلك ابوه ابرهيم صلى الله عليهما وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع
الى الله عز وجل ينتظر الفرج من مولاه فان اسطاع عباده كما في الحديث
وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام التناسب في ذلك وثالث اقسامه
وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه
حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر فاتى من
اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم في الرقة والانكسار ومن اوصاف
اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة والايا والترفع عن قبول
الحق والفاظ البيت تناسب معناه في السهولة وحسن السبك والمنقوطة
عن النظير وفوله **وهكذا النجباء** تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى
تشتمل عليها للتاكيد وهو ضربان احدهما وهو ما هنا ما اخرج مخرج المثل
نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر **قال** رضي الله عنه

واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

و انما كان هذا شان النجبا من الانبيا تم صالحي امتهم لما هو مستقر
معلوم انه **اذا حلت الهداية** وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة
عليه فقط ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي لا توصله ومن الثاني
فاما ثمود فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على
الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك **قلبا نشطت للعبادة الاعضاء** لان

وهو شابه الاطراف بان تتناسب
معانيها اذا التباعد انفق بينها الفة
اذ كرلانها السبب ع

٤٥

الداعي لبعثه صلى الله عليه وسلم وحده له
بانه صاحب الكتاب المكرم
الذي لا يمسه الا المطهرون
بلغه كاب غيره ولا يحتاج

القلب هو رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ثم صح عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي
مرت نظائره **واعلم** ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع
له بعده وبين مبعثه وقايع وقعت لابأس بالاشارة اليها باختصار وذلك
ان حليمة لما ردته الى امه وجد كان في كلاءة الله وحفظه بنبته نباتا
حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما اشار الى ذلك الناظم بقوله
الف الفلك الى اخره **ولما** بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل
اثنى عشر وبينا وبين ذلك اقوال اخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة
تزور اخوال ابيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام ايمن **واخرج** ابن
سعد انه صلى الله عليه وسلم لما راى دار النابغة قال ههنا نزلت بي امي
واحسنت العوم في بير بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي
قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته
فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت امه به ماتت بالابواء **وفي** رواية
للهادفنت بالحجون **وفي** اخري في بعض دور مكة كما في القاموس
وحضنته بعدها امته ام ايمن بركة ثم مات جد كافله وله ثمان سنين
وقيل اكثر وقيل اقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله عمه ابو طالب شقيق
والده **واخرج** ابن عساكر عن عرفطة قالت قدمت مكة وهم في قحط فقالت
قريش يا اباطالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج
ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجنة جلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة
فاخذه ابو طالب والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء
قزعة فاقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدق الوادي وانفجر له الوادي
واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب من قصيد

وابيض

•وابيض يستسقى الغمام بوجهه• ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى
اخذ الشيعة منها القول باسلامه وتوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه
اسر اليه الاسلام عند موته ويويد ذلك ايضا ما في رواية البيهقي الاتية
لله در ابي طالب الي اخره لكن صرايح الاحاديث المتفق على صحتها ترد ذلك
وهي اكثر من ان تبين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاده لها
كان بعد المبعث وقد يجمع انه ذكر هذا البيت انما هذه الوقعة ثم كلمها
بعد المبعث ثم راي في شرح المنهاج للكمال الدميري في باب الاستسقاء عن
الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا
ولذلك يقول فيه عبد المطلب ويمدحه صلى الله عليه وسلم وابيض يستسقى
الغمام بوجهه البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به ابو طالب
وانه القايل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه
بتكرير الواقعة اذ واقعة ابي طالب كان المستسقى به فيها عند الكعبة
وواقعة عبد المطلب كان اولها انهم امروا باستلام الركن ثم يرقى لبا قبيس
ليدعو عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويومن القوم فنعل فسقوا
لكن **قال** الحافظ بدر الدين العيني شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الولي
العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا اعرفهم لكن لا يوثر ذلك فيها
لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضايل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب
على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وعبر توافقا وحينيذ
تعين الجمع بما ذكرته واما الثاني بكون ابي طالب هو الذي انشاء ذلك البيت
هو ما درج عليه امية السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلي في روضه الانف
امرا مقررا ثم بني عليه اشكاله وجوابه الاتي ورديها واما قول الدميري انه
انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه في اخر قصه عبد المطلب

ثمال اليتامى عصمة للارامل

ابن الوزير

ان رقيقة بنت ابي صيفي بن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم او
اليقظة لما تتابعت على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان
هذا النبي المبعوث قد اظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا
والخصب ثم امرهم بان يستسقوا به وذكر كيفية يطول ذكرها حاصلها ما
مر فلما ذكرت الرواية وهي الرواية المذكورة القصة انشات تمدح النبي
صلى الله عليه وسلم بابيات اخرها هذا البيت

• مبارك الامر يستسقى الغمام به • ما في الانام له عدل ولا خطر •

فكان الدميري لما راى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب التي رواها
الطبراني وهو يشبه بيت ابي طالب لعبد المطلب توهم من وجهين نسبة
هذا البيت في رواية المنسوب لابي طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتامل
هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير
الماخوذة من الكتب المعتمدة ثم رايت ما يقطع بغلط الدميري وهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت لابي طالب كما اخرجه البيهقي
عن انس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه اذا وجد
لا بد ان يئط وانشد ابياتا فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى
صعد المنبر فرفع يديه الى السما ودعا فما رد يديه الى نحره حتى التقت السما
بابراقها وجاؤا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم
قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله

• وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •

وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق بان
منشئ البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح تنبيه برواية ابن عساكر
هذه يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض البيت

دلم

ولم ير قط استسقى انما كانت استسقاته في المدينة في سفر وحضر وفيها
شوهد ما كان من سرعة اجابة الله له فالجواب ان ابا طالب قد شاهد
من ذلك ايضا في حيوة عبد المطلب ما دله على ما قال انتهى ووجه سقوط
ما تقرر ان ابا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشا
ذلك البيت وانشده حينئذ والعجيب من شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر
انه غفل ايضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال السهيلي
بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل
ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه
لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجا والعصمة الحافظ من الضياع
والارامل المساكين رجالا او نساء لكنه في النساء اكثر استعمالا ولما
بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ
بصرى فراه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين
انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد
الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سال
عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه
وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح وكسر مقصور ذكر جمع في الصحابة
بناء على الشرط دونه والايمان به ولو قبل المبعث وصح ان سبعة من الروم
اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورده ابو طالب وبعث
معه ابو بكر بلالا وقوله وبعث معه الى اخره وهم من احد رواته لان
ابا بكر اذ ذاك لم يكن متاهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند
البيهقي وابي نعيم وابن عساكر ان اخته الشيما بنت حليمة راته في
الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ
ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة اخرى لتجارة على ما ورد لكن بسند

انهم لما اقبلوا راى بحيرى غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزلوا
تحت شجرة فتغشت عليه الاغصان حتى اظلته وروى ان ابن ...

الشيما اسم عرفت به

ضعيف وبينه ان ابابكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك
سبب ايمان ابي بكر به لما نعت قبل غيره ثم خرج صلى الله عليه وسلم وله خمس
وعشرون سنه مرة ثالثه في تجارة لخديجه رضي الله عنها ومعه غلامها ميسرة
فراى في الهاجره ملكين يظلانه من الشمس وكذا رات خديجة ذلك لما اقبلوا
وهي في علية لها وفي هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان
سنها اربعون سنة والشهر حج
سنها ولما بلغ خمسا وثلاثين سنه خاف قريش ان تهدم السيول الكعبة
لتشعثها فاموا بانا قوم النجار القبطي مولى احدهم يبنيها وحضر صلى الله
عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم
تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة
زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السما فتسترق
السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السما لكن كانت العرب لا تلتفت
لذلك بالا فلما دنا دين متبعته حجبت الشياطين كما قال

٧ ٤ **بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء**

بعث اي ارسل **الله** علم على الذات الواجب الوجود والمستحق بجميع
المحامد من الخلق **عند** مثلث العين اي قرب **مبعثه** اي زمن بعثه صلى الله
عليه وسلم اى ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة
وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق **الشهب** على الشياطين الذين يسترقون
السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة للكاهن كما في الحديث ثم
يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تخرق الشيطان المسترق للسمع
او تخبله **حراسا** اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فصوحال او مصدر
راى لاجل الحراسة لشريعته التي سيأتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس
منها وهو للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من قوله نطرد الى اخره ففيه التتميم
كعلى حبه من يطعمون الطعام على حبه **و** كثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين

في

في نواحي السما **ضاق عنها الفضاء** اي المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه
حتى يستترون السمع منه وبين ضاق والفضا الطباق **قال رحمه الله**

٨ ٤ **تطرد الجن عن مقاعد السمع كما تطرد الذياب الرعاء**

تطرد حال من الشهب او صفة له كما في دلقدام على اللئيم يسبني لكن ظاهر
المقام ترجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة **الجن** ومن انهم اجسام
نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة **عن مقاعد** اي امكنة قريبة من السما
يقعدون فيها **للسمع** اي ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض
من الاقضية والمغيبات اما اكون ربما يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منهم
وان يعضهم ينسخه من كتب البعض الاخر وبان في الاعتنا والظهور للملائكة
واصل هذا قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الخبر فاسلموا ولوا الى قومهم
منذرين قائلين ما حكاه الله عنهم او اخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه
اهل السير انهم لما حيل بينهم وبين خبر السما فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين
بالعين قبل اتهامه فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قرية على ليلة من مكة
مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقراء فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر
السما فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الى الايات واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن الاية **قال** الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى
الله عليه وسلم خرج الى الطايف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات
بنخلة يقراء تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة بالشام اليمنى وما
ذكره صحيح الى قوله استماع الجن تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما
كان في ابتداء الوحي كما مر له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون
الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوه
باطلا وكانت النجوم لا ترمى قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان احدهم

لابائي مقعده الادبي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك لابليس فقال
ما هذا الامر الا لامر اي عظيم فبحث فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه
وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض
رواه النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى
الله عليه وسلم الى الطايف انما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى بن ابي
شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو
ببطن نخلة يقرأ القران فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية بن عباس يقتضي انه صلى الله عليه
وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم
ثم بعد ذلك وفدوا عليه ارسالا فوما بعد قوم اسمي وصح ان الذي ادنه بهم لما
وفدوا عليه بنخلة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع
في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا
تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه الى الطايف انما كان بعد موت ابي طالب
بستة عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من قريش
وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام شهرا يدعوا اشراف ثقيف فلم يجيبوه
واغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا
عقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا ادلفته الحجارة
قعد الى الارض فياخذونه بضربه يقيمونه فاذا استوى رجعوا وهم يضحكون
وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين
انه لقيه منهم اشد ما لقيه يوم احد وان جبريل نزل عليه حينئذ ومعه ملك
الجبال ليامره في قومه بما شاء فقال صلى الله عليهم وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وجاء عن بن عباس رضي الله عنهما
ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها

ويلقون

يتلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى
الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع
الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من
يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري قال
الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد
قبل زمانه وانما ظهر في ابتداء امره تاسيسا لنبوته نعم جاء عن معمر
انه قال للزهري اكان يرمي بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله
تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال علظت وشدد
امرها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال
كان الرجم قبل مبعثه ولكن لم يكن في سنه الحراسة مثله بعد مبعثه وعلم
من قول ابن عباس تجعله نارا ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل
عنه ذلك وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه وطرد ذلك الشهب لاوليك الشياطين
طردا بالغ جدا كما موصوله او مصدرية تطرد الرياب جمع ذيب بالهمز
وقد يخفف وتشبيهه شياطين الجن بالذياب صرح به الحديث الصحيح
الرعاء بضم اوله وكسر للغنم اذا ارادت العدو عليها قال

فحت ايه الكهانة ايات من الوحي ما لهن انمحاء

فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت ايه الكهانة
منعول مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اي صار كاهنا اي مخبرا بالامور
الخفية والمغيبات البعيدة اي علامتها وهي ما كانت تاتي به من الكهان
وتذكر من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض
الكلم للملائكة مع الفايه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما ر ايات
من جملة الوحي وهو الكناية والاشارة والرساله والالهام والكلام الخفي
ولذلك كان الوحي الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام الرويا الصادقه

لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح وما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير
ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وتمثل الملك له رجلا يخاطبه وصح انه
كان يأتيه في صورة دحيه اي لانه كان جميلا جدا اذا قدم تجار خرج الطعن
ليراه وتشكل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وان له ستمائة جناح قد الافق
في صورة رجل عيرا بعيد لان الاجسام النورانيه تقبل الانضمام حتى تصغر
الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكماش فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة
وهذا اولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة
الرجل صورة اخرى له وروحه متعلقة بهما اي كما في الابدال الذين تتعدد
صورهم في الوجود وروحهم واحد والتكليف حينئذ مناط باي صورة
اراد ها الانسان يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشد عليه وكذا كانت ناقة
صلى الله عليه وسلم يترك له وكان راسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض
من ثقل الوحي حتى انه يقول لا اشي بعد اليوم على رجلي ابدا يأتيه على صورته
الاصليه ووقع ذلك مرتين كما في صون النجم كلام الله له بلا واسطه كموسى
واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض وبنبينا صلى الله عليه وسلم انما
وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى **وصح** عن الشعبي انه صلى الله
عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة
من الوحي ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن ثم وصف اتيان الوحي بانه **من ملهن**
انحاء من محى يمحو ومحى ومحيا اي ملهن ذهاب ولا تغيير كيف وقد تكفل الله
لهذه الشريعة الغراء بالحفظ باقيه على ممر الدهر الى ان ينزل عيسى عليه الصلوة
والسلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة موت الطائفة الذين اخبر
الصادق بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله
تعالى اي ريح لينه تقبض ارواحهم فحينئذ لا تبقى على وجه الارض من يقول الله

الله

الله وبين محت وانحاء جناس الاشتقاق ثم ذكر قضة زواجه صلى
الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها ولو قدمها كما فعلت لتوافق الواقع
لانها قبل قوله نعت الله الي امره لكان اولى فقال

ورانه خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

ورانه اي علمه وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر
امهات المومنين رضي الله عنهن **خديجة** بنت خويلد ابن اسد بن عبد
العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب
فاخر **وهي** للحال **التقى** هو البراءة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبداه
اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر ان اتقاكم
واعلمكم بالله انا وخبر اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية **والزهد** هو اخذ
اقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقد صح خبر ما
شبع ال محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض **وخبر** كان صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة واهله طاوية لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم
الشعير وخبر النعمان ابن بشير لقد رايت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم
يلتوي ما يجد من الرقل ما يملأ بطنه **وخبر** انه كان يمضي الشهران ولا توقد
في بيوته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء **وخبر** انه صلى الله
عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير
اخذها قوتا لاهله **فيه** كل منهما **سجية** بالسين المهملة اي خلق
غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا يتعين ان
يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال انه غريزة بالحديث
الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان اصول
الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها وهذا
هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة تغيره

الله قل التحويل ارد التمرة

من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر
بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوي وفي غيره المحمود حتى يصير محمودا وقد صح
انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة
قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني
على خصلتين يحبهما الله ورسوله فتردد السوال وتقرر عليه ليشعر
بان في الخلق الجبلي والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم
كما حسنت خلقي بفتح اوله فحسن خلقي وكان يقول في دعاء الافتتاح واهدني
لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع لنبينا صلى الله عليه
وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به حد اثنى الله العزيز
في كتابه عليه فقال مؤكدا لذلك بذكر الاستعلائيه وانك لعلى خلق عظيم
والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان
الغالب وصفه بالكريم لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والدماثة
بل لم صفتي الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمومنين شديدا غليظا على غيرهم
والحياء فيه سجية ايضا على اكمل غاياته ففي البخاري من حديث ابي سعيد
كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها وقيد به
لان حياءها فيه اشد لانه مظنة ان يظهر فيها طامع يدخل عليها فيه بسبب خلوها
في حضرة الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف
ما يعاب به من الحيا ولذلك سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث
على اجتناب القبيح ومنعه التقصير في حق من له حق ومن ثم صح انه لا ياتي الا
بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون
الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم **قال رحمه الله**
واناها ان الغمامة والسرح اظلته منهما اقياء
واناها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

وهما

وهما ان الغمامة وهي السحابة **والسرح** وهو كما في القاموس شجر عظام او
كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال وفضية سياق القصة الاتية ان المراد
الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل له **اظلته منهما** حال من قوله
اقياء جمع في وهو ما بعد الزوال من الظل وفاء اي رجع لرجوعه من جانب
الى اخر وفرق بعضهم بين الظل والفي بان الظل ما نسخته الشمس والفي
ما نسختها ومر ذكرهما تين الاتيتين قيل قوله بعث الله عند بعثه الشهب
وحاصلها مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه عبدها ميسرة
الى بصرى ونزل تحت ظل شجر فاظلته فقال راهب ما نزل تحتها الا نبي
وسال ميسرة اني عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال الراهب هو اخر
الانبياء ليت اني ادركه اذ يومر بالخروج وقال له من حالفه في بيع وهو
لبوق بصري احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط وقال
خصمه ليسرة هذا نبي والذي نفسي بيده هو الذي يجده احبارنا منعوتا في
كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يري ملكين يظلانه في الهاجرة
وراث خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فرات نساء
عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما
راه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط **تنبيه**
ورد في تظليل الغمام عليه صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة
وهو على شرط الصحيح الا ان في رواته غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام
في اشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل
يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين زاد البيهقي ورسول رب العالمين فقالوا له وما علمك قال
انكم حين اشرفتم من الثنية لم يسجد شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا

لبني و ابى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع
لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال
ارسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله فلما دنى الى القوم وجدهم قد سبقوا
الى الشجرة فلما جلس الى الشجرة مال فيء الشجرة عليه قال انظروا الى فيء
الشجرة مال اليه الحديث رواه ابو موسى الاشعري فاما ان يكون تلقاه عنه
صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه
بطريق الاستفاضه **ودوي** ابن اسحق معضلا والبيهقي في الدلايل
موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم
اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلته الشجرة
وتهصرت اغصانها اى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استظل تحتها القصه **وورد** ان حليمة رات الغمامة تظله وهو
عندها وورد ذلك ايضا عن اجنه من الرضاعة واشار غير واحد الى ان
تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل البنوة ارهاصا وتاسيسا
لبنوته كما يأتي ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله عنه اظله صلى
الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردايه
وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو بربي الجحفة وظلل به مرة
اخرى وهو بالجعرانه وانهم كانوا يأتي اسفارهم اذا انوا على شجرة ظليلة تركوها
له صلى الله عليه وسلم وسيأتي في شرح قوله واذا ما مشى مجى نوره الظل
الى اخر ما له تعلق بذلك **قال طاب ثراه**

٥٢ **ولاحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء**

و اتاها ايضا **لاحاديث** الاحبار والرهبان والكهان **ان** اي بان **وعد**
رسول الله مصدر مضاف للمفعول اي وعد الله له وهو عند الاطلاق لا

يستعمل الا في الخير **بالبعث** اي الارسال الى الخلق كافة **حان** اي قرب
منه اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله **الوفاء** اى قرب
وفاء الله سبحانه بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعته لي الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء
فسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يجمل من له ذرة من عقل على ان
يغسل قدميه ويشرب ما غسلهما **دعته** اي خطبته **الى الزواج** اي الى ان
يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت في نكاحك
لما رأيته وعرفته منك ومن ان سنها حينئذ كان اربعين سنة وسنه كان
صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت
قبله رجلين **وما احسن** هذا احدي صيغ التعجب **ما يبلغ المنى** الاماني
جمع امنية وهي ما يتمناها الانسان **به الاذكياء** جمع ذكي كغني والذكاء بالمد
حدة القلب ومزيد يقظته اى شيء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه
ومنهم بل من اكملهم خديجه رضى الله عنها فانها ادركت بتوقد ذكاها وتفرسها
فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته وامله مما لم تبلغه امراة من هذه
الامة اذ هي على الاصح افضل امهات المومنين رضى الله عنهن وهذا
من انواع البديع المسمى بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري
مجرى المثل السايرين من حكمه او نحوها كقول ابي الطيب

لان حملك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل

وهو كثير في كلام المنظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر
ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها
اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر
ابو بكر رضى الله عنه وروساء من مضر فخطب ابو طالب **فقال** الحمد لله
الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضيضيء معد وعنصر

اصل معد وعنصر مضر وجعلنا خضنة بيته اي الكافلين له وسواس حرمه
اي المتولين امره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به فان كان في
المال قل فان المال ظل زايل وامر حايل ومحمد بن قد عرفتم قرابته وقد خطب
خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما احله من مالي كذا وهو والله بعد
هذا له بناء عظيم وخطر جليل فزوجها ابو طالب منه **وذكر** الدولابي ويعزى
الله صلى الله عليه وسلم اصدقها مائتي عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية
قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما **قال**

واتاه في سنها جبريل ولذي اللب في الامور ارتياه

٥٣ و مما يدل على عظيم ذكايها وفرط معرفتها انه **اتاه** بعد النبوة والرسالة
في سنها جبريل كعندليب لغة في جبريل الملقى به ما امر من الوحي وكان
عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما
وقع لابرهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين في قوله
ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد المرتبة العليه **ولذي** اي صاحب **اللب**
اي العقل الكامل وخديجة رضي الله عنها من اكمل اولي الالباب واذكاهم
في الامور اي الاحوال التي قد تشتبه **ارتياه** اي استبصار في ارتيآته اي
تطرنه بالعين او القلب كما في القاموس وفراسة يقضي بها على تلك الامور
بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضيه والها وجه غاية
المناسبة لما قبلها وما بعدها لان الاعتراضية لابد لها من نكتة فوجهها هنا للاشارة
الى كمال عقلها واستبصارها مع انك ان هذا امر كلي جار مجرى المثل
والحكمة هو من ارسال المثل **قال** رحمه الله

فاماطت عنها الخمار لتدري اهو الوحي ام هو الاغماء

٥٥ **فبسبب** تلك المحنة مع ما عندها من كمال العقل **لماطت** اي ازالت **عنها**

اي

اي عن راسها **الخمار** وهو ما يخمر اي يغطى به الراس **لتدري** اي لكي تعلم
عين اليقين **اهو** اي اهذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى اتزجه عن
حاله المالوفة منه **الوحي** اي حامله وامينه الذكان ياتي به الانبيا قبله ومرت
اقسامه **ام** هي معادله لهمزة المطلوب بها وبام التعيين ولها اقسام
ثاني وهو ان تقع بعد همزة التسويه وسميت بذلك لمعادلتها لهمزة
في افادتها الاستفهام في الاول والتسويه في الثاني وتسمى متصله لان ما
قبلها وما بعدها لا يستغني باحدهما عن الاخر ويقابلها المنقطعه وهي
ثلاثة اقسام مبسوطه في محلها **هو الاغماء** الذي هو من بعض الامراض العارضه
ومن ثم جاز على الانبيا دون الجنون **قال** رضي الله عنه

فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد او اعيد الغطاء

٥٦ **فبسبب** ازالتها الغطا عن راسها **اختفى عند كشفها الراس** مفعول كشف المضاف
لفاعله **جبريل فما عاد او اعيد الغطاء** يعني الى ان عادت عطاء راسها
فاعيد ماضي مبني للمفعول والغطا نايب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال
واعيد منصوب بان مضمرة بعد او التي تضمر بوضعها حتى والغطا فاعل اعيد
انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الى اخره وكان هذا الوهم سرى
اليه مما يصرح به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى الى ان لا تدخل الا على
مضارع كما في حتى الغايه المرادفة لا والمذكورة كما صرحوا به وحينيذ فاضطر
ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول
الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقى اعيد على حاله
ويجعله منصوبا باو فهو حري بالفساد ولا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى
فليتجرد لدخول او الناصبة عليه لما صرحوا به في حتى المرادفة لها ان شرط النصب
بعدها ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل

المدينة فهذا يؤول بالمستقبل فنظر الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل
بالاضافة اليه لا انا نقول بمعنى قولهم او ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه
لفظ المضارع ومعناه ماض وكان مقتضى القياس ان لا تدخل عليه حتى الغايية
فاجابوا بان ما فيه من المضى هو زوال الاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما
لفظه ماض فلا تدخل عليه حتى الغايه اصلا **فان قلت** كيف هذا مع قوله
تعالى حتى اتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم **قلت** حتى هنا ابتدايه
لا غايه واو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغايه لا غير وقد صرح بذلك الائمة
ولحظه الجلال السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى
الابتدايه تليها الجملتان الاسمية والمضارعيه والماضويه والمصدرية بشرط
واما زعم ابن مالك الخاجاة غايية قبل الفعل الماضى باضمار ان بعدها على تاويل
المصدر فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام وقال لا اعرف له فى ذلك
سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة وردوا زعمه هو والاخفش الخاجاة
قبل اذا دان اذا فى موضع جر لها بانه خلاف ما عليه الجمهور لها ابتدايه واذا
فى موضع نصب بشرطها او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط
حتى لها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب فحرف جر او اسم
مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة او ماضوية فحرف ابتدا ولا محل لهذه
الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى فى ان كل جملة ماضوية دخلت عليها
حتى فى القران وغيره تكون حتى حينيذ ابتدايه ولا تكون جارة بمعنى الى وان
صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقديرها لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغايية
لا تدخل على الماضى فالتى معناها اولى **فان قلت** لم فتحت او على حتى الغايية
فى منع دخولها على الماضى ولم تفتحها على الى ان او الا ان اللذين بمعناها **قلت**
لما كونها بمعنى الا ان نحو ما ذكر ابن مالك وقد رد عليه حتى ولد ومن ثم قال
ابو حيان فراغنا ولد مع ان الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل على الماضى

الا

لا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او وقد كما هو مقرر فى محله واما كونها
بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضى لكونها غايية
كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود فى الى بطريق الاصاله فليمتنع على الماضى
دخولها بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان او بمعنى الى ان
وهذه تدخل على الماضى كما فى الحديث قام الى ان تورمت قدماه فليكن
وكذلك قلت هذا اشتباه لان المتضمنه فى او هى الناصبه وهى خاصة
بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة لها على الماضى واما ان الملفوظ بها
بعد الى وهى التى لا يتصور لها عمل وهى تدخل على الماضى فلا جامع بين
هذه وتلك **فان قلت** بعضهم يقدر او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط
وهذا يدل على ان لا نظرا اليهما **قلت** لا يدل لذلك بوجه وانما سبب
ذلك انهم اختلفوا فى ناصب المضارع الداخل عليه او فالاصح انه ان مقدرة
بعدها وقال قوم هى الناصبة بنفسها فعلى الاول يقدر بالى ان وعلى
الثانى بالى فقط **فان قلت** قد دخل الناظم او على الماضى فى موضع من
البردة وسكت عليه شراحها **قلت** الاعتراض عليه فى ذلك ايضا واما
الشراح فيحتمل انهم سكتوا على ذلك نظرا للمعنى او انهم غفلوا عما ذكرته من
صريح كلامهم الدال على ان او الغايه لا تدخل على الماضى ثم رايت شارحها
العلامة ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال فى دخلت البطاح لها ان
او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او الفها على حالها للشك او التخيير
وتكلف بيان ذلك ولم يصرح على الفها او الغاية بوجه وليس سر ذلك الامتناع
دخولها على الماضى والا كان معنى الغاية فى البيت اقرب مما تكلفه ولا يأتى نظير
ما تكلفه هنا بوجه والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم
يذكروا لا و الا قسمين عاطفة وناصبه وهى الخابية فالعاطفه امرها
واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص المضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها

على الماضي ولا تكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه لكن
البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه تلتبس مهم غفل عنه الناظم وغيره

٥٧ **فاستبانت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيمياء**

فاستبانت خديجة قيل صرفها للضرورة ورد بانها بافيه على عدم صرفها
والوزن صحيح اي ظهرلها اتم الظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة الاتي او
من غيره ان جبريل لا ياتي محلا فيه امراة مكشوفة الراس **انه** ان ما يعرض
للنبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه **الكنز**
اي الشيء النفيس بل الذي لا انفس منه **الذي حاولته** اي ارادت حيازته
والظفر به **و انه الكيمياء** اي العلم البديع الذي يقلب الاعيان الرديه
الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو العلم
المعروف للوحي لانهما يحصل الذخاير النفيسة المنتفع بها حالا ومالا كما
ان الوحي كذلك وايضا هما لا يظفر بهما الا العدد النادر كما ان الوحي لا يظفر
به الا اكمل البشر وهم في غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار
بذلك ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه
وسلم حاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة وقيل وكسر بعثه
الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع
الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق اجمعين
كما قال صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة **روي** البخاري وغيره
اول ما بدء به صلى الله عليه وسلم من الوحي المرويا الصادقة فكان لا يرى رويا
الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدى بها لان الملك لو فجاه بها بغتة لم يحتمله قواه
البشرية وكان ياتي حرا فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى خديجة
فيزود لمثلها حتى فجاه الحق اي جاه جبريل وهو بغار حرا فقال له اقرا
قال ما انا بقاري اي لست بقاري قاله امتناعا لانه كان اميا لا يقراء ولا

يكتب

يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال اقراء قال ما انا بقاري
قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك وقال له اقراء قال ما انا بقاري
اي ما الذي اقراؤه فغطه وارسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد
التاهل الى لقاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين ثم اتى الملقى منه
ثم قال اقراء باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل
على خديجة فقال زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة
ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على اي قبل ان يحصل لي العلم الضروري
بان المجيء جبريل او خشيت ان لا اقدر على حمل اعباء الرسالة وان يقتلني قومي
ولا بد فانه بشر فقالت له كلا اصبر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت
الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف
الانجيل فقالت له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله عليه وسلم ما راى فقال
له هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها اي مثلك جذعا اي شابا
لا بالغ في نصرتك ان يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم ياتي رجل
قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب
ورقة ان توفي وفتر الوحي ففتن حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكور ذها به
الى ذروس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيتبدى له جبريل ويقول يا محمد انك
رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى
الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا اي لاطلب النبوة فلما هو بوبة لا
تنال بكسب الله اعلم حيث يجعل رسالاته **فلما** قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا لم ابت له فاتيت
خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر
الايه وهذا بعد نزول اقراء على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال

نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنه فقرن بنبوته
اسرافيل ثلاث سنين وكان يعلمه الكلمة والسر ولم ينزل عليه القران على
لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران على
لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده صلى الله
عليه وسلم ومزيد تشويقه الى الاشتياق للعود **وروي** اصحاب السير
انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت انستطيع ان تخبرني بهذا
الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها به فقالت له اجلس
على فخذي الايسر فتعل فقالت انراه فقال نعم فقالت فعلى الايمن
ففعل فقالت انراه قال نعم فقالت اجلس في حجري ففعل فقالت انراه قال
نعم فالقت خمارها ثم قالت انراه قال لا قالت ابشر فوالله انه لملك
ما هذا شيطان **قالت تغمده الله بالرحمة**
ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة واباء ٥٨

ثم بعد تلك الفترة ونزول فاتحته تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر
صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ **قام النبي** اي جد واجتهد
في حال كونه **يدعو الى عبادة الله** والايمان به ورسوله وترك ما هم عليه
من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه
وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكر في اول
سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس
ليلة الاسراء بمكة قاله النووي وقال في فتح الباري كان صلى الله
عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض
عليه الخمس صلوات ام لا فقيل ان المفترض صلوة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وروي
ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال
يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم

الى

الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبع عين ماء فتوضاء منها جبريل
ثم امر ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامر ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلوة
ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر الا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها
فتوضات وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث
وهي الحال **في اهل الكفر بخذ** اي فتوة تامة وتحزب عليه **واباء** اي امتناع
عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به **قالت نعم الله**
اما اشريت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء ٥٩

اما مفعول يدعو اي جماعات هم امة الدعوة **اشريت** بالبناء للمفعول
قلوبهم الكفر اي اختلطت به تقديرا بجسمه ويمكن ويفاجيه بحيث قد صارت
لا تقبل غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب
للمخالطة وشدة الممازجة وحسنه **فداء الضلال** الذي استقر **فيهم** اي مرضه
والاضافة ببانيه اي فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه
عياء بهملة مفتوحة وتحتيه اي داء عضال اعيا الاطباء مداواته وحصول
شفايه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل في الاسلام رجال
ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولاهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال
ابو بكر ومن الصبيان علي وصبغ اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة
بالتمييز ومن الموالي زيد ومن الارقاء بلال **وروي** ان ورقة اسلم فان صح كان اول
من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم ثم دخل الناس
في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهار
امره بقوله فاصدع بما تؤمر فقالوا وكان ذلك بعد البعثة بثلاث سنين ولم
يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من البعثة فاجمعوا
على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق المحبة كابي طالب فاحدق عليه

وضعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم
منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم عنز بني لهب
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيا وابو لهب وراءه يحذرهم منه ويرميه بالسحر والشعر والكهانة
والجنون وكان بعضهم يحثو بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن
معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبزران وخنق
خنقا شديدا وجذبوا رداءه ولحيته حتى سقط الكثير شعره فقام ابو بكر رضي الله
عنه ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضي الله عنه سنة ست من النبوة فعز به
وكفت عنه قريش فلما رأوا ان ملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء
ويترك ما هو فيه فابى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي سنة خمس
اذن الله لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله عنهما بثلاثة ايام
فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك
ابا طالب فجمع بني هاشم والمطلب فادخل صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه

ورأينا آياته فاهتدينا واذا الحق جاء زال المراء

ورأينا مستعارة الاجابة اي ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطرق التواتر
والنبي ويصح انها بمعنى علم في الكل وهو واضح وابصر في الكل وهو فيمن بعد
الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على ايات لا تحصى **آياته** اي
معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته **فاهتدينا** اي وصلنا الى المطلوب منا
من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا
الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه **اذا جاء الحق** زهق الباطل وبين
بجاء ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح
زال المراء اي الضلال والجدال فيه وفي هذا البلغ التعريض لكفار قريش

حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كمالاته الاعظم خلقا
وخلقا وعلما وبيانا ومن معجزاته الدالة على صدقه **قال**

رب ان الهدى هداك وانك نور تهدي بها من تشاء

يا رب ان الهدى اي اتباع الحق **هداك** اي ليس الا بتوفيقك وهدايتك
كما قلت في كتابك فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء فمن يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له **و ان آياتك** التي اقمتها ادلة على صدق انبيائك
ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكدا لما قبلهما وعلى الثاني هي مؤكدة
ايضا لكن فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام **نور** كما
قلت قد جاءكم من الله نور **تهدي بها من تشاء** هدايته وتضل عنها من يشاء
غوايته ففي كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه وايماء الى
ان الايات لا تنفع مع سبق **ولما** قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدي به من
يشاء ويضل من يشاء وان الايات وحدها لا تجدي شيا ذكر ما يستغرب من ذلك
ويقربه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال **رعى الله**

كم رأينا ما ليس يعقل قد ألهم ما ليس يلهم العقلاء

كم مرة اي مرارا كثيرة خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر
جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر واصح من
جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية **رأينا** اي علمنا وابصرنا نظير
ما مر واستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه جائز وعلى
منعه للذي ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز **ما** اي شخصا **ليس يعقل**
اصلا كالحيوان والجماد **قد ألهم** من الالهام وهذه في موضع ثاني مفعولي رأي
ما اي كثيرا **ليس يلهم العقلاء** ظرف او علة لرأي **قال**

اذا بي العقل ما اتى صاحب العقل ولم ينفع الحجى والذكاء

اذ ابى اي امتنع الفيل المذكور في الاية من ان يفعل ما اتى اي عزم عليه
صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعا وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة
وبين ابى واتى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ولم ينفع الحجى اي العقل الوافر والذكاء اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما
يوفق مع وضوح فرقان ما بينهما في الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال
ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه
القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى
النجاشي قد بنيت لك كنيسة بصنعاء واريد ان احرج العرب اليها فجاء رجل
من بني كنانة فاحدث فيها فمضى بذلك فغضب وحلف ليسيرن للكعبة العرب
ليهدمها فامر للحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه فيل واحد يسمى محمودا وقيل
اكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة فبلغ
ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت ان له ربا يحميه ثم
ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة
فركب في قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت داية عزة رسول الله صلى الله عليه
وسلم به على جبينه كالهلال واستدعاهما على الكعبة مثل السراج فقال
ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا
ثم ارسل ابرهة رجلا الى سيدهم وهو عبد المطلب ليخبره ان لا حاجة له بدمائهم
وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتموني بخير تم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا
بحربه والبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله ونزل
عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد علي ابلي فقال
له كنت اعجبتني ثم زهدت فيك تكلمني في ابلك دون بيت هو دينك ودين
ابائك فقال اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع
فاخبرهم فتحرزوا في شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر

من

نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفي رواية انه سمع
[illegible] لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع له وتلجلج
لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا
لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان عبد المطلب لما ذهب
لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما راى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام
عليك النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهة بالمغمس هيأ فيله وجنوده
لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما
برك لما وصل الى وادي محسر ولذا سمي بذلك لان فيلهم حسر اي اعيا فيه فضربوه
في راسه وسرابن بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام
ففيئ ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل
طاير منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا يصيب
احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده
فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو مثل فرخ الطاير وسال منه
الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة في سورة
الفيل وافتتحها بالم تر مع ان المخاطب لم يكن قد رآها بل قبله ولا دنه اشارة الى ان المراد من
الرؤية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا
للعلم الحاصل بالرؤية الباصرة وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا صلى
الله عليه وسلم فانها كانت ارهاصا وتاسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجز على من
النبوة تاسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والجماد
قرب بعثته صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بها شئ الا سلم عليه سلاما يسمعه باذن
وعلى شرف قومه وحمايته الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا
قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم دل ذلك على عظيم اعتناء الله بهم
ولقد نعى الارهاص بعد محي النبوة وتبوئها بالدلايل القطعية امل الحجاج فجحد الله

حتى خرب الكعبة ولم يعاقب نبيي ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر
قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال رضي الله عنه
والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء ١٤

والجمادات وهي ما لا روح فيه **افصحت** اي اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح
لا تلعثم فيه قبل خلقه الله فيها حينئذ من عز حيوة وان من بنى الابيض بحجر
وقيل الخالق فيها حيوة ولسانا وادراكا تنطق مختارة عارفة بما تنطق به
ويدل لهذا ما يأتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه
الحيوة والعقل والشوق حتى حن وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعري ان خلق
الصوت في محل لا تستلزم خلق الحيوة والعقل فيه لانا لم نأخذ الحيوة من نطقه به
بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وان وان مذهب الاشعري ان الذكر المعنوي
والكلام النفسي يستلزمان الحيوة لاستلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه وسلم
معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله **الشهاك** بالابناء والارسال **الذي**
اخرس عنه لاحمد متعلق بافصح **الفصحاء** نايب فاعل اخرس وفيه الطباق
اي ان العرب قريبا وعجمهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت
السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان والشهادة له بالرسالة وشهد له
بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ بيان **فمن** دلك تسبيح الحصى في يد
صلى الله عليه وسلم ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهم ما يسمع تسبيحهن
من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن ابن مسعود رضي
الله عنه كنا ناكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي
سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل
ان ابعث اني لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بن فاق المرفق لانه
كان بمر صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا
وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا

في

في نواحي مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
وروى البزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل بالرساله جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم
غطى العباس وبنيه بملاية فقال يارب ان هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل
بيتي فاسترهم من النار كسترى اياهم بملايتي هذه فقالت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين امين امين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر
وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على حرا فتحرك فقال اثبت وضربه برجله
فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل
الايمان فقال لله هل من شاهد قال هذه النخلة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي
على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا اي تشقها شقا فقامت بين يديه
فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي رواية قال لتلك النخلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها
ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فردت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي ان
اسجد لك فقال لو كنت امر احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها
وصح ان اعرابيا قال له بما اعرف انك رسول الله قال ان ادعو هذا العذق من هذه
النخلة يشهد اني رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي

تنبيه علم من كلام الناظم عن مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلايل
نبوته ما وجد في كتب الله من نعته وخروجه بارض العرب وما ظهر بين مولده
ومبعثه من العجايب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة لشرف العرب كقصة
الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف
الصارخة باوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها

من محالها بنه من غير فعل فاعل مع سذة بنائها واحكامها وما بث بعوضه من
العجايب التي ظهرت ايام رضاعه وبعد الى بعثته واتباع الخلق له مع انه
لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام
والمبالغة في الحمية لها بالمقابلة وشن الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم
عن سوء فعالهم النظر في عاقبته ولا خوف لايمة فالف صلى الله عليه وسلم
بين قلوبهم وجمع بين كلمتهم حتى اتفقت الاراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا
واحدة على من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا مهجهم
لنصرته ونصبوا وجوههم لدفع السيوف في اعزاز كلمته بلادنيا اقاضها عليهم
في العاجل ولا عز في الاجل اطمعهم في نيله بتجرونه بل كان من شانه صلى الله عليه
وسلم ان يجعل الغنى فقرا والقوي اسوة الضعيف الوضيع فهل يليتم مثل هذه
الامور من قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق انما ذلك امر
الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له
الخلق والامر فتبارك الله رب العالمين وهذا الذي اوضحته يتضح
تعجب الناظم لما مر بقوله تعالى الله برحمته

ويح قوم جفوا نبيا بارض الغنه ضبابها والظباء ٦٥

ويح منصوب بفعل محذوف او بحذف النداء اي يا ويح على حد يا حسرة
على العباد اي احضري هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الايمة انه حيث
كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض
تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا مما استعمل مفردا ومضافا قولهم
ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع
الرفع لانه مبتدا لا خبر له ومتى افردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير
قوي لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل
قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على ويل تعين نصبه

ومنع

ومنع المازني عطف ويح على ويل وعلله على تناقض معناهما ورد بان ويح اخرج
مخرج الدعا وليس معناه الدعا وبنا يستعمل كقاتله ما اشعره فعلم ان ويح وويل
ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا
واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل
كلمة عذاب وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقط ليستشكل اتيان الناظم بها في هذا
المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدايم وقد يجاب
بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا
الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان
الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محظور فيه

قوم جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلاله والتعظيم ما لا يبلغه نبي اي بغضوه
واذوه بالايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر انفا مبسوطا بارض الغنه

ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث
كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسناده ولا متنا
وهو انا عرابيا اصطاد ضبا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين
يديه وقال لا اومن بك حتى يومن بك هذا ففال له يا ضب قال لبيك
وسعديك قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا
قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد
بان نهايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من
هذا والظباء جمع ظبي روى حديثه من طرق البيهقي وابو نعيم والطبراني
وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الايمة
بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد
كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ

بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر
اليوم فلعله استغنى عنه بغيره اولعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هتف هاتف لهتف يا رسول الله ثلاث مرات
فالتفت فاذا ظبية مشدودة في الوثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار اي الكاس
ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي
فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
ولم ير المصنف لحصر في هذين فقد صح ان الذئب اتاه واخبر بنبوته
صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه اخذ
شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب
الراعي من كلامه فقال الا اخبرك بأعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم
بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن
فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادى الصلوة
جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عن سعيد ابن منصور في سننه
ان الذئب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال وافد الذياب جاء ليسالكم
ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا والله لا تفعل واخذ رجل من القوم حجرا
رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال له صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب
وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما ورد في حديث طويل لكن قال ابن
الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جاء في عدة طرق بعضها سند جيد
وبعضها سند صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله
عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال لاصحابه

قوموا

قوموا فقاموا ودخل الحايط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب
الكلب فقال ليس على منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر
ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان فاوطاه حتى ادخله في العمل الحديث
وفي رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فراى جملا فحنن
اليه وذرفت عيناه فمسح قريب راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه
البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه
وجاء بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم قال

وسلوا وحن جذع اليه وقلوب دون الغرباء

وسلوا اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية
تزاهته ونهاية كماله والحال انه حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة
صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوي بحمل قول التاج السبكي
الصحيح عندي ان حقيقته متواتر وسبقه لذلك القاضي عياض وحاصلها
انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع
نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات
وضعه موضعه الان بالمسجد ثم تحولي الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر
فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور
حتى اربخ المسجد لخواره وفي اخري خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى جعل
يان ابن الصبي وفي اخري حن حنين الناقة التي انزع ولدها فنزل صلى
الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسح بيده ولعله
فعل به الامرين وفي اخري ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحننا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل استشار
الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى صلى الله عليه وسلم للموتى لانهم

عهدت لهم حين رجعت اليهم بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه
صلى الله عليه وسلم خير بين ان يعيد الى مغرسه كما كان او ان يغرسه في
الجنة ياكل اولياء الله من ثمر ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفنا
وامر به فدفن ومر في شرح قوله والجماد ان افضت الى اخره ماله تعلق بذلك
وقلى اي ابغضهم **و** الحال ان قد **وده** اي اجبه وبين السلو والحنو
والقلا والود الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الاتيين **الغرباء** الذين هم
ليسوا من عترته ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفت قريش من كماله الاعظم
كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي
لقيهم فيه يعرض نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي بعض
الخزرج عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون
اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القران وكان عندهم علم منه
فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الان نتبعه
ونقتلكم معه فاجابوا ليلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال
لهم تعرفون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه
فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل **فلما** وصلوا
المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في العام
القابل اثنى عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن
الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم
ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم
ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القران فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يده
جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم
جميع بني عبد الاشهل في يوم رجالهم ونساءهم الا اواحدا فوم واحد ولم يكن
فيهم اعني بني عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم ونساءهم في العام القابل في الموسم

نحو

نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعوه بايعهم بما يمنعون منه
نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر بمكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى
وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله له من
يثرب وذكر الحديث وفيه على ان تنصروني اذا قدمت عليكم بيثرب فتمنعوني
مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة **وحضر** العباس
رضي الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه الى المدينة فخرجوا ارسالا
واقام ينتظر الاذن له في الهجرة واستاذنه ابو بكر رضي الله عنه فقال لا تعجل
لعل الله ان يجعل لك صاحبا فتطمع ابو بكر رضي الله عنه في ان يهاجر معه صلى
الله عليه وسلم في من يبقى معه **فلما** بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحق
بالمدينة وانه ظهر امره لها واشتهر فاجتمعوا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه
او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جميل واظهر لهم انما يريد نصحهم وامرهم
ان يعرضوا عليه اراءهم ليختار انفعها لهم فقيل يحبسه فقال ينتزع منكم
فقيل يخرجه فقال ما يضركم بالاطافة كلمه فقال ابو جهل لعنه الله اري
من كل قبيلة فلانا قويا ثم نعطي سيفا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه
في القبايل فلم يقدر اهله على حرب قومهم فيختارون الدية فقال ابليس
لله درك هذا الراي فاجمعوا عليه فاتاه جبريل فقال لا تنم الليلة على فراشك
فاجتمعوا في الليل بابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا بان ينام
مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم يرد ونثر
على راس كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون
وصح انه ما اصاب احدا منهم ترابا الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل
يده على راسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك

الذين كفروا الا به ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال

٦٧ **اخرجوه منها واواه غار وحمته حمامة ورقاء**

اخرجوه بدل من جعفوه **منها** اي كانوا السبب في خروجه من تلك الارض
التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابايه احب ارض الله الى الله والى رسوله
كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا اني خرجت منك كرها ما خرجت وبقوله
كانوا السبب الى اخره اندفع ما قال هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط
ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه عما لغتهم في ايذاه وايذاء اصحابه لاسيما
ضعفائهم هو الحامل على انتظارهم الاذن له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم
سبب للاستيذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن
تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا للثاني ايضا كما تقدر وكان
ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول
او الخميس الذي يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان
خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليودي ما عنده
من الودايع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه قد اذن لي في
الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن
لتخلص هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاختفيا
فيه كما قال **واواه غار** ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور انه هنالك فلم
يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه
وجعلوا المزرد مايه ناقه ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام
غيلان فنجت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين فوقعتا
على فم الغار كما قال **وحمته** منهم **حمامة** فيه جناس سبق نظيره **ورقاء** وهي
ما في لونها بياض بخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما ومعنى حمايتهما

له ان فتيان قريش من كل بطن لها اقتفوا اثاره بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في
الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا
له مالك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر
ادخلوا الغار فقال اللعين امية ابن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا
اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله تعالى امر العنكبوت فنسجت
على وجه الغار ولذا قال الناظم **طيب الله ثراه**

٦٨ **وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته حمامة حصداء**

وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى **ما** اي
الاعداء الذين **كفته** اياهم **حمامة حصداء** اخذ من قولهم شجرة حصداء اي
كثيرة الورق فاستعاره للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء
لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او بمماثلين وروي ان
الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلا
لتكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت **قال** الائمة وهذا ابلغ في الاعجاز
من مقاومة القوم بالجنود وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم
فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام
لا يجوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه احد لما جرت العادة انهما
متوحشتان مهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء
من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده بما اراد يغنيه عن التحصن
بالامكنة والاسلحة وصح ان ابا بكر قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
لرانا فقال وما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم **رحمه الله**

٦٩ **واختفى منهم على قرب مرآه ومن سنة الظهور الخفاء**

واختفى صلى الله عليه وسلم اي استتر والاحسن عطفه على واواه غار
منهم على اي مع **قرب مراه** اي محل رويته وفي ذكر الناظم لهذا تعجب للسامع

وبيان هذه المعجزة العظيمه و حكمة استثنائهم منهم مع ظهورهم لهم ولو نظر
احدهم الى ما تحت قدمه كما تقرر ان من جمله شدة الظهور عليهم بالغلبة
والمعونة الالهية له الخفاء عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم
وحيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته بالخفا توهم انه اراد
به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو ان يذكر لفظا له معنيان بالاشتراك او التواطي او الحقيقه والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويوري عنه بالقريب
ليتوهمه السامع من اول وهله وهو هنا ضد الخفا الموهم له فيه واخفى
قال الزمخشري لا يري يا با ادق ولا الطف من التورية ولا انفع ولا اعون
على تاويل المتشابهات في كلام الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد من
الاستوا معناه البعيد الذي هو الاستيلا دون القريب الذي هو الاستقرار
في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر
فيها شيء من لوازم الموري به ولا الموري عنه والحق بهما ما ذكر فيه لازم كل منهما
لانهما كانا حينئذ منه ما في البيت فانه فيه لازم كل منهما بذكر اخفى
وبالخفا اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفا فان ذكر لازم احدهما
سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها بايد فانه يحتمل الجارحة وهو الموري به
ويرشحه بذكر البنا ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم
في حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر
في اية الاستوا والبنا ولعله اراد في الجملة لا بالنظر الى الكلام فيه وعليه
فوجه صحة الظهور الذي هو ضد الخفا هنا ان من المعلوم ان شدة قرب الراي
من العين توجب عدم ادراكها فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع
منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية في كونه اشرف انواع
البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان اشهرهما
انه يوتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى بضمير ويراد به

المعنى الاخر وروي ان ابا بكر رضي الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه
وسلم في الغار تقطر دما لانه لم يتعود الخفا فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه
وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه
فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية عند رزين فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعل راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر رضي الله عنه في رجله فلم يتحرك
به فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجد وروى ان ابا بكر رضي الله عنه لما راى القافه
استدحزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة
فقال صلى الله عليه وسلم له لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونه والنصر فانزل
الله سكينته عليه اي على ابي بكر لانه الذي انزعج وهي امنة يسكن عندها
القلب وايده اي رسوله بجنود لم تروها اي ملايكة يصرفون ابصار الكفار
عنه وبين قول بينا فان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان
معي ربي ما بين مقاميهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا صلى الله عليه
وسلم فامدا بابي بكر لشهود المعيه وقصرها موسى على نفسه وايضا فشتان
بين معيه الالوهية ومعيه الربوبيه والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث
في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله ابن ابي بكر رضي الله عنهما مع صغر سنه
يابتهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح بمكة وكان
عامر ابن فهيرة مولى ابي بكر يابتهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستاجر
عبد الله ابن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه
راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم عامر ابن
فهيرة فاخذ بهما طريق البحر قال رحمه الله

ونحى المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء

ونحى اي قصد المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم المدينة

المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت في طريق الهجرة غرايب منها
انهم مروا بقديد على ام معبد الخزاعيه وكانت تسقي وتطعم من مر بها وكانت
في سنة فطلبوا منها لبنا ولحما ليشتروه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها
الجهد عن الغنم فسالها هل بها لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذن
لي ان احلبها قالت نعم فدعى بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى
القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب مرة اخرى عللا بعد نهل وتركوه
وذهبوا فجاء زوجها فجيء منه فذكرت له القصه واوصافه صلى الله عليه وسلم
فقال والله هذا صاحب قريش ولو رايته لاتبعته واخرج ابن سعيد وابو
نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر رضي الله عنه ثم
تعرضهم بقديد سراقه كما ياتي وروى البيهقي انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستقاه
لبنا فاتاهما بشاه لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعى وسقى ابا
بكر رضي الله عنه ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول على علم سيد العبد مع
ظن رضاه **والجواب** ان هذا مال حربي غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد
ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب
حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون
بالمدينة بمقدمه صادوا كل يوم يخرجون الى الحرة ينتظرونه الى قرب
الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا يهودي على موضع عال فراه
فصاح هذا جدكم اي حظكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه
سراعا بسلاحهم بقبا فقام ابو بكر رضي الله عنه للناس وجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ابا بكر رسول الله لانه اسرع اليه
الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل
عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثاني عشرة وقيل
غير ذلك وادركه علي كرم الله وجهه بقبا ولم يقم بعد بمكة الا ثلاثة ايام

ثم

ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع
عشرة ليلة كما في مسلم واسس مسجدها وهو اول مسجد بني في الاسلام ولذا
كان الاصح انه الذي اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قبا يوم الجمعة
وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر ببار من دور الانصار
سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اي ناقته فانها مامورة وارخى
زمامها فاستمرت الى ان بركت موضع باب المسجد ثم ثارت وهو صلى الله
عليه وسلم عليها حتى بركت بباب ابي ايوب رئيس بني النجار اخوال عبد
المطلب ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه
وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى **واشتاقت** من الشوق وهو
تحرك النفس وهو هنا مجاز بحذف اسال القرية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل
الجمادات له حقيقة بان خلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شيء الا
يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية وتسبيح الحصى وتامين سكفة
الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما سر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل
ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين
الله صلى الله عليه وسلم ارسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله
صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة **اليه من مكة** التي هي مولده
وام القرى وافضلهن عند اكثر العلما **الانحاء** اي الجهات والنواحي لانها
كانت مهمومة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين بحث
والانحا جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحيه بمعنى مضرة اي مقصود
ورد العجز على الصدر وكذا بين لغنت والغنا وناداه والندا الاتيان

ولغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء

ولغنت بمدحه الجن الموسون ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم

الى جميع الجن امر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكر كما اجمع عليه
الامة اي اظهرت اوصافه الجميلة في صورة الغنا الذي يولع به النفس
ولا يصير فيها متسع لغيره **حتى اطرب الانس** المومنين بل غيرهم **منه** اي
الجن **ذاك الغناء** اي سمعوه والطرب خفة تعتري الانسان عند شدة
حزن او سرور **ذكر** اهل السير عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت
لما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو
جهل فقال اين ابوك قلت والله لا ادري فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي
ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون
صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات

• جزى الله رب الناس خير جزايه • رفيقين حلا خيمتي ام معبد •
• هما نزلا بالبر ثم ارتحلا • فافلح من امسى رفيق محمد •
• فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من فعال لا يجازى وسودد •
• ليهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمومنين بمرصد •
• سلوا اختكم عن شاتها وانائها • فانكم ان تسالوا الشاة تشهد •
• دعاها بشاة حايل فتحلبت • له بصريح ضرة الشاة مزبد •

والضرة لحمة الضرع والصريح ممحضتين اوله واخص الخالص اي لبن
خالص مزبد نازل من ضرة الشاه

• فغادرها رهنا لديه لحالب • تردها في مصدر ثم مورد •

اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان ندر قالت اسما فلما سمعنا قول الجني هذا
علمنا اين توجه النبي صلى الله عليه وسلم ولما وصل صلى الله عليه وسلم
في سفر هجرته الى قديد محل قريب رابغ **قال** رضي الله عنه

واقفى اثر سراقة فاسمتوته في الارض صافن جرداء

واقفى اي تبع **اثر سراقة** ابن مالك ابن جعشم المدلجي قال جاءنا رسل كفار

قريش يجعلون فينهما ان قتلا او اسرا دينين فركبت مستخفيا فلما دنوت منهما
عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت فركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يلتفت فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال
يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات **فاسمتوته**
في الارض صافن اي طلبت ان تهوي به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس
مرادا بل السين لمجرد التاكيد لان الذي في القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعى
بتلك الدعوات غاصت قوايم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها
ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها غبار
ساطع في السماء كالدخان والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاث قوايم ويقيم
الرابعة على طرف الحافر **جرداء** اي رقيقة الشعر قصيرتها وهي صفة مدح
للخيل واصله للنجن التي قلم ورقها فاستعير للفرس **قال**

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد يبخد الغريق النداء

ثم ناداه اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال الامان
يا محمد **بعد ما** مصدرية **سيمت** الفرس **الخسف** بفتح اوله وضمه
قال في موضع اي اوليته ذلا وقال في اخرى بعد اسامة الخسف للفرس
اي بعد حصول الذل للفرس المذكور حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوايمها
غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت
الخسف بالنظر الى كلها اي سيمت ان يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما
قاله الشارح فتامله ثم رايت بعضهم صرح ببعض ما ذكرته فقال يقال سمته
خسفا اوليته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد بعد ما قاربت ان يخسف
بها **و** من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها وهو تذليل الله **قد يبخد**
الغريق النداء اي الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله على
نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم قال الله تعالى وذا النون اذ

ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه
لقومه لانا بهم عليه فنادى في الظلمات الاية او النداء رفع الصوت لطلب تخليصه
لانه قد لا يعلم او لا يعباء به احد فاذا نادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما
طلب الامان قال اعلم انكما تدعوني لما يدعوا لي فادعوا لي ولكما ان اردت الناس عنكما
ولا اضركما قال فوضاني فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبارا ما يريدان مما الناس
وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني اي لم ياخذا مني شيا وقالا اخف عنا فسألته
كتابا امن به فامر عامر ابن فهيرة فكتب لي في رق من ادم اخرجها له يوم حنين وقد لقيها
وامنه ومن يلوذ به **تنبيه** ذكر الناظم للهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات
مع انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان مقتضى الواقع ان
يذكرها كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع ولعله
اهتم بشان الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى حكمة ذلك وهي انه انقطع بها
عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وتوثبت عليها الطغرة
حتى استاصل شافتهم وقطع جاذرهم **قال** رضي الله عنه

٧٤ **فطوى الارض سايرا والسموات العلى فوقاله اسراء**

فطوى الارض في حال كونه **سايرا** عليها **و** هذا كما طويت له قبل ذلك **والسموات**
العلى لما كان **فوقاله اسراء** ليلة الاسرا الى ان جاوز جميعها في اسرع
وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية الاف سنة في اسرع وقت اذ بين الارض
والسما خمسمايئة سنة وكذا سمك كل سما بين هذا بالنسبة الى السماء السابعة
واما ما بينها وما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله
تعالى فالهما من مسيرة مسيرة في الارض ومسيرة في السما اظهر الله عليه
فيها عظيم قدرته في مسيره واسرايه وافضليته لقدمه على جميع خلقه
في ارضه وسمايه قال بعض الايمة والمعاريج ليلة الاسرا عشرة سبع

في

في السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه
صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والروية
وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم
في سني الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة
ولهذا اختصت بوفاته التي فيها لقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة
وهي المنزلة التي لا ارفع منها كما اختصت معاريج الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس

فصل الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء

فصل ايها الناظر في سما ايلة صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما اكرمه
الله به تلك **الليلة** وهي ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او شوال
او رجب وبه جزم النووي في الروضة او الجمعة او ثالث عشري ربيع الاخر
وجرى عليه النووي في فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه في شرح مسلم بعد
المبعث بخمس سنين ورجحه النووي او بعشر او باحدى عشر او اثنتي عشر رجح
كلا قول **البيتي** وقع ذلك الاسرا فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السمات ثم
الى حيث شا الله تعالى وما راى ايات ربه الكبرى اي اذكر صفاته الجليلة بما يمكنك
والا فمحال ان تستوعبها او ان تاتي بتفصيل ما نحيط بها كيف وقصة الاسرا
والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحج واصدق
الانبا واعظم الايات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن
بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان
الاسرا بالجسم في اليقظة من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف في
كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسرا
لتباين الروايات فيه تباين منشر لامكان الجمع بينهما الا بدعوى التعدد بالجسم
تارة وبالروح اخرى مردود والاصح انه اسرا واحد بالجسم والروح في اليقظة
وانما خالف الجمهور من الروايات ان امكن تاويله تعين والا حكم عليه بانه وهم

كرواية ان الاسراكان قبل البعثه فان الاجماع على انه بعدها على انها اولت
كان للمختار صلى الله عليه وسلم فيها عجايب منها انه جاء جبريل وفي رواية
وميكايل وفي اخري ذكرثالثا ولامانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكايل ثم الثالث
بالحطيم او شعب ابي طالب او بيته او بيت ام هاني بعد ان افرج سقفه
روايات جمع بينها بانه بات في بيت ام هاني وبينها عند شعب ابي طالب
واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الي المسجد فاضطجع لا ترقاس
كان به ثم اخذ فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته فرواية
انه كان بين النايم واليقظان محمولة علي ابتداء الامر ورواية ثم استيقظت
اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه
انصب من السما انصبابة واحدة باز او محله الذي هو فيه فلم يعرج على شئ غير
مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير مياعاد لاظهار انه مراد ووقع
في موسى بمياعاد تنبيها علي انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف
البيت والتيامه عقبه تنبيها على ثوق صدره الشريف تلك الليله وانه لا باس
فيه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند
حليمه ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه على البراق وكان عليه استوا
اي استقر وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون وهو
كما صح به الخبر دابة اي تشبيها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار
ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من
البرق او من فيهم شاة برقا اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه
الي اخره معناه انه يضع رجله عند منتهى ما يري بصره وقال ابن المنير انه
يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوه واحده لان بصر الذي في الارض يقع على السما
فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وهذا انما ياتي على رواية فحملت
عليه اي البراق حتى انطلق بي جبريل الي السما الدنيا اذ ظاهرها انه اسمر عليه

حتى

حتى وصل الى السما والمشهور انه اسمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج
كما ياتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتي على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط
ارتفعت يداه وفي رواية سناما له جناحان واخري ضعيفه له خدكخد الانسان
وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوته
حمرا وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال
له جبريل ما حملك على هذا ما ركب قط اكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها
كصريح رواية النسائي وابن مردويه وكانت تسخر للانبيا قبله ان الانبيا كانوا
يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه
ليس لعدم الركوب بل لبعد عهده به او ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانما
علت على سايرالدابات وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم
وامن لاحرب وخوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة
على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له رواه الامام احمد بلفظ
على ظهر هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بالاحاجة
اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامر
ان ينزل ويصلي وبمدين فامر بذلك وبيت لحم الذي ولد فيه عيسى فامر
بذلك واراه عجايب اخري الي ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا وربطه اي جبريل
كما مر وفي رواية لكن في اخرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما
ربطاه معا بالحلقة التي كانت الانبيا تربط بها ثم دخل ودعت له جماعة من
الانبيا وصلى بهم وصح في رواية انه بارواح الملايكه اي مع اجسادهم لرواية
ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين راكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت
الصلوة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني
فصليت بهم وفي رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون معه وفيها زيادة
على رواية جماعة منهم فيوخذ ذلك الزيادة وفي حديث ما يدل على انه

صلاته الانبيا ص

صلى الله عليه وسلم صلى بهم في بيت المقدس من بعد العروج ايضا وتلك الصلوة
قبل الصبح اي بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشاء اي بناء على انه صلى
فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما في رواية ابن هشام والبيهقي
وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملايكة وليسار
ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه
ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة وراى في السماء الاولى ادم وعن يمينه
ارواح المومنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره ارواح بنيه الكفار فاذا
نظر اليهم بكى اي انه يكشف له عنهم وهم في النار التي هي مستقر ارواحهم والنيل
والفرات ابن انتهاوهما والافابتداوهما من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى
وفي الثالثة يوسف وفي حديث البيهقي وغيره فاذا انا بيوسف احسن ما
خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب والمراد
غير نبينا صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم احسن وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين
قولا مشهورا اعتمده النووي وغيره في موضع واعتمد اخرون ايضا ان
المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين اعطى بنظر الحسن
الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة
هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابوهم وهل مقدمة على واية
لم يضبط منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية وهرون في الرابعة
وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لان سياقها يدل على انه لم
يضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها اولى على
انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه راهم في الصعود على كيفيات
وفي الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب
هذا الغلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي بكاؤ

ليس بحسد حاشاه من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجور
نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له او رحمة
لامته لما وقع منهم بعد مما لم يقع نظير لهذه الامة وذكر بغلام لانه اصغر
سنا منه ولان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة وتخصيص هولاء
باللقا الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة
من مكة ثم العود اليها وكمعادات اليهود له اوابل الهجرة كما عادوا عيسى واراد وا
قتله ويحيى وقتلوا وكمعادات اهله له او كرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم
هرون الى محبته وكمعالجته لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة
والكعبة ومتعه بهما كما وقع لابرهيم ومن ثم راه مسندا ظهره الى البيت
المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم
سبعون الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه ان الملايكة اكثر المخلوقات
واختلفوا في دوينه لهولاء الانبياء صلى الله على نبينا وعليهم وعلى سايرا
الانبيا والمرسلين وسلم فقيل لارواحهم الاعيسى فانه رفع بجسده وكذا
ادريس على قول واختلف قايلوا هذا في الدين صلوا معه في بيت المقدس
فقيل الارواح ايضا وقيل الاجساد وقيل حرق الله له الحجب حتى راى كلا
في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع
الرابعة صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة
المنتهى فراها وقد غشيها من امر الله تعالى ما غشي حتى تغيرت فما احد من
خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها من حسنها وراى النيل والفرات وسيحان
وجيحان تخرج من اصلها ورواية لها من الجنة لا يعارض ذلك لان ذلك الذي
ينبع منه تلك الانهار في الجنة فلا تنافي ما قيل اصلها في السماء السادسة
وعليه تحمل رواية انه راها فيها واعلاها في السابعة وعليه يحمل ما مر انها
فيها وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلايق ولم يتجاوزها احد الا نبينا

صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله ويتعين حمله على انه لا يتجاوز
للملايكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتي من انه صلى الله
عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع صريف اقلام الملايكة ثم دخل الجنة واحاط بها
ثم عرج به صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري حتى ظهر لمستوى اي محل عال يسمع
فيه صريف الاقلام اي تصويت اقلام الملايكة بما يكتبونه من قضية الله تعالى
وفي رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين
الف حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي فرفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى
العرش وهذه الحجب بعرض صحتها انما هي بالنسبة الى المخلوقين وانما هو تعالى
فلا يحجبه شئ وصح عن ابن عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل الى
سدرة المنتهى وهي في الجبار اي تفرد به المعنوي كما ارشد اليه قول رب العزة جل
جلاله فكان كقاب قوسين او ادنى كما قال الناظم

وترقى به الى قاب قوسين وبلغ السعادة القعساء ٧٦

وترقى اي صعد البراق **به الى قاب قوسين** وقاب القوسين ما بين
مقبضه واخر وتره فلكل قوس قابان ومن ثم قيل في الاية قلب اي قابي قوس
ويرد بانه لا تعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه
بقرب قاب القوسين اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رايت بعضهم قال قاب قوسين
اي مقدار قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري
تقول منهما قاب قوس **تنبيه** ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به
صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخاري ولفظها
فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح ثم قال صعد بي حتى اتى
السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت
المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق
الا من مكة الى بيت المقدس لا غير وظاهر الثاني ذهب بعضهم الى ان الاسرا

على

على البراق ورفع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السما لكن رد هذا
بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا ثاني له وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السما
اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه
للمعراج وانه استمر راكبا البراق الى السماء الدنيا ثم التي بعدها وهكذا جرى عليه
الناظم كما علمت والاولى الجواب بجمع الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج
معه ربما لم يعلم فقدم عليه فيكون لما وصل في المعراج الى سماء الدنيا ركب البراق
واخترق به السموات وما فوقها وهذا اعني رواية البخاري الظاهرة فيما في
النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر
عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر
والحاصل انه بعد وصوله السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر
الرواية الاولى وانه جيء له به ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير
ركوب شئ تعظيما للسموات اذ هن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابلة
المنصور لان الانبيا خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من
الملايكة فتعظيما لمن فيهن اجتمع به من الانبياء والملايكة لا لقال السماء لم
يصل الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد تكون في المفضول مزايا
على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوي وابليس وادعاء انهم لم يكونوا في السما
محتاج الى دليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع في محل دون محل يقتضي افضلية
الثاني غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب
الى اخره ولم نقل بالتعدد لمجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا
يقتضيه على ان ما وقع في تلك الليلة من فرض الصلوة وغيره ذكر في كل من رواية
الى السما ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا وعدم تعدده
فتامل ذلك كله فانه مهم **واعلم** ان هذا التذلي والدنو المذكور في حديث انس
وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتذلي في اول سورة النجم فان هذا في حق

جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم ير في صورته التي خلق عليها
الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة اخرى عند اوايل البعثة كما مر **وتلك** الرتبة
التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي **السماك الاعزل** اي الثابتة
الدائمة التي لا يطرأ عليها تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب
الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته في كل يوم وليلة خمسين صلوة
فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى ربه
ويسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم رجع
فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا فامره بالرجوع وقال ان بني اسرائيل
فرض عليهم صلوتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي وفي رواية علمت بانها
عزمة من ربي فلا ارجعه فقال تعالى هن خمس اي في الفريضة وهن خمسون اي
في الثواب لا يبدل القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه
وسلم لما شاهد تعبد الملائكة بانواعها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم
السجود اعطاه ذلك لامته في ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها واداب لها
واخفر موسى صلى الله عليه وسلم بامر بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه
الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتي فقال الله تعالى تلك امة
احمد فقال اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتني
بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم قبرت بموبي وكان نعم
الصاحب كان لكم وفي رواية كان اشدهم علي حين مررت به وخبرهم لي حين
رجعت **فائدة** اختلف العلماء قديما وحديثا في نبينا صلى الله عليه وسلم
راي ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق بعين راسه او بعين
قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه راه بعين بصره وفي اخرى
انه راه بقلبه ولا مخالفة لانه صح عنه كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال
رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة

بالقلب

بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد بمجرد العلم لانه حاصل
له ولغيره فلا خصوصية وبرواية ابن مردويه عنه لم ير بعينه لم تصح وبتسليمها
فالاثبات مقدم على النفي وجاء عن انس باسناد قوي راى محمد صلى الله عليه
وسلم ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين **وكان** الحسن البصري رحمه
الله يحلف انه راى ربه وبذلك قال عكرمة وساير اصحاب ابن عباس وجزم
به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه
وانكرت عايشة رضي الله عنها وابن مسعود الرؤية قال النووي ولكن خالفهما
غيرهما من الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة
لهما فيما في مسلم ان مسروقا قال لها لما انكرت الرؤية الم يقل الله ولقد راه نزلة
اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
فقلت يا رسول الله هل رايت ربك قال لها انما رايت جبريل وذلك لانها سالت
عما في الاية فاجابها بانه لم يره اي في قصة الاية وقد مر انها غير قصة المعراج
وان الذي والذي في قصة المعراج غيرهما في الاية ولا حجة لها في لا تدركه
الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقته ذاته العلي بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت
في الاخرة جازت في الدنيا لتساويهما بالنسبة الى المراي وسوال موسى اياها
في الدنيا اظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسال محالا وانكار المعتزلة
فتحهم الله لها حتى في الاخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى بحورها
في الدنيا لم تمنع الانبياء صلى الله عليه وسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا
ومعنى خبر مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
قال نور اني اراه ان النور حال بينه وبين رويته ببصره وكيف يراه مع ذلك
وقد مر انه راه مرة ببصره ومرة بقلبه فلسبب حصول ذلك النور فلا ينافي
وقوع الاولى وسئل احمد رضي الله عنه عن قول عايشة رضي الله عنها من زعم ان
محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم يرفع قولها بقول النبي صلى الله عليه

وسلم رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر واذا تاملت ما وقع له صلى
الله عليه وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التي تميز بها على سايرالخلق
علمت الحقارت جليله قال رضي الله عنه

ربت تسقط الامانى حسرى دونها ماوراهن وراءُ ٧٧

ربت جليلة تسقط الامانى جمع امنية حسرى جمع حسير من حسر
اعيا دونها ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتبة وعزتها على الخلق سقطت
امنياتهم وتخلفت طلباتهم واعاقهم عن نيلها هذه الرتبة فلم يستطيعوا التوجه
اليها حال كونها عاجزة عن الناهل لها ولم لا وهي ماوراهن وراءُ اي
ما قدام من قدام بمعنى انه ليس بعد هن مرتبة يتالها مخلوق غيره صلى الله عليه
وسلم قيل لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير لقريش
تحمل طعاما بينها جمل عليه غرارتان سودا وبيضا فلما حاذى العير نفرت
منه واستدارت وتصرع ذلك فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد
وراى بعيرا اضل وجمعه واحد منهم قال

ثم وافى بحدث الناس شكرا اذ اتته من ربه النعماءُ ٧٨

ثم وافى مكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما راى من تلك العجايب
والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث شكرا اي من ما
راى الشكرا ولاجل قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا لانعمه اذ اي لاجل
اوقت اتته من ربه النعماءُ في تلك الليلة وحينئذ اتد ناس كانوا
اسلموا فذهب مشركون لابي بكر رضي الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى
بيت المقدس وجاء في ليلة فقال ان صدق فانكروا عليه فقال اني لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك فيخبر السماء في غدوه وروحه فلذلك سمي الصديق رضي الله
عنه وكرم الله وجهه رواه الحاكم في مستدركه وابن اسحق وزاد ان ابا بكر جاءُ
فقال لقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جبته

وصف

وصف لي كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر ويصفه وابو بكر يصدقه وفي لفظ
صفه انما هو ليريد به علي من يشكك في ذلك ورفعه له حتى ينظر رواه البخاري وكذا
مسلم وزاد انهم سالوه عن اشيا فيه لم يثبتها فكربه كربا ما كرب مثله قط ورفعه
الله اما بجبل مقابله ووضعه قريبا منه وعليه تحمل رواية فجي بالمسجد اي بمقابله واما
بجعل المسجد نفسه اليه وهذا الظهر لما مر فيما واشتاقت اليه بمكة الاخاء ونظيره
جي عرش بلقيس الى سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم في طرفة عين واما
ازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس ثم العروج
منه الى السما لما تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه
لم يذهب اليه قطا وضح اية على صدقه في جميع ما اخبر به من امر السما وبما اخبر به
من اية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان
وان سيرهم ينزلون بمكان كذا ويانونكم يوم كذا اقدمهم جمل ادم وعليه غرارتان
فلما كان ذلك اليوم استرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريبا من نصف النهار
اقبلت العير كما وصف وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا ففي يومه كادت
شمسه ان تغرب ولم يقدموا فدعا الى الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف
صلى الله عليه وسلم وعطف علي واما قوله رضي الله عنه

وتحدي فارتاب كل مريب اوبقي مع السيول الغثاءُ ٧٩

وتحدي صلى الله عليه وسلم كفار مكة وعجزهم بما وقع له ليلة الاسرا وما
تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر اي طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به
شاهدا على نبوته ما بدا نظير والا كانوا كاذبين مدحوضين فارتاب اي
شك وخرس كل مريب فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم
من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحد بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ويلزم
من انقطاعهم عن معارضته ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال
علي من بقي عنده من ذلك شك اي بعد ذلك الامر وبقي معه ريب لا بل

انضم وما بقي منه شك اصلا وكيف يبقى **مع السيول** حال من قوله **الغثاء**
وهو بضم المعجمه وبالمثلثه ما يحمله السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع
وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الايات البينات والبراهين الواضحات
لا يبقى معه لولا الخذلان للباطل شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم
انه استعار السيول لما اتى به صلى الله عليه وسلم لانها تحيي الحبوب المحسبه وجعلنا
من الماء كل شئ حي كما ان مما جاء به الحبوب المعنويه والغثا لما يحملوه لانه امر
حقير لا بقاء له كما ان الغثا كذلك وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي
الختم بالجمله الاستفهاميه التذييل بخو وهل يجازى الا الكفور **تنبيه** ما
قدرته بعد همزه الاستفهام هو راي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان
كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في نحو اولم يسيروا في الارض امكنوا
ولم يسيروا وفي افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون وفي ائم اذا ما وقع آمنتم به
ثم اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في الكل في محلها الاصلي والعطف على جمله
مقدره بينها وبين العاطف محافظه على اقرار حرف العطف على حاله من غير
تقديم ولا تاخير ورد ابو حيان لذلك لانه تقدير بلا دليل عليه وابن هشام
بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجه وهي ان المعنى معه اوضح
واوضح مع رعايه قاعده الهمزه وحرف العطف ودعوى عدم المراد ممنوعه
لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف **واعلم** ان
الهمزه اصل ذوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في
المواضع الثلاثه اي اهذا ربي وفي تلك نعمه تمنها علي او تلك وبالهمزه ترد لطلب
التصور تاره والتصديق اخري وهل يختص بالثاني والبقيه بالاول وبالهمزه
تتقدم على العاطف كما هنا بنيها على اصالتها والبقيه تتاخر عنه وبالهمزه تدخل
على الشرط نحو فان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي **قال**

وهو يدعو الى الاله وان ستق عليه كفر به وازدرآء

دهو

وهو يدعو حال من فاعل تحدي اي يتحدى الناس والحال انه مع انكارهم واياسهم
لا يفتر عما امر من التبليغ والدعا **الى الاله** اي المعبود بحق الذي لا يعبد غيره
وهو الله تعالى وفي آلى واله لجناس الناقص ولم ينظر الناظم لكون الاله اسم
جنس في الاصل لكل معبود لان الائمه اعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه في المعبود
بحق فقط فصار علما بالغلبه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاوه الى الله تعالى
وان ستق عليه كفر به اي الاله او النبي **وازدرآء** اي احتقار وانتقاص
له وهو مديم لذلك الدعا مع تحمل مشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرايهم له ولما
جاء به اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
يقول لهم يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو لهب
خلفه يقول يا ايها الناس ان هذا يريد ان تتركوا دين اباكم ورماه الوليد ابن المغيره
لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة
والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطي
عقبة ابن معيط على رقبته الشريفه وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت
عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر
شعره فقام ابو بكر رضي الله عنه دونه قايلا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وصح ان عقبة ابن معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء
الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر رضي الله عنه ودفعه عنه وروي
احمد في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمار وامه سميه وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمنعه الله اي عن القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه
واما سايرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس
وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه واعطوه
الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد لتمرج مرارة

العذاب بخلافة الايمان ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار ابن ياسر وهي تعذ
فطعنها بحربة في وجهها فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه
عتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون
المكسورة فعميت فقالوا اما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما كذلك فرد
الله تعالى عليها بصرها **قال رحم الله**

ويدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء ٨١

و هو مع ذلك ايضا **يدل الورى** اي الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث
الصحيح وارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين
بالضرورة فمكفر منكر كما مر واما الملائكة فعلى الاصح عند جمع المحققين كما
يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقول الرازي
اجمعنا ان المراد الانس والجن مردود واما نعتة للجماد فعلى ما ذهب اليه
بعض محققي المتاخرين ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا
بتعظيمه والايمان به واسناد ذكر والجمادات انه يركب فيها ادراكات لتؤمن به
وتخضع له وان من شيء لا يسبح بحمده اي حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه
على الله اي على العلم بذاته واسمايه وصفاته وافعاله وما يجب له من اثبات صفة
كل كمال وسلب كل صفة نقص بل وكلما لم يصل الى اعلى غايات الكمال وما يجوز له
من ايجاد الخلق واعدامهم وما يمتنع عليه من المحالات التي لا تعلق لها القدرة
كما هو مقرر في محله **و بالتوحيد** اي تطلبه منهم توحيده تعالى بان يعتقد
بانه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه
وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء في
التوحيد بمعنى الالة كالتي بالقلم وبوجه بان العلم بالتوحيد كما ذكر يشعر عنه
العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمايه وصفاته وافعاله كما تقرر **وهو** اي
العلم بكل ذلك والدلالة عليه **المحجة** اي الطريقة التي رضي الله تعالى التي

امرها وتيسير عليها **البيضاء** اي البينة المضيئة الواضحة البيضا لياليها
كنهارها ونهارها كلياليها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه
وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم اشار الناظم اليه بقوله وان شق
عليه الى اخره اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه كما قال

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك

فبما هي زائدة **رحمة** واصله اليه **من الله** وهي في الاصل ميل وعطف
نفساني غايته التفضيل والانعام اوارادتهما والمراد هنا هذه الغاية
لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن
او السنة لله تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اي وبسبب رحمة
الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسوله وصبره عليهم كما يشير اليه ذلك في قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الذي اقتبس الناظم منه هذا اليقظ قلوبهم وازال ما
فيها من كبر وعتي فحينئذ **لانت لهم** هي الحجر العظيم **من** بيانيه وجعل
الشارح ذلك صفة لصخرة مع كون من بيانيه بعيد **ابائهم** اي امتناعهم **صماء**
صلبة لا يوثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت
وصما وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين
متقابلين في الجملة بتضاد او نفي واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اي زال
امتناعهم عن طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة
التي في غاية الصلابة لاباتهم اولا ان كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والاباء
له وليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه
اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله
صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء

واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء ٨٣

و بعد ان لانوا له ببركة لينه لهم لم يتزايدوا حتى **استجابت له** اي اجابت

دعونه وامتثلت اشارته **بنصر وفتح** اي مع او بسبب ما اعطاه الله
من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب في القلوب والفتح لبلادهم
باخماد شوكتهم واستيصال شافتهم **بعد ذلك** اي الضعف الذي كان به
صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصممهم على مناواته
ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم **الخضراء** اي السماء سميت بذلك
لانها ترى لذلك فقد قال القاسم ابن ابي بزة ليست السماء مربعة لكنها
مقبوة يراها الناس خضراء وبين النوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة
تحت الارض اي خضراء كما في حديث البراء وغيره منها حضرة السماء اي وليست
في الحقيقة لذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذا
موج مكفوف عنكم ومن ثم سيل ابن عباس رضي الله عنهما السماء من اي شيء فقال
لها من موج مكفوف وبوافقه قول علي كرم الله وجهه في حلفه والذي
خلق السماء من ماء ودخان فقال الكعب السماء اشد بياضا من اللبن وقال
الربيع ابن انس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد
والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء
وجاء عن سلمان الفارسي رحمه الله لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء
والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة
من ذهبة بيضاء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور **والغبراء** اي
الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال لما اراد الله ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق
الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الماء
دخانا وطينا وزبدا فاما الدخان فعلا وسما فخلق السموات وخلق من الطين
الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء ما مر في لانت وصما لكن
هذا سبي التدريج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابت السماء والارض له صلى الله

عليه

عليه وسلم استجابت اهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس
والارض للوضيع اي اجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم
احد عنه اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة اهل
الارض بالنصر والفتح بتلك التعدية ظاهر واما تقييد استجابة اهل
السماء بها فهو بمعنى انه لم ينزل لنصرته الملائكة الا ببدر وما بعدها وذلك
انما هو بعد قوته والقاء رعبه في القلوب والاذن له في الجهاد والفتح عليه

واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء

و من جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه **اطاعت لامره** وهو
القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحرفه لفهمه مما ذكر
العرب بضم وسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه
وسلم **العرباء** ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب
المستعربة وفي القاموس بالضم والتحريك ايضا كما ذكر في مادته وهم سكان
الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له وجمع اعاريب وعرب
عاربة وعربة وعربات وعرابا صرحا ومتعربة ومستعربة ثم قال ويعرب ابن
قحطان ابو اليمن وقيل اول من تكلم بالعربية وفي النهاية الاعراب سكان العرب
سكنوا البادية الذين لا يقيمون في الامصار ولا يدخلونها الا في حاجة والعرب
اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن وفي الصحاح ليس الاعراب
جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر
ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن
بدويا والاعجمي الذي لا يفصح وان كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى
وبين المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع الى اسماعيل وعدنان
هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العربا وبينه وبين
اسمعيل ثمانية اباء وقحطان قال الكلبي هو الجيئع ابن بنت اسمعيل صلى الله

عليه وسلم والجاهلية الجهلاء هو كالعربانية تجنيس الاشتقاق وشبه الماكيد
اللفظي كالبيل أليل وخص هذين لان تصميمها على الكفر بلغ من القوة والشدة
مالم يبلغه تصميم غيرهما قال رضي الله عنه

وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعواء

وتوالت اي تتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله الاية
مفرد محلى بال فيكون في معنى الايات وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي الدلالات
الدالات على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه عليه وعلقه النازح
بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثاني قيده افادة انما توالى
له انما هو اياته الخاصة به لا ايه من تقدمه الكبرى عليهم كالقران
وانشقاق القمر و توالت له عليهم ايضا الغارة على بلادهم و اموالهم
ونفوسهم ودراريهم وهي اسم مصدر لاغار الشعواء اي الفاشية المتفرقة
المحيطة بهم من سايرالجوانب التي لم تظفر لهم بنفس ومال الا اهلكته قال

واذا تتلى كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

بعد ان استجاب له اهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله افواجا
وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذا ما زايدة تتلى اي قراء كتابا انزل عليه
من الله وهو القران تلته اي تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءة
الكتاب مزدحمين عليه لاسيما كتيبة بالفوقية اي جيش خضراء اي بحلوكة
سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لان لكن بحر وهو من بعيد
يري اسود وهو كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه
وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصواء بين ابي بكر واسيد ابن حصين ولما راها
ابو سفيان راي ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا
كبيرا فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة وروى البخاري عن
عبد الله ابن معقل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على

ناقته

٨٥

٨٦

نافته وهو يقراء سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت
كما رجع لحديث وبين تلى وتلته وكاب وكتيبه تجنيس الاشتقاق او شبهه

وكفاه المستهزئين وكم ساء بنيا من قومه استهزاء

وكفاه صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين زادوا
في ايذايه صلى الله عليه وسلم والقول عليه المستهزئين به كما قال تعالى انا كفيناك
المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذايه
والسخرية به اي تولى اهلاكهم من كفيت فلانا المؤنة اذا تولى تهيتها له فلم يحوجه
اليها ومع توليته تعالى اهلاك المفسدين سلاه فاعلمه بان هذا ليس خاصا
به بل الانبيا قبله ولذلك بقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزي برسل من قبلك
الاية قوله وكم مرات كثيرة ساء اي احزن بنيا بينهما الجناس المصحف
من قومه متعلق بقوله استهزاء اي سخرية وايذاء فيه اقتباس وتلميح
وهو الاشارة الى قصة او شعر او مثل سايرو ذكرنا التلميح هنا مع كثرته في كلامه
لانه هنا اظهر باعتبار قصة المستهزئين ومدة الاعتناء بها وفيه ايضا التذييل
والمثل السايرفي الجملة الاستفهامية قال رضي الله

ورماهم بدعوة من فناء البيت فنها للظالمين فنا

ورماهم اي اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم
القاتل الى من يرمي به فيهلكه من اي بدعوة كامنه في فنا البيت اي حوالي
الكعبة وقيل انه صلى الله عليه وسلم شكاهم لجبريل عليه السلام فقال امرت
ان اكلهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لانا في دعاه عليهم لان دعاه كان سببا
لاتيان جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من يرمي وانها الابتداء
الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة
الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر وانما هو عن قصد تم وصف الدعوة

٨٧

٨٨

ايضا بقوله فيها اي تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل
لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه
وسلم والظلم وضع الشيء في غير محله فناء اي استيصال لهم حتى لم يبق منهم
احد وبين فناء وفناجناس محرف لاختلاف حركة الفا قال

خمسة كلهم اصيبوا بداء والردى من جنون الادواء

خمسة بدل من المستهزئين ابا لهب وزوجته وعقبة ابن معيط والحكم
ابن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت عقوبتهم كلهم اصيبوا بداء عظيم
والردى اي الهلاك من جملة جنون المعينة عليه الادواء جمع داء وهو
المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اي انما
اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه
ولم يجدوا منه مخلصا ومن داء وادواء جناس ناقص كما مر ثم فصل
ذلك الداء الذي اهلكهم الله تعالى به فقال رضي الله عنه

فدهى الاسود بن مطلب اي عمى ميت به الاحياء

فدهي من الداهية وهي الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب اي اسد
ابن عبد العزى فهو اسدي اي عمي اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمست
بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا عمى البصيرة
ميت به اي بسبب ذلك العمى الاحياء في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم
ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة
في هلاك ذلك اللعين وانه قتل بما لانه قتل غالبا لانها حفت عليه الكلمة فمات
فورا من غير سبب ظاهر لذلك ومما تقدر تعلم ان ميت مبتدا وما بعده سد
مسد الخبر اي انه من شان هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى
لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة موكدة لما افاده تنوين عمى بصر وبصيرة ولم ينظر
الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن

ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب
وكانه يريد ان يجمع به بين راي البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صوبه فيكون
رابعا ثالثا لانا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبر العامل ميتون لوجوب
المطابقة ولا وجه في قولهم جنبر بنو الهب ان جنبر خبر مقدم لان ذلك لا يلزم
فيه للمطابقه وبين ميت والاحياء الطباق قال

٩١ ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردى استقاء

ودهى ايضا الاسود بن عبد يغوث ابن وهب ابن مناف ابن زهرة فهو زهري
ويغوث في الاصل اسم صنم ان سقاه كاس الردي الموت استقاء حصل
له في جوفه واستمر حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا
الرقي وهو امتلاء الامعاء بالماء المفسد المبطل للحار الغريزي المفضي الى الهلاك
عن قرب وبين سقا واستسقا جناس الاشتقاق وتشبيه الردي بالمشروب
حتى ابنت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعانة بالكناية
تتبعها الاستعارة التحقيقية قال طاب ثراه

٩٢ واصاب الوليد خدشة سهم فقرت عنها الحية الرقطاء

واصاب الوليد ابن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم فهو مخزومي خدشة
سهم اي اثر حرصه باسفل رجل من شخص في يده نبل وقيل اصابت ذبابة
شوكة فنعه الكبر ان يهوي لقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله فتاكلت ومات
منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع من سم
الافاعي فلذلك فقرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية الرقطاء اي التي يخالط
سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذي ووجه قصورها عنها في الافضاء
الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتله
حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رايت بعضهم قال وانما كان ما
اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تقتل بواسطة السم وهذا بلا واسطة

انتهى وما ذكرته اوضح واحسن كما لا يخفى قال

٩٣ وفضت سوكة على مهجة العاص فسد النقعه السوكاء

وفضت سوكة في اخمص رجل العاص على مهجة العاص ابن وابل ابن هشام ابن سعد ابن سهم فهو سهمي اي قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال فسد هن النقعه من قولهم الناس تقايع الموت اي انه يحزهم كما يحز الجزار النقيعة السوكاء من قولهم برذة سوكاء اي خشنة اللمس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك السوكة القليلة التاثير عادة فسد درها من سوكة نخرته في اسرع وقت قال

٩٤ وعلى الحارث الفيوح وقد سال لها راسه وساء الوعاء

و قضت على الحارث مولى الطلاطلة بالموت الفظيع الفيوح جمع فيح وهو المدة البيضاء التي لا يخالطها دم و الحال انه قد سال لها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي هو الوعاء لتلك الفيوح القائمة لصاحبه وبين سال وساء الجناس الناقص وفي الختم بساء الوعاء التذييل قال

٩٥ خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم ستلاء

هولاء الملاعين خمسة طهرت بقطعهم اي هلاكهم الارض اي مكة او نواحيها او مطلقا لان ضررهم يسري الى جميع البلاد فكف الاذى الذي كان يصل للناس لاسيما بنبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم اي بسبب فقدهم او مع فقدهم ستلاء اي فاقدة للحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده باي وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف الذي يتناول بها سائر المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعارة مكنية تبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح قال

ذرت

٩٦ فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء

فديت بالبناء للمفعول يقال فداه بالمد اذا قال فداك بفتح اوله فيقصر وبكسر فيقصر ويمد وهذا دعاء متضمن للتعظيم فهو من خبر الانشا اي ان امكن ان احدا يكون فداء احد من الموت لسالت ان يكون هولاء فداهم والمراد اللهم اجعلهم فداهم من الموذيات بدل على المعنى الاول خمسة الصحيفة الاتي بيانهم بالخمسة الملاعين السابق ذكرهم اي جعلت هولاء جميعهم فداء لكل واحد من اوليك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب ركب القوم دوابهم ان جزاوها محذوف لدلالة ما قبله عليه كان للكرام فداء واوليك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداوهم عند الحاجات والشدايد ان نفع الفدا لانهم بذلوا نفوسهم في امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشا لما ادات عزة النبي صلى الله عليه وسلم باس بنبوته صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة من البعثة بضعة عشر من اصحابه منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وبفشو الاسلام في القبايل اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم لياخذ بدل ابن اخيه فابى وجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وايتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك في صحيفة بخط بعضهم وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تاكيدا في حفظها وبقايها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب

الى ابي طالب فدخلوا معه فى شعبه الا ابولهب فكان مع قريش فاقاموا على
ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى ان حكيم
ابن حزام حمل غلامه جابر يريد به عمته خديجة رضى الله عنها فلقيه ابوجهل
اللعين فتعلق به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام بن الحارث
ابن اسد وقال خل سبيله فابى فاخذ لحي جمل فضربه به فشجه ووطيه وطيا
شديدا فلما مضت تلك المدة قام اوليك الخمسة فى نقض الصحيفة وكان اسم
هشام بن الحارث بقربه لعمه لامه الذي هو اخو عبد المطلب ومن ثم كان
واصلا لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع
خطامه ويضربه به حتى يدخل ولعمة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن
عاتكه بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح
النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها
فقال انا معك قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير ابن ابي امية قال ابغنا
رابعا فذهب الى ابي البختري واستنجاه ايضا فقال وهل من معين فذكر
له اوليك قال ابغنا خامسا فذهب الى ابي زمعة واستنجاه فقال هل من
احد فذكر له القوم فاجتمعوا له بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير
انا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف سبعا
ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم
يهلكون لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال
له ابوجهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا
كتابتها حين كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها
ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرء الى الله منها
ومما كتب فيها فقال ابوجهل لعنه الله هذا امر قضي بليل يشاور فيه بغير هذا
المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة

قد

قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع اسما هو
لله الا اثبته ومحت منها الظلم والقطيعة والعدوان والبهتان فقال
اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال انزلوها فان صدق
فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما قال صلى الله عليه
وسلم فازدادوا شرا وذلك انه لا مانع لهم لما نظروا ذلك وازدادوا شرا
قام اوليك النفر الخمسة فى اذهابها من اصلها فسعوا وبذلوا جهدهم فيه
قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم فى نقضها انتهى
ويبعده ان الاخبار بذلك ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين
ما قلته اذا تقرر ذلك علم لهم قال

فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امرهم والمساء

٩٧

فتية اي كرام جمع فتى وهو السخي الكريم وفيه تصريح بما اومى اليه من
وصفهم بمكارم الاخلاق بيتوا اي درجوا واستمروا بالحجون ليلا على فعل
خير هو نقضها المخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع
كفرهم وعتوهم حمد الصبح اي الفجر او الصباح وهو من الطلوع الى
النهار ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذي هو من الزوال الى الغروب
امرهم اي شانه وغايته والمساء واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز
دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان
اذا حمد على ذلك فما بقي العقلاء اولى واحق بذلك وبين الصباح والمساء
الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما ياتي وجعل الشارح
غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لانه اتى على تغيرهم الطباق
بانه الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كما مر مبسوطا قال

بالامر اتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الاتاء

٩٨

يا لامر بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزلا منزله العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك معيد التعجب من وقوعه كقولهم يا للدواهي اذا تعجبوا من كثرتها **اباه بعد هشام** ابن الحارث بن حبيب ابن خزيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لوي فهو عامري وقدمه لما مر انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد **انه** بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لكونه اول من كذب اباجهل ورد عن هشام كما مر **الفتى** اي الكهل في قومه **الاناء** ضيغة مبالغة من اتى ففيه مع اناه جناس الاشتقاق كما في قديت وفراه **قال**

وزهير والمطعم بن عدي وابو البختري من حث شاوا

وزهير ابن ابي امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **والمطعم بن عدي وابو البختري** واتى هؤلاء الخمسة النقض عن غير اتفاق ومواطاة بل انما اتى اتيانا كائنا **من حيث** ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحه وجر وحاث وحوث واعرابها لغة قليله ويلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها بالكلية انذر فتعوض ما وتصرفها نادر بل انكره ابوحيان والغالب كونها في محل نصب على الظرفية او خفض بمن ولا يقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسي انها في الله يعلم حيث يجعل رسالاته مفعولا به اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيا في المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول يعلم **شاوا** اي من المكان الذي قصدوه لتدبير امرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذي قصدوه ونتج الانتاج الذي دبروه

نقضوا مبرم الصحيفه اذ ستدت عليه من العدي الانداء

نقضوا ابدل من فعل خبر من نقض العهد اي ابطاله **مبرم** اي محكم واصله كالبرم للحبل الذي جمع من مفتولين ففتلا حبلا واحدا **الصحيفة** التي توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا ان يسلموا بنو هاشم وعبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم **اذ** اي وقت او لاجل ان **ستدت** اي صمت **عليه** اي على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة **من العدا** بيان لقوله **الانداء** جمع نادوهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث والسمر سمي من فيه باسمه اي نقضوا هذا الامر المبرم الذي قواه عشائرهم وصمموا عليه **قال رحمه الله**

اذكرتنا باكلها اكل منساة سليمان الارضة الخرساء

اذكرتنا بعد نسيانا جملة استينافية لبيان ان لاكل الارضة الصحيفة نظيرا هو اكلها لعصاة سليمان **باكلها** لتلك الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي هي الفاعل فهو عايد على متقدم رتبة وهو تابع **اكل** مفعول اذكر الثاني **منساة** اي **سليمان** بن داود صلى الله عليه وسلم لما مات وهو متكئ عليها كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيداوبون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم كاذبون في ادعايهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قايلا فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين **الارضة** بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلا ذريعا **الخرساء** فيه تعجب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير واتيان الخر نعتا لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق **قال**

وبها اخبر النبي وكم اخرج خباء له العنوب خباء

وبها اي وباكلها للصحيفة **اخبر النبي** صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب

وهو اخبر قريبا كما مر مبسوطا **وكم** مر ان صلى الله عليه وسلم **اخرج** اي اظهر
خبأ اي شيأ مخبأ **له الغيوب خبأ** اي سائر وبين خبأ وخبا الجناس
المحرف وفي كم الى اخره التذييل **تنبيه** احدهما يجب على كل احد ان
الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل لرسله واوليايه منه فهو اما
بوحي من الله او الهام والاستثنا في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا
الا الى اخره كما هو الاصل وذكر الرسول لا لاختصاص بل لان كرامة اولياء
اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي تاينها
في بيان ما اشار اليه الناظم من كثير ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
وحاصل شيخ من ذلك ان مما يدل على كثير ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
ما في القران منها ما لا يحيط به حد خبر الطبراني ان الله قد دفع لي الدنيا
فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كما انظر الى كفي هذه
وخبر ابي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى
قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح علمت علم الاولين والاخرين
وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر موت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه
باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال
له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسري
وقيصر ينقطع بعدهم العراق والشام فكان كذلك في زمن عمر رضي الله عنه
وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسري فالبسهما عمر له
لما زال ملك كسري في زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس بيوم ما تركه
بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه احد غيرهما واخبر بكتاب خاطب
الى اهل مكة وبموضع ناقته ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا
بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد امير الجيش الذي ارسله لمونة بلد بارض
الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة

رضي الله عنهم وبان بنته فاطمة رضي الله عنها اول اهله لحوقا به فعاشت
بعده ثمانية اشهر او سنة وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم
الله وجهه يضربه في نافوخه فتبتل منها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم
ضربه كذلك فمات منها وبان معاوية رضي الله عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب
رواها ابن عساكر ومن ثم قال علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا
الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل ظلما ورواية تقتل وانت تقرا البقرة
تقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم موضوعة
وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس
اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل سبعمايه يقراون القران منهم ثلثمايه
صحابي وافتض فيها الف عذراء وبوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير
لعلي رضي الله عنهم ولذلك قال علي رضي الله عنه للزبير لما بزله يوميد اتذكر
الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول تقاتله وانت له ظالم
فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وبقوله في الحسن رضي الله عنه
ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم سار لمعاوية
باربعين الفا فلما راى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما
حتى يقتل الفريق الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب
ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى كما جاء عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية
يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل له قرطاسا ابيضا وقال
اشترط ما شيت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من يوميد خليفة
حقيقة وبقتل الحسين رضي الله عنه وكرم الله وجهه بالطف واخرج بيده
تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استاذن ملك القطر به ان يزور النبي
صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله عليه وسلم

ان يحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحمه فقتله صلى الله عليه وسلم فقال له
الملك لتجيئه قال نعم قال ان امنك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي
يقتل به فاراه فجاء بسهله بها كسر رمل خشن او تراب احمر فاخذته ام سلمة
فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول لها كربلا وفي رواية انه قال لها اذا
صار دما فاعلمي انه قد قتل واخبر ابن عمر رضي الله عنهما بانه سيعي لما راي
جبريل معه في صورة رجل واخبر ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها
ستلد وبانه ابو الخلفا وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك
ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وتتوله صلى
الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من
عالم المدينة قال ابن عيينه وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان الناس
يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتلون وممن روى عنه من الاكابر
الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام
اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذو النون المصري
والفضيل وابن المبارك وابن ادهم رضي الله عنهم اجمعين وبعالم قريش
رضي الله عنه وانه يملأ طباق الارض علما قال احمد وعزه نزله الشافعي رضي الله عنه
لانه لم ينشر في طباق الارض لصحابي ولا غيره ما انتشر للشافعي رضي الله عنه
اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ومحى هما سايل فليله جدا كما يعلم ذلك من
ساير كلامهم واطلع عليه ونعم الصنعاني ان الحديث موضوع لتصور منه
وانما فيه نوع ضعف ذكره له شواهد بجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه
في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذي خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم
رجلا اسود احدي عضديه مثل ثدي المراة فقاتلهم علي رضي الله عنه واخرج
الرجل حتى راه الناس بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة
وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان ستفترق على ثلاثة

وسبعين فرقة كلها في النار الا الفرقة التي ما كان عليه هو واصحابه
وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم
الى قيام الساعة اي قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير
منها وننتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء
لها اعناق الابل ببصري فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة
وقد متها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادي الاخر سنة اربع
وخمسين وستمايه ولم تزل تشتد وتعلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض
ومن عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرة الزلازل حتى وقع منها في
يوم واحد ثمانية عشر زلزله لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى
المدينة نسيم بارد وروي من مكة وجبال بصري وانطفت ليلة الاسراء سابع
عشر رجب وقد اوسع المورخون في اخبارها بما يطول استقصاوه واذا املت
ما اطلعه الله عليه من العيوب لاسيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك
من تمام عناية ربه به وانه لا يضيعه قط ومن ثم عقب الناظم ذلك بقوله

لا تخل جانب البني مضاما حين سنه منهم الاسواة

لا تخل بفتح الفوقانيه والمعجمة من خلت الشيء خيلا ومخيلة ظننته **جانب**
هو في الاصل شق الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فلا اضافة
بيانيه **البني مضاما** اي مضيعا **حين** وفي نسخة حيث والاول اظهر
اذ هو ظرف لمضاما **سنه** صلى الله عليه وسلم **منهم** متعلق بقوله
الاسواة اي الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغرآء
سفهايهم به فرموه حتى سال الدم على غليه وكسح وجهه وكسر رباعيته
وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب
النصر والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلاله وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل

حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى
الله عليه وسلم من اذياتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ اصابهم من اذيات
امهم مثل ذلك او اكثر منه لكن **قال**

كل امر ناب المنين فالشدة فيه محمودة والرخاء ١٠٤

كل امر من الامور العظيمة **ناب** اي اصاب **المنين** فالشدة فيه التي تحصل
لهم منه **محمودة** لانها لرفع درجاتهم العليه **والرخاء** اي السعة فيه محمودة
ايضا لانه لتكثر اتباعهم وتغيظ اعداوهم وما بين ذلك ويوضحه
ان من المقدر في المعقول انه **قال**

لو مس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاة ١٠٥

لو مس النضار اي الذهب **هون** بالضم اي هوان **من** ادخاله الى
النار لاختيار خلوصه من الغش والنقص **لما اختير للنضار الصلاة** اي
العرض على النار لعزته على النفوس وتميزها من ادنى نقص يصيبه فالانبيا
كالذهب والشدايد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد
الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا الا رفعة وفي لا تخل الى
هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر
ما يناسب قوله لا تخل جانب البنى مضا ما بهن عليه بقوله

كم ريد عن نبيه كفها الله وفي الخلق كش واجتراء ١٠٦

كم ريد اي جارحة **عن نبيه كفها الله** اي منعها وخذلها فلم تصل اليه
بسوء قصد به صلى الله عليه وسلم **و** الحال انه قد وجد **في الخلق** اي الخلق من
الذين هم اعداوه المريدون هلاكه **كش واجتراء** اي بشجاعة وظهور
واقدام على فعل ما خطر في النفس من غير نظر في عاقبته

اذ دعى وحده العباد واست منه في كل مقله اقلك ١٠٧

اذ

اذ ظرف لكف اي وقت ان **دعى** اي طلب حال كونه **وحده العباد** كلهم
الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات **و**
ان است اي حصلت اذ اسي يبتعمل كثيرا في ذلك **منه** في كل الازمنة
في كل مقله منهم وهي نجمة العين التي تجمع السواد والبياض **اقلله** جمع
قذا وهي ما يسقط في العين مما يولمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه
وسلم في ابتدا امره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان
بالله وحده وينادي عليهم في اندبتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم وعيبها
بكل عيب وسوء حتى اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في ايذايه والتجري عليه
لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ
بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل
واس لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه يكثرون ويتقوون على اعدايهم
شيا فشيا الى ان مكنه الله من نواصي اعدايه فاذاق من بقي منهم على كفره
الهوان واجل من خضع منهم لعزته ما من البقاء والامان ومما ينبيك بعظيم
اذايتهم له ونصر عليهم ما ذكر اهل السير ان عمر بن العاص قال للزبير
ما اكثر ما رايت قريشا صابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم
اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم فطلع عليهم
صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر فيهم انتقصوه فساء ذلك تم
مر بهم فاساؤا فوقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي
بيده لقد جيتكم بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرايصهم فما لا ننوا له
القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له في الغد
في الحجر وفعلوا معه ما ذكرتم وبثوا اليه وبثة رجل واحد يوبخونه بسبب
الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردايه فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه وحال بينهم
وبينه كما مر **بنيه** قرينة سياق النظم مصرحة بان القذي في العين

مستعار لما حصل لهم في عيون بصايرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم بما
سرا دفنا واما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالعذي ما على اعينهم من الغشاوة
المانعة من النظر فى امر الحاجة لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من
الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما
يعلوها من الران والصدا انتهى وهو غفلة عن سياق المتن او عدم تامل له
بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن العذي لكل مقلة منهم
وحينئذ فلا يصح تفسير العذي بشئ مما ذكر وانما يصح تفسيره بما ذكرته
فتامله والدليل على ذلك الحراسة انه **قال**

هم قوم بقتله فابى السيف وفاءً وفات الصفواء

هم قوم يدخل فيهم التابعا **بقتله** بالسيف **فابى السيف** اي امتنع
من الوصول اليه والتاثير فيه **وفاء** اي لاجل وفايه بما اخذ عليه كنية الخلق
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وبذلك الامتناع
وقع غير مرة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه
شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك
مني قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة
حتى سال دماغه كما روي وصح ان عودت ابن الحارث اخترط سيفه صلى الله
عليه وسلم وهو نايم فاستيقظ فوجد في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله
فسقط من يده فاخذ صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فعفى
عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله عليه وسلم وقع
له نظير ذلك في غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج في قضاء حاجته ووقع نظير
ذلك مع رجل سيد لقومه بنجاعة وغيرها اعزوه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم
فانكروا عليه فقال نظرت الي رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك فعلمت انه ملك واسلمت **وفات** اي

رجعت على راسها وبينه وبين وفاء الجناس اللاحق **الصفواء** اي رجعت
الجحاة عن اصابته بل حمدت في يد راسها الذي هم ايضا بقتله

وابو جهل ادراى عنق الفحل اليه كانه العقباء

و هو ابو جهل ابن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من اشد الاعداء
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم ونسبته احلامهم وسب
الهتهم فاظهر والله شدة الابا والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال
لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون وانى عاهد
الله لاجلس له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلوته رضخت به راسه
فاسلموني له عند ذلك او امنعوني فلتصنع بني بنو عبد المطلب ما بدا لهم فقالوا
والله ما نسلمك لشئ ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه
وسلم اقعاده وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا
منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه
فقاموا اليه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة
فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا
مثل صورته واني به لفحل قط فهم بي ان ياكلني ذكر انه صلى الله عليه
وسلم قال ذاك جبريل لو دنى مني لاخذه **اذ** ظرف لهتم المقدم قبل ابو جهل
لانه معطوف على قوم بقتله اي وهم ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذي
حمله قبل ان **راى عنق** بسكون النون وضمها **الفحل** وقد برز **اليه**
كانه العقباء اي الداهية العظيمة او الطاير العظيم المعروف وبين عنق
وعقباء الاشتقاق او شبهه وما ذكر من ان ابو جهل وما بعده معطوف
على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه
ان وقت دوية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة
والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الصفوا اي رجعت الصفوا

عن الوصول اليه ورجع ابو جهل عن الري بها وقت روية النخل فاذ
حينيذ ظرف لفات مع فاعلها وما عطف عليه **قال**

وافضاه البني دين الاراشي وقد ساء بيعه والشراء

وافضاه معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اى افضى منه
وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه
الدين قضاه انه متعد بنفسه اى طلب البني صلى الله عليه وسلم من ابي جهل
ان يودي دين كهلة بن عصام بن كهلة بن اراس بن العوت بن عمرو بن
الاراشي بكسر الهمزة كلونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو
جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على ناد من قريش فقال من رجل
يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي قالوا لا يخلصك
منه الا ذلك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاءً به فجا اليه
صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد
سالت اولئك القوم فاشاروا اليك فخلصني منه رحمك الله فقام معه ليخلصه
منه كيف **وقد ساء بيعه** ذكر ان الكلام ليس الا في الشراء لانه لا نظير له
وهو من مراعات النظير **والشراء** اي مشتراه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب
اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ما يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم
بابه عليه فقال من ذا فقال محمد فاخرج الي مخرج وقد امتقع لونه
فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى ياتيه فدخل فاخرجه
اليه فجاء الى اوليك فاخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويلك والله ما رايينا
مثل هذا الذي صنعت قط فقال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب علي بابي
فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي لفحلا من الابل ما رايت مثل
هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني **قال**

ورأى المصطفى اباه بما بيخ منه دون الوفاء والنجاء

و من ثم **راي** ابو جهل **المصطفى** صلى الله عليه وسلم وقد **اتاه بما** اي بفحل
بل لم بيخ بفتح ثم ضم وضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز لاهنا لاجل
الوزن لشد بدها من بخى يبخو او بخي يبخو فهو ناج وبيخ **منه دون الوفا**
الدين الذي للاراشي **النجاء** بوزن الضراب مبالغة في ناج فالوفاء مقصور
ويجوز تخفيف الجيم مصدر فالوفاء ممدود وفي القاموس بخا يبخو او بخا بخاة
وبخاية خلص كنجى واستنجى والنجاه الله وبخاه وعلى هذا الوفا مقصور
وعلى كل هو فاعل بيخ ونظيره في المصدر قول الحاجري رحمه الله

• يا خلي الفواد قد ملاء الوجد • فوادي وبرح التبريح •

اي ذلك الفحل لا يبخى او لا يبغو من البخاة بالمبالغة اي من تكررت بخانه
من الامور الصعبة الى ان وفى ذلك الدين او لا يبغو من البخاه بالتخفيف
اي البخاه الا بعد ذلك الوفا **قال** رحمه الله

هو ما قد راه من قبل لكن ما على مثله بعد الخطاء

هو اي الفحل المري في هذه الواقعة **ما** اي الفحل الذي **قد راه**
من قبل اي في الواقعة السابقة في فحله وفات الصفواء الي اخره
لكن لاستدراك في ذلك لان هذا اللعين **ما على مثله** في العتو
والتهور السالبين لادراكه الموجبين لاهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه
اثبات الحكم عليه ببينة على حد مثلك لا يخل **بعد الخطاء** لان خطاه
لا يحضر فلا يعد ومد الخطا لغة شهيرة **تنبيه** قد يسال عن الحكمة
في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بموذ مطلقا اشد المنع ولم يمنع من القاء سلا الجزور على ظهره صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي **قلت** كان سر ذلك امهاله حتى تنفد دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس
عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عز صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس

باهلاكهم بدعوته والقائهم في القليب على اخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرايه مختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وبنت صلى الله عليه وسلم ساجد اي انه لم يعلم بخصوص ما وضع وانما لم ينقل انه اعاد لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلوة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلوة الليل فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية رضي الله عنها فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وقدمه لانه اشقاهم واشدهم اذاية له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف وعقبة بن معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام النبوة ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود رايتهم صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة قتل بارض الحبشة لكن على اشر قتله فانه تعرض لزوجة النجاشي فامر ساحرا فنفخ في احليله من سحر عقوبة له فتوحش وصار مع البهايم الى ان مات في خلافة عمر رضي الله عنه وايضا عقبة بن ابي معيط انما قتل صبرا بالصفرا

بعد

بعد بدر وامية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح في القليب قال

واعدت حمالة الحطب الغمر وجات كالها الورقاء

واعدت عطف على هواي هيئات ام جميل بنت حرب ابن امية **حمالة الحطب** لبنت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله **الغمر** اي الحجر الذي يملاء الكف لما انزل الله وتبت يدا ابي لهب السورة **و** الحال انها قد **جات** اليه وهو في المسجد وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهي في غاية السرعة والعجلة **كالها** الحمامة **الورقاء** اي الشديدة الاسراع اي حال كونها شبيهة بها في ذلك فهي حال متداخلة قال

يوم جات غضبى تقول ابى مثلى من احمد يقال للهجاء

يوم ظرف لاعدت **جات** في حال كونها **غضبى** من شدة ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة في طي الفواد ياججها طرو السبب المحرك لها فان لم تقدر على انفاد شئ في المغضوب عليه سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته او اوله وحال كونها **تقول ابى مثلى** وانا بنت سعد سيد بني مخزوم متعلق بيقال **من احمد** صلى الله عليه وسلم حال من الهجا **يقال للهجاء** اي السب والذم ونسبة القول اليه اما لحقيقته وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير الصنم فمن ابتدايه نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فمن كانت من هولاء فمن تعليليه اي تقول الهه ذلك لاجله قال

وقولت ما راته ومن ابن تري الشمس مقله عمياء

وقولت عطف على اعدت **و** الحال انها **ما راته** وكيف تراه وهو في ظهور للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعني تلك المراة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة **ومن ابن تري الشمس مقله** اي عين

العمياء ولما راها ابو بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله انها امراة بديه فلوثت
قال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فلم تر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك
كيف يهجوني فوالله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة
وسرت هجوا بتحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت عندي بصدق
وانصرفت فقلت يا رسول الله لم ترك فقال صلى الله عليه وسلم لم يزل ملك
يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله ببصرها عني فكان صلى الله عليه
وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما
وانا محمد صلى الله عليه وسلم **تنبيه** قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة النجم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تحينيذ
القى الشيطان في امنيته اي تلاوة تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وفي رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الى اخره فعند سجوده اخر
السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر لهتنا بخير
قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية ففشى ذلك في الناس واظهر
الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين للمشركين
خلاف ذلك رجعوا الى اسلامهم عليه كانوا والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو
طير الماء شبهت بذلك الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى لكونها تعلو
في السماء وترتفع **تنبيه** كثر كلام العلماء في هذه القصة فمن منكر لوقوعها
ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز لاحد النقل لها كعياض والفخر الرازي وسبقهما
لنحو ذلك البيهقي وابو بكر بن العربي وغيرهم وقوى ابو بكر بن العربي ان البخاري وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم
قراءة سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا
فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبالغ من
وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل خرجها من طرق كثيرة جدا

ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابو اسحاق في
السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ
ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يروها مسندة
من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام
ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا بلغت منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما
ضعيف واما منقطع وبعضها مفرد يوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور
فزعم ابن العربي وعياض ان رواتها لا اصل لها ليس في محله اذ لا يمشى على
القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا
قال وقد ذكرنا ثلاثة اسانيد منها على شرط هي مراسيل يحتج بمثلها
من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينيذ يتعين
تاويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
العلى اخره فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه
ان يزيد في القرآن عمدا او سهوا واختلفوا في تاويله فاخرج الطبري
عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه ولم يشعر به فلم علم اظهر بطلانه
واحكم ربه آياته واعرض بانه لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب بان
هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما رآه
اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله تعالى للناس
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر
به احد ثم رايت من اجاب بما يؤيد ما ذكرت وهو انه صلى الله عليه وسلم
كان يرتل قراءته فاراد الشيطان سكته ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة
النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله
وانا عنها واحسن هذا الجواب عزيز واحد من المحققين كعياض وابن العربي
وايده بما جاء عن ابن عباس من تفسير تمني بتلى فعسى في امنيته اي في

تلاوته وفي ذلك اخبار من الله تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان
فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بين الله تعالى له بطلانه فعلم من هذا
ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم لان نبينا قاله وقد سبق
الي هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه
وشدة ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان
لجاء الي التلفظ بذلك من غير اختيار فمردود بان الشيطان لو قدر على ذلك
لم يمكن احدا من طاعة او بانه على تحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح الهتهم
فجرى على لسانه سهوا فهو فاسد مما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان
ارتضاه عياض كالبا قلاني فقال هذا جايز مع قرينة تدل على المراد لاسيما والكلام
في الصلوة اذ ذاك كان جايزا او بانه لما وصل الي قوله الثالثة الاخرى
خشوا ان يأتي بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه
وسلم على عادتهم في قولهم لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسب للشيطان
لانه الحامل لهم على ذلك وفيه نوع بعد او بان المراد بالغرانيق الملايكة وكان منهم
من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فسر ذكر الكل ليرد عليهم بقوله
الكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد اعظم الهتنا
فنسخ تلك الكلمة واحكم الله اياته فهو ابعد مما قبله **قال**

ثم سمت له اليهودية الشاة وكم سام الشقوة الاشقياء

ثم بعد ما وقع له من هذه الكرامات ووقع له كرامة في غزوة خيبر سنة سبع
من الهجرة هي انه **سمت له** زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها سنا ورت يهوديا في سمها
واجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه في
الذراع واكتفت لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع **وكم** مرات
كثيرة **سام** من السوم الذي هو مقدمة الشرا وهو الرعي وبين سام

وسمت

وسمت تحتمل نبه الاشتقاق **السقوة** اي تابر عليها وتحلى بها **الاشقياء**
الذين صاروا كالانعام بل اضل سبيلا ومنها ملك المراء وبينهما تحتمل الاشتقاق
وقول الشارح ان سام وسمت من هذا تساهل وفي البخاري انه صلى الله
عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الي من ههنا من اليهود فجمعوا له فسالهم
عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت
ثم سالهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال اخسؤا
فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم
قال من حملكم عليه قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك **وروي** ابو
داود انها سمت شاة مصليه ثم اهدتها اليه صلى الله عليه وسلم فاكل منها
واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى ابي
اليهودية فقال حملت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال
اخبرتني هذه الذراع ومن ثم قال **رضي الله عنه**

فاداع الذراع ما فيه من سر بنطق اخفاه ابداء

فاداع اي اظهر له صلى الله عليه وسلم **الذراع ما فيه من سر** اي سم
بنطق معجز له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك اعني انه اخبره بالمطن
فقوله صلى الله عليه وسلم اخبرتني هذه الذراع **اخفاه** عن الحاضرين
ابداء له صلى الله عليه وسلم اي هو ان خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه
وسلم وفيه طباق ولما قال لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره
وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا
من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها
وفي رواية عزا الى داود انها جعلت تسال اي الشاة احب اليه فقيل لها
الذراع فعمدت الى عنزها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الي سم وحي اي تقتل لوقته
فسمتها به واكثرت منه في الذراع واكلت ثم وضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم

ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع
فانتهش منها وتناول بشر عظم الخر فانتزع الغميمها واكل القوم فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذا الذراع تخبرني بانها مسمومة وفيه
ان لبشر مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اوليايه فقتلوها رواه الحافظ
الدمياطي وروايته معارضها رواية البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه
وجابر انه لم يعاقبها ومن ثم قال — تغمده الله برحمته

وبخلق من النبي كريم لم تقاصص بجرحها العجماء

وبخلق من النبي كريم بل لا اكرم منه قال الله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم اي بسبب ما تخلى به من كمال الحلم والعفو والصفح **لم تقاصص بجرحها**
العجماء بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر
العجماء اي المراة ويقال ايضا للبهيمة وقال الزهري اسلمت فتركها
وفي مغازي سليمان التيمي نحوه ولها قالت تبين لي الان انك صادق
واني اتمدرك ومن حضرني على دينك وان لا اله الا الله محمد رسول الله وجمع
البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب
السهيلي وزاد انما تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا
ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحتق بموته وجوب القصاص عليها
فقتلت وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء
رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن
قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان للامام فيه معتبرة فقياسها ان يقتلها
بمسموم كما ان اليهودي الذي رضخ راس الجارية امر به صلى الله عليه وسلم فرض
راسه بمثل ذلك الحجر انما للمماثلة المقصودة من مرعوية القصاص لا يقال
الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذ اراي
ذلك زجرا ونكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب في قتل القصاص كما يصرح به كلام

١١٨

امنا

ايمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة
عليها ولم نر احدا من ايمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب في غير قاطع الطريق
فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذي نحن فيه فان قلت هو يرد
على هذا الحصر لان هذا غير قاطعة طريق وصلبت **قلت** المذمي اذا
نقض العهد ملحق بقاطع الطريق في احكام هذا منها على ان ذاك صار كحربي
واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين **فان قلت** فوكلم لان المماثلة
الى اخره انما يتاتى على القول بتبعيتها في العقود اما المخيرون بينها وبين السيف
فيما ليس بمجرم او المخيرون بينها وبين السيف في القتل بمسموم فلا يتاتى
عليه ذلك البحث **قلت** بل يتاتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف
لا يعين العقود لانه يحتمل وبحتمل انه لنقض العهد والمدعي انما هو انما قتلها
بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا او تاخير قتلها الى موت بشر لا يدل
على العقود ايضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم
انما في هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول ايمتنا من اضاف
انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله
باختياره والمضيف لم يلجيه الى اكله وذلك لم يثبت انه قتلها بقيد
كونها قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص
مع اطلاعه على الروايات المختلفة في ذلك **فان قلت** لا نسلم ان نفيه
لذلك بل ان ثبوته لم يصح والاصل عدمه **قلت** هذا يحصل منه مدعانا
ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه
للخصم بوجه وبخلق من النبي كريم **قال** — رحمه الله

من فضلا على هوان اذ كان له قبل ذاك فيهم رباء

١١٩

من وهو معطوف على من لم يقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه
استيناف اي انعم نعمة عظيمة **فضلا** مفعول مطلق كفرحت جذلا

مطلب تتمثل

او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد المن ههنا ما ذكر الله تعالى بقوله
فاما منا بعد واما فداء عن تخليه سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اي رفع الرق
عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا
فمعنى هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذا وان منه معلل بشيئين
عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه قولا فيهم وعليه فحرف العطف
مقدر البتوت ويصح ان تكون الثانية علة للاول وايهامه قصر فضلا عليهم غير
موثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا تتعلق بهم سواء علق على هوازن ممن
او بفضلا اكتفاء بقرينة السياق **على هوازن** قبيله حليمة السعدية رضي الله
عنها وهم اهل حنين المذكور في القران وهو واد قريب من ذي المجاز السوق
المشهور من اسواق الجاهلية بناحية عرفه بين ذلك الوادي وبين مكة ثلاث
ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن
وتقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان
في اثني عشر الفا عشرة جاءتهم واثنان من طلقاء مكة ولما هزمهم صلى
الله عليه وسلم قصدا لطايف وامر ان يحمل سبي هوازن وغنايمهم بالجعرانة
حتى ياتي اليهم وكان السبي وهو النساء والذراري ستة الاف راس والابل اربعة
وعشرون الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة الاف وقية فضة **ولما** رجع
صلى الله عليه وسلم من الطايف انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه
مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنايم فجاءوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل
وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك وقام
رجل منهم فخد حليمة فقال يا رسول الله انا في الحظاير عمالك وخالاتك اي من الرضاع
لانهن قرابات حليمة وحاضنتك التي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث بن
ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذي نزلت فيه رجونا عطفه وانت
خير المكفولين فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه

انا وكم

ابنا وكم ونسا وكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابنا ونا ونسا ونا فقال اما ما كان
لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا
نتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ابنايانا ونسايانا فسا عطيكم عند ذلك واسال لكم ففعلوا
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم
فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار
مثل ذلك وامتنعت بنو اميم وفزارة وعباس ابن مرداس من بني سليم فوعدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا
من بقي عندهم ومن صلى الله عليه وسلم كذلك **اذ** اي لاجل انه صلى الله
عليه وسلم **كان له قبل ذاك** اي وهو طفل **فهم رباه** بفتح الراء والمد
تربيته من ربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشات بينهم او طول اعتبار
ما وصل اليه من لبن حليمه وتربيتها **تنبيه** جعل الناظم اذ تعليليه
خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الايه
وعلى الاول هل هي حينئذ حرف نزل منزلة لام العلة او ظرف بمعنى وقت
والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه
الاول وعلى الثاني في الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن
الماضي وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف
نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا بها نحو واذكروا
اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوايل القصص كلها بتقدير اذكروا بدلا منه
بدل اشتمال او كل من كل ورده الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف
وزعم المخشري انه تكون في محل المبتدا مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها
للمستقبل نحو فسوف تعلمون اذ الاغلال في اعناقهم لاستقبال تعلمون
لفظا او معنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع

١٢٠ وابى السبى فيه اخت رضاع وضع الكفر قدرها والسباء

وابى ذلك السبى اصله الاسر والمراد هنا المسبى اى الماسورون إلى
الجعرانة بامر صلى الله عليه وسلم ليقسمه فيها على المسلمين وكان
ذلك السبى فيه اخت النبى صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيماء كما
مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله ابى اخت صاحبكم فاتوا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها لكن وضع اى خفض الكفر القائم بها
قدرها ولذلك وضع قدرها السباء اى الاسر القايم بها ايضا فاضمحل
فى جنب ذلة هذين ما فيها من اخوة النبى صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى
جنب الكفر ما فى نحو ابى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء بكل طريق
امكنه ثم من الله تعالى عليها بالاسلام ومعرفته صلى الله عليه وسلم لها قال

١٢١ فحباها برا توهمت الناس به انما السباء هداء

فحباها اى اعطاها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها برا اى
لاجل بر اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول الثانى ويؤيده
انه ابدل منه قوله بسط لها رداءه واجلسها
عليه ثم خيرها وقال ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان اتمتعك
وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها كما
هو شانه صلى الله عليه وسلم ورد ها الى قومها واعطاها غلاما يقال له مكحول
وجارية فزوجته بها ولم يزل فيهم من نسلها بقية توهمت الناس الذين راوا
ذلك البر اى وقع فى فهمهم اذ دهنهم واسنا د ذلك اليهم باعتبار ما من شانه
به اى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه انما بفتح الهمزة اداة حصر
لمكسورها السباء اللواتى معها وبينه وبين الناس الجناس المعكوس هداء
بالكسر مصدر هديت المراة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والحباة فى

محل

جامعة الملك سعود
قسم الدوريات
عمادة شئون المكتبات

محل مفعول توهمت الناس اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم
يسبين لعظيم ما قابلهن من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلايها
عليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن سبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله
لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات تنبيه استعمال الناظم لانما
هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان قوله
تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فقالا انما لقصر الحكم على شئ او لقصر
الشئ على حكم نحو انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الاية لان انما
يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قايم
فايدة اجتماعهما ان الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور
على استيثار الله بالوحدانية وقوله ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى
فى الوحدانية مردود بانه حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه

بسط المصطفى لها من رداءه اى فصل حواه ذاك الرداء

١٢٢ بسط فهو بدل من برا وقيل بدل كل من بعض كونه بدلا من جبى المصطفى صلى الله عليه
وسلم لها من الظاهر انها زايدة على مذهب الاخفش وجماعة رداءه كان عليه
اى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون
صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهيا له
لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء اى فضل اى شرف عظيم لا غاية له حواه
اى جمعه ذلك الرداء مماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه
هذا التقدير من ان اى فضل الى اخره جملة نعت لرداء ومن زايدة او بعضه
هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اى مفعول بسط وان فضل بمعنى فضله
فمن تبعيضية وانه على حاله فمن تعليليه داخلة على مضاف اى بسط لها
من اجل فرشه رداه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اى تميزا ظاهرا على
بقية نساء هوازن وفى الرداء رد العجز على الصدر قال

١٢٣ **فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء**

فغدت اي صارت مندرجة **فيه** اي ذلك الفضل **و** الحال **هي سيدة** اولئك النسوة اللواتي معها من سبي هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن **و** ان اولئك النسوة اللواتي هن **السيدات** قبل اسرهن **فيه** ان ذلك الفضل **اماء** اي صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق وهذه موكدة للجملة الاولى التي هي من فاعل غدت كما علم مما مر **ولما** ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقي الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات ينقطع اعناق الاطماع عن ان تمتد اليها وخصال لم تزل امال الكمل الا عليها من كل سامع فانه مشاهدة روبته ان ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال

١٢٤ **فتنزه في ذاته وصفاته اسماعا ان عن منها اجتلاء**

فتنزه قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه في الرياض انتهى وكانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في القاموس البناعدتم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف اي الخصب والزرع وعين المياة وذباب القرى ومد البخار وفساد الهوي ثم قال واستعمال النزهة في الخروج الى البساتين والخضرة والرياض غلط قبيح **في** اوصاف **ذاته** من الكلام عليها في تلك ذات العلوم **وصفاته** اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته **اسماعا** اي من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية في هذا النظم الجامع البديع وبين صفاته وذاته جناس المقابلة كالاستماع والاجتلا الاتي **ان عن** اي فقد **منها** متعلق بتنزه **اجتلاء** من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اي مكتوفة مزينة اي ان فانك دونية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العليه فلا يغنك تفريغ سمعك لكل ما تتلى عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته وبه يظهر ان من زاد في الايجاب وهو ما اجاب جماعة

وخرجوا

وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من بناء المرسلين بجلون منها من اساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضون من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو البعيض فلا نهاية فتامله **قال**

١٢٥ **واملاء السمع من محاسن عليها عليك الانشاد والانشاء**

و لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل **املاء السمع** بان تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شيء محسوس وان سمعك اناء لوسعه لملاه ذلك المسموع **من محاسن** اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا **عليها** من اميلته الكتاب ويجوز املليته عليك من هذه القصيدة وغيرها **الانشاد** لها من نجي الصوت قايم الاعراب فقد قالوا من اقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات البنوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وانجية وطربا **وذلك** يحدث عندها بسببين احدهما انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثاني انها تحرك النفس الى محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وفرد صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر وفي هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعظم من سكر الشراب واقوى في اللذة من عناق الشباب **وقد** ذكر الامام احمد رضي الله عنه وغيره ان الله تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد ذهبته فيقول انا اردك عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل وعلا وخطابه لهم لاسيما ان انضم الى ذلك رويته وجهه الكريم فان ذلك يفني عن الجنة ونعيمها

وطلب

يا الكريم

بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والانشاء من ناظمها واسناد الاملاء
اليها مجاز ومما تحملت على استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملاء السمع
من تلك المحاسن انه يجب علمك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال
صفاته صلى الله عليه وسلم لا يمكنك ان تحيط بها كيف و قال

كل وصف له ابتدات به استوعب اخبار الفضل منه ابتداء ١٢٦

كل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدات انت وانا به في الذكر
او ابتدات بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول
مقدم اي جميع اخبار الفضايل والكمال منه متعلق بقوله ابتداء اي كلما
ابتدات بوصف له صلى الله عليه وسلم وتاملت ما اشتمل عليه صريحا وانما جمع
دلك الوصف المبتدا به جميع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد
دلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ بحجزة بقية تلك
الاوصاف اذ لا تحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل
فيه بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل
من صفاته صلى الله عليه وسلم تدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها التزاما
واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتامله وبهذا التحقيق الذي
تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من
العلوم والمعارف وليس ذلك بكبير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعالم
الشهير سيدي ابي العباس المرسي وارث السيد الكبير ابي الحسن الشاذلي
قدس الله روحيهما ونور ضريحيهما وانما قررته في هذا البيت لتعلم انه من غرر
ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان
تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى
اوجد خلقا بديعا التريف على وجه لم نظر قبله ولا بعده في ادمي مثله وسر ذلك
ان محاسن الذوات دليل على ما يظن فيها من بدايع الاخلاق ودلايل

الصفات

الصفات وينبئ صلى الله عليه وسلم فد بلغ الغاية التي لم يصل اليها
غيره في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في مديح البردة رضي الله عنه

• وهو الذي تم معناه وصورته • ثم اصطفاه حبيبا باري النسم •
• منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •

فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره
لانه الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن قول بعضهم لم
يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدات وابتداء
جناس الاشتقاق تنبيه شرح الناظم تمام معناه بما مر وباني ولم
يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار الى ذلك بقوله مر به وحر الى اخره
ضحكه التبسم الى اخره او بقبيل راحة الى اخره فتعين علينا ان نشير
الى شيء من ذلك فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء كان احسن
الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت شيا احسن
منه كان الشمس تجري في وجهه وعن البراء انه قيل له اكان وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف في الطول
ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة
لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فبنه بهذا انه جمع بين الحسن
والاستواء والاستدارة وجاء عن علي كرم الله وجهه لم يكن بالمكلثم
اي مستديرا استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو
معنى قول ابي هدبة كان اسيل الخدين اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع
الوجنة وشبهه عروة احد نسائه القمر اي عند المنافة وقيل احتراز عما
في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر وعمر له ببداة القمر وفي النهاية
انه كان اذا سر صار وجهه كالمراة فترى خيال الجدر فيه وفي رواية تيلالاء
وجهه تلالوء القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيه بالقمر دون الشمس

لان من شاهد ينظر بكمال النظر ويتأنس به ولا تأذى منه بخلاف الشمس
في الكل ولذا كان من اسمايه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون
من مرجعه من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ثم هذى المشبهات
جرت على عادة العرب والا فلا مماثلة تعادل صفاته الخلقيه كالخلقيه
واما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن
عباس رضي الله عنهما كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء
وصح انه كان في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رويه ادراك
لهي بالبصر اذ الرويه الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع
ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم
الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب ولم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه وزعم
ان صورهم كانت تنطبع في قبلته والهما رويه قلب وان المراد بها العلم
بوحي او الهام وحديث اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما
ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد ونفرض وروده فهذا غير
ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لا يعلمه به بوحي او الهام
ومن ثم لما ضلت ناقته وقال بعض المحققين هو زعم علم الغيب
والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا
لحبستها بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وبفرض التعارض فنام في حالة الصلوة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت
التفت جميعا اي لا يسابق النظر او لا يلوي عنقه يمنه ولا يسرة
كالطائش الخفيف وان جل نظره النظر بحاظه وهو جانب العين الذي يلي
الصدغ وانه عظيم العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة
والسهلة حمرة في سوادها وفي رواية ادعج العينين اي شديد سوادهما
اهدب الاشفار اي طويلهما واما سمعه صلى الله عليه وسلم فسبق في

اوصاف النبي عليه افضل الصلاة والسلام

خبر

خبر الترمذي اني اري ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان
تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى
وفي رواية لابي نعيم او حاتم واما شعره فصح انه كان بين شحمة
لاذن اي بفتح ويكسر وهو ما يكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان
بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا يخالف لان في نبه
رجوله قليله فالاولى لنفي كثيرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى اسفلها
وانه الى الكتفين ولا يخالف ايضا لانه ربما ترك تقصيرا فيطول وربما بادر اليه
فيقصر وكان ان انفرق بنفسه والا تركه معفوصا ولعل هذا كان اولا
والا فالذي صح انه كان يسدله اي يرسله ثم فرق ثم رايت العلماء قالوا ان الفرق
سنه لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته وصدغيه شعرات
بيض دون العشرين وانما لم يكثر بيضه مع انه نوزع في رواية ما شانه الله بالشيب
اي لان الناس يكرهونه غالبا ومن ثم صلى الله عليه وسلم شيبا كفر واختلف
الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه في الحنا ولا يخالف لانه فعله
كثيرا وتركه كثيرا ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه كان كثير اللحية وجاء انه
كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وكان اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر ولم يرد عنه انه حلق راسه في نسك وعمرة ورواية انه كان ياخذ من عرض
لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحا فمن ثم اخذها امينا وزاد انه
كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وانه كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد
في كل عين ثلاثة قبل النوم واما جبينه وحاجباه وانفه ورأسه
فمدحه انه واضح الجبين وممدود الحاجبين اي شعرهما متصل وانه غير
متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كثيرين الشعر كما في رواية
سابغين كما في اخرى دقيقين كما في اخرى فمع كثرة شعرهما منهما سبوغ الى
اخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان

وليس في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الراس ضخم الكراديس اي رؤوس العظام
وجاء انه افنى الانف اي طويله مع دقة اوتبته وحدب في وسطه وعبر
بعضهم بانه سايل مرتفع وسطه وانه دقيق العرنين اي اعلى الانف وان من
لم يتامله يحسبه اشم اي طويل قصبة الانف **واما** فمه فقد صح انه واسعه
يفتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه
اشنب اي لاسنانه غاية البرد واللمعان وانه اذا تكلم رؤي النور يخرج من
ثناياه وانه مفلج الاسنان اي متفرقها وفي رواية متفلج الثنيتين اي الكثر من
البقية **واما** ريقه فقد صح انه يوم خيبر تفل في عيني علي رضي الله عنه
وكرم وجهه وكان به رمد فبرئ لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه
وجاء انه مج في بير ففاح منه رايحة المسك وانه بزق في اخري فلم يكن في المدينة
اطيب ماءً منها وانه كان يوم عاشوراء يبصق في فم رضعايه ورضعا فاطمة
ويمنى عن رضاعهم فحزروهم ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها الحسن
نسوة فضغنها كلهن فمتن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف **واما** فصاحة
لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فامر اظهر من ان يذكر واشهد
من ان ينشر كيف وقد ارتقى في كل ذلك الى الغاية التي لم يدركها مخلوق حتى
قال بعض العلماء ان كلامه صلى الله عليه وسلم معجز كالقران **واما** صوته
فروى ابن عساكر خير ما بعث الله نبيا فظ الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت
حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت والبيهقي
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن **وابو نعيم**
انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله
ابن رواحة وهو في بني تميم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى فمع الله
اسماعهم فسمعوه بمنازلهم **واما** ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء

سيد للعالمين الاولين والاخرين كما مر مبسوطا اول الكتاب **ضحكه**
اي النبي يظهر بسرور وهو **التبسم** كما رواه البخاري عن عائشة رضي الله
عنها ما رايته مستجمعا قط ضاحكا اي معتلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم
ولا ينافيه خبر البخاري ايضا في المواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت
نواجذه وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة
في الضحك لان عايشة انما نفت رويتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم
الذي دل عليه مجموع الاحاديث ان اكثر ذاته التبسم وربما ضحك وانما المكروه
الاكثار والافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روي البخاري في
ادبه وابن ماجة النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم مبادي
الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع
صوت خفي فان كان معه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة **واما** بكاؤه
صلى الله عليه وسلم كان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن
تدمع عيناه حتى يسمع لصدره ازيز اي غليان يبكي رحمة لميت وخوفا
على امته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القران واحيانا في صلوة
الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب بل جاء ان كل نبي كذلك
واما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كما في عدة طرق بانه
شثن الكفين اي غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف
ايضا ان يده صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير والديباج واطيب ريحا من المسك
ولا ينافي هذا الذي مر انفا لانه جمع بين لين الجلد وغلظ العظام وقولها
وتفسير الاصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه انه قيل
له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكف فاقسم ان لا يفسر شيئا في
الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة في كفيه
من جهاد وعمل في مهنة اهله وتفسير ابي عبيدة له بغلظ الاصابع مع قصرها

يرده ماجاء انه كان سابل الاطراف فالتحقيق ان الشعر الغليظ من غير
خشونة ولا قصر **وروي** للحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح الدم عن وجه
وصدر من جرح في وجهه فكان اثر يده غرة سابله كغرة الفرس وصح انه صلى
الله عليه وسلم مسح راس ولحية ابي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ
بضعا وماية سنه وما في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض **وروي** احمد وغيره
انه مسح راس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بحمل يده الورم فيذهب
واما ابطاه صلى الله عليه وسلم فكانا ابيضين كما جاء عن عده من الصحابة
رضوان الله عليهم لكن يعارضه الرواية الصحيحة كنت انظر في غرة ابطيه
والغرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع محل البياض في الاول على البياض غير
الناصع وذكر بعضهم ان لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه وكان بسيل
منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته كاقصب ليس على صدره ولا على بطنه
غيره **واما** بطنه وظهره صلى الله عليه وسلم فجاء انه مفاض البطن اي
واسعه وقيل مستوي الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثنى بعضها
على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر **واما** قلبه صلى الله
عليه وسلم فهو قلب اودع الاسرار الالهيه والمعارف الربانيه لانه اول الخلق
كما مر وصورته اخر صور الانبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم فهو اوعيهم واخرهم
حيازة اعلى الكلمات للخليقه وللخليقه ومما ينبيك ان قلبه اودع ما لم يودعه
غيره نكر بنفقه وملئه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك
مبسوطا في بحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهره التي هي اعلام
على اخلاقه الباطنه وكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه **واما**
جماعه فقد صح عن انس كما يتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وروي
الاسماعيلي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة

والرجل

والرجل في الجنة يعطى قوة مايه كما صححه الترمذي وقال غريب وارتعون
في مايه باربعة الاف ومع ذلك كان على غايه من تقليل الغذا لتخرق الله له
العاده في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبيا لانه من الشيطان لكن ظاهر
قول عايشه يصبح عاصا جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم ويتسلمه فالاول
محمول على ما اذا كان عن رويه وجماع لان هذا هو الذي من الشيطان
بخلاف مجرد نزول المني في النوم **واما** قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء عن
غير واحد انه ستن القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه
اطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد
وكانت خنصرهما متظاهره وكان لا اخمص لهما اي ليس في باطنهما كبير
انخفاض بحيث يطاء به كله وهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسح القدمين ان
فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق **واما** طوله فكان ربعة لكنه
الى الطول اقرب كما جاء به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما بعيدان هذا
ان مشى وحده او مع قصير والاطال على من ماشاه وهو ينسب الى الطول بل لو
اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعه **واما مشيه** فقد صح عن
علي رضي الله عنه انه كان اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه
كان اذا مشى يتقلع والتقلع والانحدار قريب من الصبب اراد انه كان يستعمل
التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو
مراد الناظم بقوله **والمشي** الكائن منه **للهوينا** تصغير الهون وهو
السكينه والوقار للتعظيم نحو قول الشاعر **مهفهف**

• وكل اناس سوف تدخل بينهم • دويهية تصفر منها الانامل •

وقد مدح الله تعالى من يمشون كذلك فقال عز قايلا وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا ولا يأتي في ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة ما رايت اسرع
من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوي له انا لنجهد انفسنا

مطلب ان الذي صلى الله عليه وسلم يطول في الطويل ويساوي القصير

وهو عزيز كثرت لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل
عليه قوله كان الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية
ذريع المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع
كأنما يتقلع الارتفاع من الارض بحملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم
والهمة وهي اعدل المشيات وارفقها للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة
كأنه خشبة واحدة يحمله فهي مذمومة كالمشي بالتزعلج كالجمل الاهوج وهذه
تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه
وسلم اذا مشى في قمر او شمس لا يظهر له ظل وسن قوله صلى الله عليه وسلم
في دعائه واجعلني نورا **واما** لونه فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض
كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيضا
نعم قدمنا رواية ابيض شديد البياض الا ان يحمل المشرب بالحمرة على الوجه
فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة
فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي احمر ليس بابيض وقول عياض رحمه الله
انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالادم وقول عياض ان هذه
ليست بصواب مردود بان المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما
يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية
وتوافقهما رواية ابيض بياضه الى السمرة ورواية احمر الى البياض والمراد
انه كانت تحصل له السمرة اذا سافر لتأثير من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما
كان زهاصا كما مر وقد انقضى وذهب بعض المالكية الى من زعم انه كان اسود
يقتل اي لان السواد يشعر بالنقص **ولما** طيب ريحه وعرقه وفضالاته
فكان في ذلك الغاية العليا وان لم يس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى
والطبراني ان رجلا استعان به في تجهيز بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها
من عرقه وقال رشها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به تم اهل المدينة ذلك الطيب

فمحا

فسموا بيت المنطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق قفر الناس منه وجدوا
رائحة وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل
او من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب انه ما كان يخرج منه صلى الله
عليه وسلم يبتلعه الارض رايته للحافظ عبد الغني بان احدا من الصحابة لم يذكر
انه راه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه ومن اختار جماعة من
ائمتنا طهارة جميع فضلاته **واما** نومه فهو **الاغفاء** اي لخفة النوم
بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين
عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام
قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر
ذلك كمال حيوة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه
وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه
وسلم بالوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رويتها من وظيفة العين
والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين وهي نائمة والقلب
يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه قبل التحرالى ان حميت
الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما
لم ينبه على ذلك ليتم التشريع بتلك الاحكام الذي استفيدت بتلك الاحكام
الكثيرة جدا الذي استفيدت من تلك الواقعة كسهوه في الصلوة وقيل
كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ ورده فانه لم يثبت
وهو مردود على قائله كما دل بعضهم قوله لا ينام قلبي بما يخرجه عن ظاهره
من عجز ليل وإذ قد انتهى الكلام على شيء من محاسن ذاته التي لم يخلق الله
تعالى ذاتا اشرف منها فالنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته
التي لم يخلق الله تعالى ايضا اشرف منها **قال** رحمه الله

ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء

ماسوى اي ليس غير خلقه النسيم اي الريح التي في غاية اللطافة واللين
والطيب يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول
ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
ثم قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسله فان قلت ريح
هذا ان خلقه افضل من النسيم بل الا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه الموذن
بترفيعها عليه قلت هذا الاعتبار انما هو باعتبار الغالب والا فقد
يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صليت على ابرهيم الى اخره فكذا هنا
تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقيت الروح ويحيي القلوب
ويجلو صدا النفس وغير ذلك بما الاقيام لحقيقه الحيوان الا به وانما
قلت لا تشبهها الى اخره لا يبين ان هذا المراد من العبارة لا يفي به وذلك
لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا
المراد من العبارة لا يفي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه لان هذا الحصر لا
دليل عليه في الكلام بل صرح كلام الراغب ان لا مفهوم للنفي بغير وعبارته غير
ينال ينال على وجه الاول ان يكون للنفي المجرد من غير اثبات معنى به ونحو
مررت برجل غير قايم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وقال تعالى وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتي
في شرح قوله وما سواي هو العامي ماله مما هنا فاستخرم والخلق
بضم او سكون قال الراغب وهو والمفتوح في الاصل بمعنى واحد لكن خص
المفتوح بالهيات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة
ثم قيل المضموم غريزي لخبر البخاري الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم
والحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال
للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما او
حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله فتر بدبه

الوال

السوال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك يدل على ان بعضه غريزي
وبعضه مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقي
فحسن خلقي وما صح انه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق
لا يهدي لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون
فيه فمن علم حسنه وكماله امر بالمجاهده والرياضه حتى يقوى ويصير محمودا
وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على ربها فعل الجميل ويجتنب القبيح
ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال
ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله عليه في كتابه الكريم فقال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد في المدحة بايثانه بعلى المشعرة
بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها فلم يصل
اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب وصفه لان كرمه
يراد به السماحة والرمانه وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك
بل كما كان عند غاية الرحمة للمومنين وعند غاية الغلظه والشدة على غيرهم
فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق
بخلقه وما بينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله احسنني بتمام
مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفي رواية للموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق فكل خلق جميل اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القران قال السهروردي رحمه الله في عوارفه في قولها ذلك
رمز غامض واشارة خفي الى الاخلاق الربانيه فاحتشمت الحضرة الالهيه ان تتوصل
كان يتخلق باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران
استحياء من سبحات الجلال وستر الحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه
الله الى جميع العالمين وعلم من كلام عايشة رضي الله عنها ان كل ان خلقه لا

تتناهى كما ان معاني القران لا تتناهى وان التعريض لحصر حزن بيانها غير مقدور
للبشر ثم ما انطوى صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب وروياضة
انما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي لم يزل ينمو في
قلبه الى ان وصل الى اعظم غاية وانتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشاء عن
كمال العقل لانه الذي به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل والعقل لسان الروح
وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصر وفي القاموس
بعد الاشارة الى الخلاف في تعاريفه في الحق انه روحاني به تدرك النفوس
العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو
الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور اول ما خلق الله تعالى العقل قال
له اقبل الى اخر موضوع وعقل بينا صلى الله عليه وسلم في الكمال الى غاية لم
يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد في
احد وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من
العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا كحبة رمل من ملايين الدنيا ومما
يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة
وصبره على طباعهم المشاغبة المتباعدة حتى قابلوا دونه اهاليهم وهجروا في
رضاه اوطانهم واحبابهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يطلع على سير المتقدمين
ولا تعلم من العلماء المحدثين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر انفا **ولا غير**
محياه اي وجهه **الروضة الغناء** اي الكثيرة النبات والازهار والثمار
اي ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه احسن الوجه خلقا كما مر مبسوطا هو
رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء ١٢٩
رحمة وهي عطف ميل نفساني في غايتها التفضل والانعام اي عينها مبالغة
او ذوها هو خبر مقدم واخر هذا ومما بعدها لفظ المصدر استعارة لانها قد
امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هي اي ركب منها

وطبع

وطبع عليهما وخلق منهما **كله** كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل ومفعولا لاجله وعلى حذف
مضاف اي ذا رحمة والعالمين قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل
والملايكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل عليه ايضا ليكون للعالمين
نذيرا ونقل الرازي وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملايكة مردود بل اخذ
بعض متاخري ايمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة كما مر
وعلى كل فهو رحمة للمومنين بالهداية بالايمان من القتل وللكافرين بتاخير
العذاب ولسايل الحيوانات لان بوجهه صلى الله عليه وسلم يستسقى الغمام
وبدعايه ينزل قطر السما فينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا وللمنافقين
وقال ابن عباس رضي الله عنهما للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من
كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى القيمة واما
من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة فعلم ان ذاته رحمة للمومنين والكا
فرين كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ورووي الداري والبيهقي
حديث انما انا رحمة مهداة **وقال** بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان
وجود وجميع شمايله رحمة على الخلق وقال اخر الانبيا خلق اكلهم من
الرحمة وبنينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو رحمة وقد
جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر
ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد **ومن** اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار
والمنتقم وفي الشفا حكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من
هذه الرحمة شيء فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما بشح وجهه
صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم احد قالوا له لو دعوت عليهم
فقال صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي اغفر لهم هذا الشيء المخصوص

لا مطلقا والا لسلموا كلهم ذكر ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق
بان الله يملاء بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلوة الوسطى وكان الدعاء لله
لا لحظ نفسه **وحزم** كله اي جميع احواله التي تصدر منه انما تصدر منه على
غاية الضبط والتقن الباطنه والظاهره لان منشاء ذلك العقل الكامل
وقد مر انه لا اكمل من عقله بل لا مساوي له من نبي وملك **وعزم** كله من عزم
على الشيء قطع به اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضاية
والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه
اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان اناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى
دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلي ركعتين بعد العصر الى وفاته
ووقار كله لان الله تعالى القى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة
ابن زيد كما رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
وعن ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه وكانما على رؤسهم الطير
جاءه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك
فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فتطمن
الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا
حتى لا يبغي احد على احد ولا يكونوا عباد الله اخوانا وراته قيلة بنت مخرمة في المسجد
قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص
رضي الله عنه قال ما صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاملات عيني منه فطا
حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء
الصحابة كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يهابهم

ويمزح

١٢٢

ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر احد منهم
ان يجالسه ولا يجادنه لما القى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه
وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار اليه جبريل ان تواضع فاشار اليه
ان تواضع فاختار العبودية **وعصمة** كله اي حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه
من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في سائر
حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده وهزله رضاه
وغضبه والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد اجمع الصحابة رضوان
الله عليهم على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير
ولم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم
بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوالهم معه استحا من الله
تعالى كما قال الامام المجتهد التقي السبكي ان يخطر لك تشكك في انه
صلى الله عليه وسلم معصوم في كل ما ذكرناه وكذلك الانبيا كلهم معصومون
كما ذكر وحكي في عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل بالله وصفاته
اما هو فهم معصومون منه اجماعا عالم بنبوتهم او لا على اكمل الاحوال من الايمان
بالله ومعرفته كما ينبغي وحكي في عصمتهم من الصغاير بعد النبوة خلاف
ايضا وهو في غاية الضعف بل الزم قايلي بخرج الاجماع وما لا يقول به مسلم
ومحله في غير صغاير الخسة كسرق لقمة وفي غير ما يتعلق بطرف التبليغ اما
هذان فهم معصومون منهما اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه اقوال كثيرة احسنها ما جاء عن ترجمان القران ابن عباس
رضي الله عنهما واخذ من صحابة وتابعين ان معناه وجدك ضالا عما اتاك من
معالم النبوة فهداك اليها وبين قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي
ما الكتاب اي القران ولا الايمان اي الدعاء اليه ولا الفرايض والاحكام اذ الايمان
يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس

مطلب

كما يصرح بسبب النزول وما جاء مرفوعا اي وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب
حتى كاد الجوع يقتلك فذلك الله وهو من ضل الماء في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك
مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على اقوال كثيرة لها بسط الاحتجاج
به للقول الساقط البين انفا ومن احسنها ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوة
التي اد حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض اي صوت
والمراد عصمناك من الوزر الذي لو تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمي العصمة
وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزارك التي ثاقل ظهرك خوف غايتها حتى
امنك الله في العاجل بقوله عز قايلا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
واعطاك الشفاعة فيهم في الاجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فاختلفوا فيه لذلك واحسن ما فيه ايضا قول ابن عباس رضي
الله عنهما انك مغفور لك غير مواخذ لك بذنب ان لو كان او المراد بالذنب ذنوب
امته على وزان ما سراوتزك الأولى والاخرى كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين وعليه قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم اي محى عنك ما اثر كتبه
من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين في بعض هذه الايات ما لا ينبغي
من التساهل وسوء الادب فاحذر وحفظ صلى الله عليه وسلم من اعدائه
الحريصين على قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس
فاخرج صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال ايها الناس انصرفوا فقد
عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله فلما هموا سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم
ثم تواعد امرة اخرى فلما راوه جات الصفا والمروة فحالت بينه وبينهم واعد
ابو سفيان قريبا ان راه ليطان على عنقه فاعلمه به فذهب اليه فولى هاربا
فسئل فقال لما دنوت منه استرفت على خندق مملوءا نارا فكدت ان اهوى فيه
وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة

لو

لو دنى لاختطفته عضوا عضوا وقد عليه عامر بن الطفيل واربد بن قيس
ليقتلاه فشغله عامر واراد اربد قتله فلم يرا لا عامرا وحية كله كما يصرح
به البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها قيل ذكر من باب التتميم لان
العذرا في خدرها يشتد حياوها اكثر مما تكون خارجا عنه لان للحلوة مظنة
وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها
لاحيث تكون وحدها فيه والحياء بالمد لغة تغير يعتري الانسان من خوف ما
يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي
الحق من الحياء وكذا الحيا المقصور وهو للمطر وقوته وضعفه بقوة
جوع القلب وضعفه وهو اقسام تمانية يطول استقصاوها منها حياء
الكرم كحيايه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده
المقام ان يقولهم انصرفوا ومنه كان لا يواجه احدا بما يكرهه بل اذا بلغه
عن احد شئ قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة رضي الله عنها
ما رايت منه ولا راى مني ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في
عينة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف
وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها
حياء المومن من نفسه ان رضيت بالنقص وقنعت بالدون حتى كان له نفسين
يستحي احدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحيا وهو حياء
النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا ياتي
الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري وجعله من الايمان مع انه غريزة
لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب
هو الذي جعله الشارح من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من
كان فيه غريزة منه بانها معينة على المكتسب حتى يكاد تكون غريزيا وهو

صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين وكان في الغريزي اشد حياء من
العذراء في خدرها وسر ان عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك
اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم
والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما في الشدايد حتى انه

١٣٠ لا تحل الباساء منه عرى الصبر ولا تستخفه السراء

لا تحل الباساء اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب وقد اسعرت نيرانها
واصطلت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من المضاف او المضاف اليه
او تحل عرى الصبر وهو حبس النفس عما تكن اي اسبابه من الحلم والعفو
والصفح والشجاعة للبهمة في استملاكها على من قامت به حتى منعته من وقوع
بادرة منه عند ثوران الغضب مجال ربطت على شيء واحكمت في عرى فاستمسك
عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العري لاستعارة تخييليه وتشبيه الصبر
بالثوب السابغ ذي الازرار والعري المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح
وحسبك صبره على من حاربوه يوم احد في اشد ما نالوه به في كسر رباعيته
وشج وجهه صلى الله عليه وسلم فسال الدم على وجهه الشريف وستر ذلك
على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي
فانهم قومي فانهم لا يعلمون اي لاتعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا
يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر الآية ولو دعيت علينا مثلها من عند اخرنا
فلقد وطئ ظهرك ودمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلوة العصر اللهم املاء قلوبهم نارا
فان الحق انه وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب

اذا

اذا انتهكت حرمات الله استشاط لله سبحانه جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة
لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة
ونون مفتوحتين وهو احد احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات
النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا
اثنتين لم اخبرهما منه لسبق حلمه جهله عليه ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما
فكنت الطف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته
الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذته بمجامع قميصه
ورداءه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم
يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اسمع فوالله لولا احاذر فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ينظر الي عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى
غير هذا منك يا عمر تامرني بحسن الاداء وتامر من حسن التقاضي اذهب به يا عمر
فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته فقال فقلت يا عمر كل علامات
النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وقد عرفتهما فاشهدك اني قد اسلمت وروي ابو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله
عليه وسلم فجذبه برداءه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال احملني على
بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه
وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا حتى نعيذني من جذبتك التي جذبتني
كل ذلك والاعرابي يقول لا افيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا
وروي البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه
الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك
فضحك صلى الله عليه وسلم ثم امر له بعطاء وروي الترمذي عن عائشة رضي الله

عنهما لم يكن صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح اي لم يكن له التفحش خلقا ولا كسبا وروى البخاري ان رجلا
استاذن عليه فلما راه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه
الان له القول وانبسط اليه فلما مضى سالته عايشة عما قال وعما فعل فقال
صلى الله عليه وسلم متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وانباسطه اليه تالفه
له لانه رئيس قومه وتعليم الامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا
لصلاح الدين او الدنيا او هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا
وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله
فيه حق وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة
ابن حصن الفزاري وقد كانت منه امور في حروب النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته
تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر فما قاله
صلى الله عليه وسلم من علامات النبوة لانه في مامن انه لم ينتقم لنفسه امر
بقتل عقبة ابن ابي معيط وعبد الله بن اخطل وغيرهما ممن كان يؤذيه
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون محارم الله عز وجل فايس من
ايمانهم ومن ثم لم اطمع في ايقاد المنافقين امهلهم مع شدة ايذائهم له صلى الله عليه
وسلم بما لا صبر عليه بشر وصبر على ما علم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما اشار
لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث الناس ان
محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه وصح عن انس كان صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس وانجع الناس وان اهل المدينة فزعوا ليلة
فخرجوا فراى راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابي طلحة
فقال لهم لم تراعوا ثم راى فرسا مربوطا وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين
بانهم لا يصرعون فصرعهم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر

كان

كان هوازن رماه وانما لما حملنا عليهم لنكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلونا
بالسهام ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابن ابي
سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وبانه حينئذ لغاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة
عشر رجلا فوقف في نحو الوف مولفة على بغلة لا تصلح للكر ولا للفر وهو مع ذلك
يركضها الى وجوههم ويقول باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة كنا اذا
احمر الناس اتينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو وقنا
خلفه مجمعين به ولما قال اللعين ابي ابن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت
ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث ابن الصمة وقال لاصحابه بعد
ان ارادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنه كان يتهاوى لها تلاف نفسه
المخبئة اللعينة **ولا استخفه** اي لا تخرجه عن بنائه وتواضعه ووقار **السراء**
اي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي منحها في اواخر حياته بل هو معها كهو
قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لم ار اها ابو سفيان قال للعباس لقد
اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها
نبوة قال نعم وهو على نافتها القصوى في كتيبتها الخضراء بين ابي بكر واسيد
ابن حضير جاء انه صلى الله عليه وسلم وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه
الله تعالى به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس راسه شكرا وخضوعا لعظمته
ان احل له بلده ولم يحلها لاحد قبله وانما انصف صلى الله عليه وسلم بهذه
الكرامات التي لم توجد في غيره لانه **صلى الله عليه وسلم**
كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء
كرمت نفسه لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انوار
الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه

كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه تم اعلمه تعالى بكماله وبنوته ولبسه بعموم
دعوته ورسالته وبانه بني الانبيا وواسطة عقد الاصفيا وابو ادم بين الروح
والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم ابنجست منه عيون الارواح وظهر ممدا لها
في عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس
والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو وان تاخر وجود جسمه متميز على
العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني وممتد بقوة الامداد
الرحماني بسبب كرمة نفسه ونشر بعضها من كل رذيلة ونقيصه **ما يخطر**
السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهره الله بتنقل الملائكة
المرات المتعدده عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخرج ما فيه
مما جبل عليه النوع الانساني مما تقتضي ذينك تم طهر وغسل وحتى الحكم
والعلوم ما لا يحيط به الا المان عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى
من انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام اطناب واذا ملئ
ما اباه الله تعالى لنبيه مما من به من تلك الكلمات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد
عظمت نعمة الاله عليه فاستقلت لذكر العظماء ١٣٢
عظمت نعمة الاله عليه عظمت قطعت سائر الخلق عن ان يصل احد
منهم الى مبادي غاياتها ومقاصدها نهايا تها **فبسبب** هذه العظمة المذكورة
استقلت لذكر اي عند اي وقت ذكر ما انعم الله به عليه ونظيره اقم
الصلوة لذكري **العظماء** اي جميع ما انعم الله به عليهم لانه اوتي غايات
الكلمات الباهرة التي لا يدركها ثناء مخلوق ولو عرض معها على سائر العقول الكاملة
جميع النعم والفضايل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلها وعدوها
دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده اعظم واجل والخم واعدت ضمير ذكر وحملت
العظمى على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم
النعمة وحذر من اني لو لم افعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر

منه

منه عرفا الاحتقار للعظمى الشاملة لجميع الانبياء والمرسلين والملايكة
المقربين لاسيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنيا
ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء عده
قليلا حتى العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة
القليل الى الكثير **فان قلت** يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر
حتى على ما ذكرت لان الاضافة الى الاستقلال الى النعم توهم احتقارها وهو
محذور ايضا **قلت** ممنوع لان النعم الواصلة للعظم وغيرها توصف بالقلة
تارة والكثرة اخرى فلم توهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا اصلا بخلاف الذوات
فان وصفها بانها استقلت توهم احتقارها اذ لا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا
المعنى غالبا نعم قرينة المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع
ذلك الايهام كما هو جلي ومن عظمت والعظما بتحنيس الاشتقاق وكان صلى
الله عليه وسلم من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدايه وفرط الحلم
عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم **قال**
جهلت قومه عليه فاغضى واحتى الحلم دابه الاغضاء ١٣٣
جهلت قومه اي قريش وغيرهم **عليه** اي اذى اذي لا يطاق فضربوه
وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان
ادموا رجليه فسال منها الدم على نعليه فنجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه
بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم
وبني المطلب في شعب سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك
في البخاري ومسلم من حديث عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما
لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى الطايف فاغروا به سفهاءهم
وصبيانهم فضربوه ورجموه **فاغضى** عنهم حلما وكرما لاسيما وقد جاءه لما ان

اشتد ايذاوهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق
انفا فانه قال بعد ان ذكر ما اذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب
يدعوهم الى الله ويستنصرهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم
استفق الا وانا بقرن الثعالب اي ميقات اهل الحجاز فرفعت راسي فاذا انا بسحابة
قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني ان ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد
ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان
يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا فكان الامر كما رجى
صلى الله عليه وسلم **واخو الحلم** اي الناني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى
بمكروه وان عظم اي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه
دابه اي شانه وعادته المستمر هو عليها **الاغضاء** اي التغافل عن ان
يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه وفي كلامه المقابلة لما
قررته ان المراد بالجهل اللازمة من ايذايه بما لا يطاق ومن ثم لما اذوه يوم احد
بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون اي عما ينتفعون به اما لجهلهم اي اعتقادهم الشيء على خلاف
ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك وكانوا يعتقدون حل ايذايه ومقاتلته
غفلة عما لو التفتت قلوبهم الى ما دلت عليه المعجزات من صلى الله عليه وسلم
لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اي فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو
اضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان في العبارة الناظم بالجهل بعضنا تجهل قوله
لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمة من عدم الانتقام وكانا بين الامساك والاعطا
والتحقق والظن الاتيان وفيه ايضا جناس الاشتقاق بين اغضا والاغضا
والتذييل بالمثل السايروا صل الاغضا اطباق العين من رديه المكروه

فاستعير

فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان لخو الحلم دابه
ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل
اليها مخلوق لان الله تعالى هو تولى تاديبه بنفسه فافاض عليه من حقايق
حلمه وقدسه حيث قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها
جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وكل من انزله حلم واحتمال عرفت
له زلة او هفوة تنافي الحلم الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيد على كثرة
الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عايشة
رضي الله عنها ما رايته منتصرا من مظلمة ظلمها قط الا ان يكون حرمة من محارم
الله اي المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مستوفا في شرح قوله لا تحل الباساء
منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابي الذي جذبه برداه حتى اثر في عنقه
الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك ومال ابيك فقال صلى الله
عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك
لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك وامر له بحملي بعير به ومر في قصة اليهودي الذي
اسلم ان من علامات نبوته ان حلمه يسبق غضبه وانه لا يزيده شدة الجهل عليه
الا حلما ولما دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا في المسجد الحرام
واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل وغيره قال لهم ما تظنون اني فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول لكم كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقا **قال رحمه الله**

وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم تعيه الاعباء

وسع بالكسر **العالمين** جمع عالم والمحققون فيه في الاية كلام منتشر
لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به
كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى

فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها
الى موثر واجب لذاته يدل على وجود وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة ولا يعارضه ان المفرد هو العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ
الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناس تختلفه كالجن والانس
والملائكة والافلاك والدواب والحماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق
المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط
ولاصحاب معاني الكشاف هنا كلام مبناه هذا حسنه وغلب في جمعه
بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان
بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله وكبريائه
وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناولهم
اياهم على سبيل الاستتباع وهو مشتق من العلم وقيل عنى بهم الناس فان
كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض التي يعلم بها الصانع وكذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحياء
من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه فانه
بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم
الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ بطرف
كل عالم منها والانسان كذلك فالمتاخم للاول اجزاء بدنه والثاني محور وحه
وعقله فاردافه والثالث الادراكات الموجودة بالحواس والقوى علما تميزا
اي وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة المقربين والجن لان الله تعالى
اطلعه على العالم فعلم علوم الاولين والاخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك
في ذلك القران الذي اوتيه ومثله معه كما صح عنه وقد قال تعالى ما فرطنا في
الكتاب من شيء ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرانية

ومثلها

ومثلها الذي اوتيه ايضا انه احاط بعلوم الاولين والاخرين ما كان وما يكون
وان علومهم مندرجة منغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم بينه وبين ما قبله
الجناس المضارع **وحلما** تمييز اي وسع حلمه حلم العالمين بأسرهم كما عرف مما
سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة او هفوة تحدس كمال حلمه الانبياء
صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا
وصفحا **فهو** بسبب جمعه لتلك المعالي التي لم تجمع لغيره **بحر** واسع العلم
والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الكريمة الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه
بليغ واستعارة على قول مورد اي كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر يسمى بحرا
لاتساعه وعمقه **لم تغبه** من اغبا فلان اذا تغيب او وقف **الاعباء** جمع
عبء بكسر اوله وبالموحدة والهمزة وهو الحمل والثقل من اي شيء كان اي لم
يكدر بحر علمه سنك ولا تشبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء
للكدورة والاعباء للشبهة والجهالات واذا تاملت ما تقدم من اوصاف
كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي ازدجرت البحار
كلها في يمه والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه
علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله تعالى **قال**

مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

١٣٥

مستقل اي يحتقر **دنياك** اي الامور التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم
لما بين السماء والارض **ان ينسب الامساك منها اليه** وان ينسب
اليه ايضا **الاعطاء** منها لانها لغنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة
بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها
احتقارا لشانها وتغليبا للائمة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه
صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم
قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع

يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وحكمة هذا التفصيل الاستئناد بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة
وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل
على الصفا فقال ياجبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق
ولا كف من سويق فلم يتم كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء فزعته فقال
صلى الله عليه وسلم امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح
كنوز الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا
وفضة فعلت فان شئت بنيا ملكا وان شئت بنيا عبدا فاومى اليه جبريل
ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر لايهمته العاليه كيف عرضت
خزاين الارض فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة ربه لكنه
اختار العبودية المحضه فنالها مع همة رفيعة شريفة ما اسناها ونفس زكية
كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح
وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو
ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت
لاجله كما صرح به الخبر السابق **تنبيه** قوله هنا مستقل الى اخره
احسن من قوله واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله
عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد
فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد فالضروره من باب
اولى وفي السيف المسلول للسبكي عن الشفا واقره ان فقهاء الاندلس افتوا
باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم في اثناء مناظرته باليتيم ثم زعم انهم
لم تكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء
المتاخرين انه كان يتوسل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله

حال

حال فقير بل كان اغنى الناس بالله فقد كفى امر دنياه في نفسه وعياله وكان
يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد به
استكانة القلب لا المسكنة التي لا يجد ما يوقع موقعا من كفايته وكان يشدد
النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى واما الخبر الفقر فخري وبه افتخر
فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من
فتنة الغنا **فائدة** اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها
ودعوتهم الى الاخرى بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرايع كيف وهي
عدو لله لقطعها الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدو
لاوليايه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تحرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدو
لاعدايه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى ونتوا بها فخذلتهم
احوج ما كانوا اليها **وروي** جماعة في قصة ثعلبة ابن ابي حاطب الذي
انزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لين اتينا من فضله لنصدقن الايات انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان يرزقه مالا فقال له
قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السوال وقال له صلى الله عليه
وسلم اما لك اسوة اما ترضى انك تكون مثل نبي اما والذي نفسي بيده
لو شئت ان الجبال تسير معي ذهبا وفضة لسارت على ما احب ولو كانت تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا
ملعون ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله
عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه
فسالوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه
شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه
الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم
يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم

ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم **تنبيهات** اولها المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الاية وجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ او شهوة من غير ان تعين على عمل اخروي ولا يقصد به ذلك بينها تعارضت الاحاديث في ذم المال ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكوة والحج ونحوها هو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح بخبر اللهم من امن بي وصدقني وعلم ان ما جيت به هو الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة منها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان ابا ذر راى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني احبكم اهل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الي من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الي اسفلها مع دعايه صلى الله عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعو به في الاول من قله المال والولد والمراد منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الايات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما كثرة فوايدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف قد يدافع به المقاتل وتقتل به معصوما تاره ومهدر اخرى او كحية في يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس واذهب واذا تاملت ايضا ما تقرر من كماله عليه علمت انه

شمس فضل تحقق الظن فيه انه الشمس رفعة والضياء

شمس سما العلوم والكمالات باسرها كيف وكل **فضل** تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك **تحقق** من حق بمعنى ثبت **الظن** الاعتقاد الجازم المطابق للواقع **فيه** اي في ذاته وصفاته **انه** بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم **الشمس** المشرقة على هذا العالم النايبة عنه **رفعة** فلا يصل اليه احد منهم **و انه الضياء** المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء نوع مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ او الاستعارة الاصليه المطلقة على المعول الذي مر رده ومر اوايل الكتاب ما للبلغا في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به اعلا من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في صلوة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلا شانا في الضيا من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها **قال**

١٣٧ **فاذا ما ضحى يحي نور الظل وقد ابت الظلال الضحاة**

ف سبب ان المشبه قد يكون اعلا من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه **اذا ما** لم يتكلم الجمال ابن هشام على هذا في المغني مع لها في القران في غير موضع وتكلم علي اذ مع لها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي في عروس الافراح في ذوات الشرط لكنه لم يتعرض الي زياده ما حولها الي الحرفية اولا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيها قولا اذ ما سيبويه لها حرف وغيرهم لها بافية على الظرفية لانها البعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وبينما علايه الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف والاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثير فحينيذ فيجري فيها احكام اذا غير

الجحابيه من ان الغالب انها ظرف للمستقبل بضمنه معنى الشرط ويختص
بالجمل الفعليه ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتدا
عكس الجحابيه وجوابها اما فعل كما هنا او جملة اسميه مقرونة بالفا وباذ
الجحابيه نحو اذاهم يستبشرون او فعليه طلبيه لذلك وقد تقرر الجواب
لدلالة السياق او المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون
على انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا تخرج عن الظرفيه عند الجمهور وزعم
الاخفش في حتى اذا جاورها الهاء مجرورة بحتى وابن حتى في اذا دفعت الواقعة
بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان
حالان وكذا ليس ومعمولاها نعم وقد تخرج عن الاستقبال وترد للحال نحو
والليل اذا يغشى والماضي نحو واذا راوا تجارة الايه فانها نزلت بعد الرويه
والانفضاض وعن الشرطيه واذا ما غضبوا هم يغفرون فهم ظرف لهم
للمبتدا وزعم الفاجوابها بتقدير فهم غفله عن ان حذف الفا ضرورة وان هم
تاكيد لوا ويغفرون الذي هو جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف
بلا ضرورة وقد يستعمل لاستمرار الازمنه نحو واذا قاموا الى الصلوة قاموا
كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفي نظايره الذي استدلوا بها
انما اخذ من قرينة السياق دون موضوع اذا ويفارق ان في احكام كثيرة
منها ان اذا للمتعين والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان للمشكوك او
الموهوم النادر ولا يرد نحو ولين متم لان الموت لكثرة الغفلة عنه والجهل
بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه لتحويفهم ولتبارهم
بانه لابد ان يمسهم شيء من العذاب **ضحى** اي منتصف طلوع الشمس وهذا
ليس لتقييد الحر به اذ نحو نور الظل يكون في هذا الوقت وعزز لكنه في
هذا الوقت اظهر لقوة ضياء الشمس وضحى نورها حينئذ **محى نوره** وبين
هذا وضحى التجنيس اللاحق وهذا والضحى تجنيس الاشتقاق الظل مفعول

اي ظل دانه الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله
عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل والمراد بالظل
كل ضلالة ونقص وبنور ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة
والعلوم والاداب **و** الحال انه **ابثت الظلال** جمع ظل وهو ما نسخته
الشمس او ينسخها هو واخص منه الفي لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما
نسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو في وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا في
الضحاء اي ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم
اكمل من الشمس رفعة وضوءا لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم
يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس
لا يظهر له ظل لطهارة ذاته صلى الله عليه وسلم ونصح عن كل بعض ولان الله تعالى
استجاب له صلى الله عليه وسلم دعاءه المشهور انه يجعله كله نورا وكان بدنه في غاية
الاضاءة التي لا تجحب ما يقابلها قيل مد الضحى لضرورة النظم انتهى وفيه نظر
بل الذي في القاموس ان الممدود ما قرب من انتصاف النهار كما مر تم ذكر ان
المقصود الشمس وحينئذ ان اريد بالضحى الشمس كان مد ضرورة او قرب انتصاف
النهار كان مد صحيحا لا ضرورة فيه **تنبيه** لك ان تشكل تركيب
قوله شمس فضل الخ بان حكمه عليه بانه شمس الفضل يغني عن قوله
تحقق الظن الخ لانه اذا ابث اولا انه شمس الفضل الذي هو اسم لكل
كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لا حاجة
اليه وجواب ما اشرت اليه في حله من ان جملة تحقق الظن فيه حال موكدة
لما قبلها وصاحب الحال الضمير العايد عليه اذ مستقل وشمس فضل معطوف
على بحر بحذف حرف العطف او مقدر اكل مبتدا استينافا لتعدد شمايله
صلى الله عليه وسلم اشار الى ان كلا مستقل كامل في ذاته لتضمنه للبقية
كما مر في شرح قوله كل وصف له ابتدات الى اخره ولما ورد على ظاهر

ما قرره ان نون يمحو الظل ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت
تظله بان يقال كيف يمحو نون الظل والغمامة اظلت فلم لم يمحو نون ظل
الغمامة ولم احتاج اليه مع انه الضياء الاعظم من ضياء الشمس اشار
الى جواب ذلك لكن بما فد تقصر عنه عبارته بادى الراي فقال

فكان الغمامة استودعته ما اظلت من ظله الدفقاء ١٣٨

ف بسبب محو نون الظل الحسي على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل
المعنوي الاعظم على جميع اتباعه حتى كان الغمامة لما اظلته قبل البعثة
ارهاصا وتاسيسا لما يصير اليه امر اعلمته بانها استودعته الامة باسرها
لكن اصحابه وهم الدفقا ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله
وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل بالدين بواسطتهم من اي الدين
اظلت هم من بعض ظله الاعظم الدفقاء جمع دافق كعلماء
جمع عالم وهم جبوشه سمي الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون
اليه لدفعه واستيصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان
قبل البعثة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى
الله عليه وسلم بما سيؤل اليه امر من ان الله سيجعل له امة اكثر الامم
وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذي قبلهم وان الكل
مستمدون وممدون من اصحابه واصحابه مستمدون من ظله وممدون
من ظله فسائر القرون وحينئذ فلا تنافي بين محو نون الظل وبقاء الظل
مع نون عند تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المحو هنا لاصل الشمس
والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص
والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي على الامة من اولهم الى اخرهم
فتامل ذلك فانه مهم بل انفاس معنى هذا البيت على الشارح فقال
انه وجد هذا البيت في نسخة وانه غير مفهوم المعنى بسبب انغلاقه عليه

جعل

جعل الضمير المفعول في استودعته للظل لا يقال بل انما قاله من رجوعه للظل
ينتفض به المعنى لكن ان جعلنا الدفقا الطيور يكون في البيت حينئذ تلميح
الى قصة هي ان الطيور كانت تظل الانبيا قبله كداود وسليمان بل بني اسرائيل
وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكانه يقول العمامة لما اظلته استودعت الظل
الانبيا الذين اظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ
سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن دفقا فعلا وهو انما يكون جمعا لفعل
اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط اخر ولما دل على بحيية حمدا ودم بشروط
اخر في كشجاع وبجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم
انه لا يصح حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر او بحيية
حمدا ودم بشرطهما على ان الذي سمع في الطير دفوف في العقاب وفعلاء لا يجمع
عليه اصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف
وهو ليس وصفا للطاير بل لحركته بتسليم انه وصف له هو غير عاقل فان
قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استودعت الظل الطيور التي
اظلت الانبيا من ظله فهل لا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر
في قاعدة جمع فعلاء وبتسليمه يجوز في الجميع فالنظم مبني عن هذا المعنى بكل
وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البرية انه احتاج لتظليل
الغمامة لنفيه حر الشمس فيها فما تراه ان تظليلها للحكمتين السابقتين
قلت ما افهمه كلامه لم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل البعثة وارهاصا
كما مر ولو كان لما ذكر لكان بعد البعثة ايضا وان قلت قد ظلل عليه
صلى الله عليه وسلم عند رميه الجمرة بثوب وهو ينعر للاحتياج قلت
هذا من ضرورة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية
فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة
الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه لا يسن

البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا ومرت قصة تظليل الغمام وروايتها في شرح قوله وانا هاان الغمامة والسرح اظلته منهما افياء واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل على ما سبق في معناه علم انه قد قال رحمه الله

١٣٩ خفيت عنده الفضايل والجابت به عن عقولنا الاهواء

خفيت عنده اي في جنب ما اوتيه الفضايل التي اوتيها غيره من الانس والملايكة والجن و انه الجابت اي انكشفت به اي بسبب ما بثه فينا من علومه وادابه واخلاقه عن عقولنا معشر امة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل اشار اليه في القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الانسان حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او مطلق الامور او لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن والمعان يجتمعه في الذهن يكون بمقدمات يسبب بها الاغراض والمصالح او هيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجود عند اختتان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهت الاهواء اي الضلالات والنقايص فلم يقع في ورطة شيء منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفا وكشف الهوى بما افاد الاستفهام الانكاري ففال على طريقة اللف والنشر المرتب قال رحمه الله عليه

١٤٠ ام مع الصبح للنجوم تجل ام مع الشمس للظلام بقاء

اي وجد مع الصبح للنجوم تجل ام يوجد مع الشمس للظلام بقاء اي انما خفيت الفضايل عند لانه الفجر الصادق وعجزه من سايل الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا تبقى لها نور مع الفجر فكذلك سايل الكمل وانما

كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حايل بينهما وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس للمقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما قررها يتعلق بقوله شمس فضل الخ بعده لاي هنا لانه مناسب له عطف بحذف حرفه واستانف نظير ما مر فقال رضي الله عنه

١٤١ معجز القول والفعال كريم الخلق والخلق مقسط معطاء

معجز القول لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه غير معجز و معجز الفعال فلا تقدر مخلوق فعلا مطابقا لسابر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك الفعل غير صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الاحمدية الذي لا يدخل احد ابها الا باذنه كريم الخلق كما يعلم مما قررته مبسوطا في شرح قوله فتنزه في ذاته الى اخره و كريم الخلق بضم اوله كما مر مبسوطا في شرح قوله ما سوى خلقه النسيم وبين القول والفعل والخلق والخلق تجنيس للمقابل مع تجنيس التحريف في الثاني مقسط اي عادل في احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا بالتفاق كل من راه وعلم حاله حتى اعداه ومناويه الا تري ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود واختلفوا فيمن يضعه في محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول داخل الى المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم ففالوا هذا الامين فحكموه فامر بوضعه بثوب وامر كل رييس قبيله ان يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله وصح ان

رجلا قال وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل وكان يقول حاجة من يستطيع البلاغي فانه من ابلغ
حاجة من لا يستطيع البلاغ امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا
بقول احد ولا يصدا احدا في احد **معطاء** اي كثير العطاء الذي يعجز عن
اداناه الملوك فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس
واجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من لدنه
صلى الله عليه وسلم لانها من امهات الاخلاق اذ في كل انسان ثلاث قوي الغضبية
وكمالها الشجاعة وشهوانيه وكمالها الجود والعقليه وكمالها اكتساب الفضايل
واجتناب الرذايل وصح عنه ايضا ما سيل صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه
فجاه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الي قومه فقال اسلموا فان محمدا
صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم
حنين حين اسلم ماية من الغنم ثم ماية ثم ماية وصح عن جابر رضي الله عنه ما
سيل صلى الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا اي لم ينطق بالرم بل ان كان
عنده المسيول وساغ الاعطا بان لم يرضوا ما عنده لما هو اهم اعطاه والا
سكت كما في حديث مرسل لحيي لا يا في الحديث الاية قلت لا احد ما احملكم
عليه فهو لا يفوتها صلى الله عليه وسلم منعا للعطا بل اعتذارا حيث لا ينفع
السكوت لنحو جهل السايل وفي حديث الترمذي انه حمل اليه سبعون الف درهم
فقام اليها فما رد سايلا حتى فرغ منها فقال السايل ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا
جانا شي قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر وكره
منه ذلك فقال انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وقوم ما
اعطاه يوم حنين فكان خمسمايه الف الف قيل هذا غاية الجود الذي ما سمع
لاحد مثله وصح انه اتي بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال

اتي

اتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسله كان ماية الف فخرج للصلوة
فلم يلتفت اليه ثم بعد ها جلس اليه ففرقه ومع هذا الجود الواسع الذايع كان
صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقرا ويا تي عليه في بيته الشهران لا يوقد فيه
نار ورما ربط الحجر على بطنه الشريف صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع
وجاه بني فاطمة رضي الله عنها في خادم يكفيها مونة بيتها فامرها ان
تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوي
بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف
الجليله التي لم يوجد مثلها ولا يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب
على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق المعرفه

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا فهو البحر والانام اضاء ١٤٢

لا تقس من قست الشي بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه **بالنبي** الموصوف
بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم **في الفضل خلقا** نبيا او ملكا او غيرهما
اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف كماله لما مر اول
الكتاب في شرح قوله لم يساوك في علاك الي اخره **فهو** لا غيره **البحر**
الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية فيه **والانام** كما هو في
القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم كامير الخلق او الجن والانس او جميع
ما هو علي وجه الارض انتهي والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في
العالمين **اضاء** بالكسر والمد جمع اضاة كفتاة وهي الغدير ويجمع
ايضا على اضا كمبنى وشان بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا و

كل فضل في العالمين من فضل النبي استعار الفضلاء ١٤٣

كل فضل وجد في العالمين الانس والملايكة والجن فهو كاين من فضل
ذلك النبي الاكرم على ربه من سايرالانبا والمرسلين والملايكة المقربين
وبين فضل والفضلا تجنيس الاشتقاق **استعار** حال من ضمير الظرف

المستقر الفضلاء لانه المدد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهيه والممد
منها بلا واسطة دون غيره فلا يستمد منه الا بواسطة فلا يصل لكامل نبي
الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فاياة كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه
صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم صلوات الله وسلامه عليهم كالكواكب
فهي غير مضيئة بذواتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت اظهرت
انوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله
وانوارهم مستمدة من نوره الفايض ومدده الواسع فلا ترى ان ظهور خلافة
ادم ولحاظته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به
نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلايف الى زمن بروز جسمه فلما ابرز
كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور ايالته كل اية لغير
من الانبيا فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها
كما بينته الايمة واوضحوه ومنه ان ادم لما اعطي خلق الله تعالى بيده اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم شق صدره وملاه من ذلك الخلق النبوي فتولى من
ادم الخلق الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان هو
المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملايكه الا لنور محمد الذي في جبهة
ادم كما قاله الفخر الرازي وادريس عليه السلام لما اعطي المكان العلي
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم المعراج الاعظم الافخم ونوح عليه السلام
لما نجاهو وقومه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يهلك امته
بعذاب عام **ووقع** في تفسير الرازي انه اعطي مكان السفينة انه دعا حجرا
وهو على بنطماء فانتلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرساله وابرهيم
عليه السلام لما نجا من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب قال
تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله **وروي** الناي انه احترق جلد
طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطي بمقام الخلة

اعطي

اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن
ثم يقول ابرهيم عليه السلام في الموقف لما يسال الشفاعة العظمى انما كنت خليلا
من وراء وراء ولما اعطي بناء الكعبة اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر
الذي هو روحها في محله لما بنت قريش ولما اعطي موسى عليه السلام قلب العصا
حية اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذي هو ابهر واغرب
وذكر الرازي وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فراى على كتفيه
ثعبانين فانصرف مرعوبا واليدا البيضا تعني البصرا عطي صلى الله عليه وسلم
انه كان عند عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلة فخرجا وبيد كل عصى فاضا
لهما عصا احدهما فمشيا في ضوها فلما افترقا اضات عصا الاخر صححه الحاكم
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة مظلمة فاضات اصابعي حتى
جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم ولها نظير وانفراق البحر اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذي هو ابهر لانه تصرف في العالم العلوي
على انه نقل ان بين السما والارض بحرا يسمى المكفوف وبحر الارض بالنسبة
اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفراق لنبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا وتفجر الما من الحجر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره
من بين اصابعه وهو ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الما
والكلام اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو والرؤية
بعين البصر وشتان بين جبل الطور الذي نوجي موسى عليه السلام عليه وما
فوق العرش الذي نوجي نبينا صلى الله عليه وسلم عليه وهرون الفصاحة
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة
عند فصحائهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار
بالمغيبات ولم يتحد بني بها الا نبينا صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض

اصحابه ما رايناك الذي افعل منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران بلساني
لسان عربي مبين ويوسف عليه السلام سطر الحسن وتاويل الرويا
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما في الحديث وعبر من المراي فوفى
كما عبرها لا يدخله الحصر وتعبير يوسف انما كان في ثلاث مراي كما في سورته
وتليين الحديد لداود عليه السلام اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود
اليابس لخضر بين يديه وان شاة ام معبد درت بركته يده ولم تلد قط
كما مر وسليمان عليه السلام كلام الطير اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه
الجمل وسبح في كفه الحصى وكلم ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكا اليه البعير
والريح التي عدوها شهر ودواجها شهر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو
اسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في لحظة
واحدة واقل مسافة في ذلك سبعة الاف سنه وما فوق العرش والمستوي ل
والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح سخرت لسليمان لتحمله الى مواجي
الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى راي مشارقها
ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخر الجن
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله امكنه من شيطان انفلت عليه
في صلاته فاراد ان يربطه بسارية ويسخره للجن حتى اسلموا فلم يسخر والسليمان
عليه السلام الا في العمل وعد الطير من جمله جنوده واعجب منه حمامة الغار
وعنكبوته بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدو الكثير الى القليل
وعيسى عليه السلام ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى اعطي نبينا صلى الله
عليه وسلم رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وذكر
البارزي انه صلى الله عليه وسلم مسح برجل فشفيت والبيهقي ان رجلا قال
لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصى
وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس من تكلم وبالجملة

فقد اوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه
المعلم دائما وفيه تجنيس الاستفاق وعدل عن استعان ليصفهم بالفضل
اي هم مع كونهم فضلا كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله
عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به على وجه الاستعانة المستحقه
الزراذا اراد المعير ولم لا يكون كذلك وقد قال

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء .

شق عن صدره وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صريح لانه شق عن صدره
اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا
مبالغة في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك
ولا يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في بحث رضاعه صلى الله عليه وسلم
فراجعه فانه نفيس **وشق له** اي لاجله **البدر** اي القمر بمكة قبل الهجرة
بنحو خمس سنين لما اكد به كفار مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه صلى الله عليه
وسلم اية يريها اياهم تدل على صدقه وهي ان يشق له القمر بصفين ويه فانشق
له كذلك كما نص عليه القران وتواترت الاحاديث به كما حققه الشارح السبكي
وغيره واجمع عليه المفسرون واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة
والوحدانية لله تعالى وانما يعبد ذو باطل لا ضر ولا ينفع ولم يقع انشقاق
لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزته لا يكاد يعدها حصر من ايات
الانبياء الظهور في ملكوت السموات خارجا عن طباع ما في هذا العالم
المركب من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول لحيلة وفي روايات ما يوم تعدد
الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان
احدا من ائمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات
او فلقتين كما في اخري وفي فرقه كانت فوق جبل حرا واخري كانت اسفله
فرواية انه كان بمكة المراد بذلك ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة

فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتين وفي رواية لاحمد
فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي روايات انه
قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفار فجاوا
من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا نستطيع محمدا ان يسحر الناس
كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم
خرق الاجرام العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم وبتوطهم بمقتضى
عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به **واما** قول بعض الملاحدة لو
وقع هذا لنقل متواترا لاشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها
اهل مكة لتوفر الدواعي على نقل العجائب فهو من تهوراته لان ما قاله انما
يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس يستيقظون اما اذا وقع لحظة
والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم ينظر للسما فلا يلزم ما ذكره بوجه على ان
الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة
وكان هذا لم يسمع بما هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون
قطر اخر وما قبل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من
كمه باطل لا اصل له **تنبيه** القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم
به دون القمران الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له في ذلك سلفا ولعله
اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب
قبل التمام وينا سب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم وراسه في
حجر علي بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتماله انه يوحى
اليه فلما استيقظ سأله اصلى العصر قال لا فدعا الله تعالى ان يردها عليه
لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه
وسلم وهذا الحديث في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه
اخرون وهو الحق وقول اسما في الرواية الصحيحة فاتت الشمس بعدما اغربت

حتى

حتى وقفت على الجبال وعلى الارض فقام علي كرم الله وجهه فتوضاء وصلى
العصر ثم غابت رد لزعم انها وقفت ولم يرد زعم ان حركتها انما ابطأت فقط
وفي رواية سندها حسن امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة
من نهار ومر النهار دون عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض
ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون حين
قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ
منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله ورد الله عليه الشمس حتى
فرغ من قتالهم وذلك ان المراد على احد غيري على ان كثيرين او الاكثرين
من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه **ودوي** حبسها يوم
الخندق حين شغل عن صلوة العصر وذكر البغوي في تفسيره ردوها علي
انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم ورد بان المراد الصافنات لانها
المذكورة دون الشمس وبين شق وشق الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان
حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد
وشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازا بل
حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة
الواحدة فاطلاق الساعة على القيمة مجاز على الاخر حقيقة وذلك يخرج
الكلام عن التجنيس كما لو قلت وكبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا انتهى
فان قلت هذا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم
الاختلاف فهو في احدهما حقيقة وفي الاخر مجاز **قلت** يمكن ان
يقال انه بينهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام
الحيوانية من حيث الالم وايضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة
عشاوة لا غير وكفى بهذا الاختلافا نافيا من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى

قيل ليس في القران من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ
الاسلام ابن حجر باية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فانه استعمل الابصار
اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصاير وقد نظر فيه بان استعمال
الابصار في البصاير مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بما ادعاه انه حقيقة
عرفيه وعلى كل فاقول ان في القران اية اخرى اظهر من تينك وهي يلوون
السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور في قوله
للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل والثالث الشامل
لكتب الله كلها اي ما شئ من كتب الله **فان قلت** هذا اعم من الثاني فليس
مغايرا له من كل وجه **قلت** بل يسمى مغايرا له حقيقة كما مر جوابه
على التنزل وان هذا التغاير لا يكفي هنا فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين
فيتحقق الجناس التام فيهما **فان قلت** لم لا يعدوا منه ان النفس بالنفس
الى اخره **قلت** كانه لكون هنا ميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة
على المقابلة فتامله **فان قلت** لم اكتفوا في التورية بكون احدهما الاهنا **قلت**
لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون
كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكف فيه كون احدهما مجازا ومن ثم اشتر
بعض المحققين شرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لا بد ان يقال
كل حقيقة في الشرع او في العرف او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة
شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لاهذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر
انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويوجد اطباقهم على ان الاية
فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة وعرفا وشرعا شئ واحد وانما
الخلاف من حيث في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي المقيمة حقيقة شرعيه
وهذا الثاني اقرب ومما يؤيد اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا الا
وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس

في

في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تاخذ من قولهم ليس في القران
جناس تام الا مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان
الناس الخ بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا تكون في اللفظ قرينة
ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير
ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما امكن
نظير التورية ولم ار لاحد من اهل البديع في هذا البحث ما يشفي فتامله
فان قلت ما ذكر في سبق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق السبقين دون
موضوعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم لا يمنع من ان يلحق
به اختلافهما من حيث المتعلق اذا اقتضت به صورتهما وانما له القمر لانه
سبق عن صدر حتى اخرج قلبه ثم سبق وظهر فجوزي على ذلك اذ **من شرط كل**
شرط وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء من برء من مرض او
غيره فكذا هنا لما روح صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما
حصل له من الخوف والتالم جوزي على ذلك بجزاء اعظم مشابهة له في الصورة
وهو شق القمر الذي اظهر معجزاته وابهرها بعد القران وفي كلامه الجناس التام
بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقتان ولا يقدح في كون الاول
حقيقة لغوية والثاني حقيقة عرفيه على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة
فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية في التجنيس التام
اتفاقا ويحتمل ان احدهما مجاز يكون فيه التوريه او حقيقة ايضا ولكنه بعد
فيهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتوريه ومن الكلام فيه مستوفى اذ
الشرط المراد به في الاول ما علق بحصوله حصول شئ اخر يسمى جزاء وفي الثاني
شق الجلد واللحم والجزاء فيه توريه ايضا اذ هو يطلق على الجزاء
الشرعي والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنع وقع منه ومنه
جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة **قال**

ورمى بالحصى فاقصد جيثا ما العصا عنده وما الالقاء

و من معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا في غزوة بدر وغزوة حنين رمي اعداء بالحصى فاقصد اي اصاب فاهلك في القاموس اقصد السهم اصاب فقتل مكانه جيثا عظيما كانوا تالبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يفوتون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع تمم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسد في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذلك روى غير واحد لها نزلت في رمية يوم بدر وان كان رمى في عين ولاهل الخبر في هذه الاية غلط لا باس بذكره ثم رد قالوا فيها سبب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافه الى ربه وهو عين الخبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب ومرما في الاية ان تلك الرمية لما لم يبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدوها وهو الخذف ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الخذف الذي هو مبداه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا في الاية نفيها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتاثير وان غيره لين منه الاسباب تظهر للناس مثل رماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح فرميتهم بالحصى وسفتم

عليهم

عليهم التراب وقلعت اوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا خائبين ايسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا اناس قليلون من اهل بيته العباس وابي سفيان ابن الحارث وعلي والفضل واصحابه ابو بكر وعمر واخران رضي الله عنهم فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار اشد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه اي استد حر الحرب حتى اشتعلت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا املاء عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع ان يحتمل انه رمى بكل مرة اولها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي رواية عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات عيناه ومنه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات عيونهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم لك ان تقول لمن قال لك ان القاء موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمي بالحصى لا تقل ذلك ما استفهام

انكاري **العصا** التي القاها موسى في حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت
ذلك **عنده** اي الحصى المرمي **وما الالقاء** لذلك العصى على تلك الحبال والعصى
التي فعلها سحرة فرعون اي لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
في القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واجهر
اذ القاء موسى لعصاه حاكى بالقاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم لم تحاكي قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك
الجيش الذي هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم اجهر
من قلب العصى ثعبانا وابتلاعها الملك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو
ولا شتت شملهم بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه وجانس بين
العصا والعصى وبين رمى والقى **تنبيه** اكثر معجزات بني اسرائيل
كانت حسية لبلادتهم وعمى بصرهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لافراط
ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر
الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية لها ذوو البصائر
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من الانبياء نبي الا اعطى
ما بمثله امن عليه من البشر وانما كان الذي اوتيه وحيا اوحاه الله الي اكرمهم
وفي معناه قولان عبر عنهما فيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبيا
انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة
وتستمر الى القيمة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شيء اخبر بانه سيكون فكان من بينه
لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهد كل من جاء بعد الاول **قال**

ودعا للانام اذ همتهم سنة من محولها شهباء ١٤٦

و من معجزاته ايضا انه **دعا للانام** مر تفسيره لكن المراد هنا غيرهم هم
هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم **اذ** اي وقت او لاجل ان **دهمتهم** اي

عنهم

غشيتهم **سنة من** اجل **محولها** متعلق بما بعده اي سنة جدبها وقحطها
شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب والمحل ومطلق
الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء توكيد وعلى الثاني تاسيس وسبب دعايه
ما في الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام
اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك
المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس في السماء قطعة سحاب فما
وضعها صلى الله عليه وسلم حتى صار امثال الجبال فلم ينزل حتى اصابه المطر
واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم
البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم حوالينا
ولا علينا فانقلعت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس وسال وادي قناة شهرا
ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير

فاستهلت بالعين سبعة ايام عليهم سحابة وطفاء ١٤٧

ف سبب دعايه صلى الله عليه وسلم **استهلت بالعين** اي صب المطر
بشدة **سبعة ايام** كما علمت من خطبة الجمعة الاخرى ما التي الكسر
عليهم سحابة فاعل استهلت **وطفاء** اي مسترخية الجوانب لكثرة
مائها حال كونها **كما قال رحم الله**

تجري مواضع الرعي والسقي وحبت العطاش نوهي السقاء ١٤٨

تجري اي تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز نظير ما باتي
في جدار يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها **مواضع الرعي**
اي الكلا الذي يرعى **و** هو مواضع السقي التي يجتمع الماء فيها للشرب منها
البهائم وفي الرعي والسقي مراعاة النظير والسقي والسقاء بجنس يشبه الاشتقاق
و تجري ايضا **حيث العطاش** اي مواضعهم التي **نوهي** بالبناء للمفعول
اي يخزن السقاء منهم فيها اي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى

الها تحرى الاماكن المعطشة التى تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى
العذران للشرب منها وهذا الظهر اولى مما سلكه الشارح كما يدرى تباعلمها
لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الى اخره
لانا نقول قرينة قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهايم فاحتاج فى افادة
عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش ايضا قال الشارح ايضا وفى
قوله وحيث العطاش الى اخره اقتباس المثل وهو قولهم شعر

مخل سيل من وهى سقاؤه • ومن هرب فى الغلاة ماؤه •

يضرب لمن لا يستقيم امره فضرب به المثل هنا فى المحل والجذب انتهى ملخصا وفيه
نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا تكلف لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت
عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك العيث لجميع الاماكن قال

١٤٩ وابى الناس تشتكون اذاها ورخاء تودى الانام غلاه

و لما استمرت عليهم سبعة ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سالوه ان يدعو بها تشتكون اذاها اى تلك
السحابة اى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت
وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به بهم وكان الكل شاكين بلسان الحال
فلذا اسند الى كلهم ونظير فى قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم ان المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخاء اى سعة من المطر
تودى الانام غلاه اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المودى الى الشدة
وبين اذاها وتودى جناس الاستقاق والرخاء والغلا جناس التضاد قال

١٥٠ ودعا فانجلا الغمام فقل فى وصف عيث اقلاعه استسقاء

و بسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حبوة النفوس انتقل الى ضده
وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم فانجلا الغمام
اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا

فقل

فقل ايها العالم بهذه الواقعة ما تيت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب
فى وصف عيث اقلاعه استسقاء اى الكشافه اى ذو استسقاء
على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب
رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعنى لانه يلزمه
فوات هذه النكته التى هى سبب التعجب قال رحمه الله

ثم انرى الثرى فقرت عيون بقراها واحييت احياء

ثم بعد ذلك العيث الواسع النافع ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم
انرى الثرى اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوايد التراب لكثرة ابانته
الزرع والثمار المودية الى كثرة الاموال من انرى الرجل كثر ماله فسبب هذه
الكثرة قرت اى فرحت واطمانت من قر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح
عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما نالهم من الكرب
وحصل لهم من الخصب وسبب عمارة قراها اى العيون او المدينة وبلادها تلك الفوايد
الكثيرة بعد خرابها واحييت بعد ما حصل لها من الجذب والشدة ما بصيرها
كالموتى من احياء الله تحيى بالغيث وحيى بالادغام وهو الاكثر احياء جمع حى
اى قبايل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها ودينه بتدنيس الاستقاق
فى انرى الثرى وقرت قراها واحييت احياء قال

١٥٢ فترى الارض عنه لحمراء اشرقت من نحوها الظلماء

فترى انت لو شاهدت تلك الواقعة الارض عنه اى عقب ذلك العيث
المتولد عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور كسماء حال ان جعلت
بصريه وهو الظاهر او مفعول ثانى ان جعلت علميه اشرقت اى زالت عنها
من اجل نحوها الظلماء ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه
الشبه ما يحصل للارض باصابة العيث وللسماء من النجوم من زوال
ظلمها الحقيقيه فى السماء والمجازيه فى الارض وبين الارض والسماء والثرى

والظلمة الطباق وتراها ايضا قال رضي الله عنه

١٥٣ تجعل الدر والياقوت من نورها البيضاء والحمراء

تجعل اي تخير وتدهش الدر اي اللولو والياقوت وهي فارسي معرب واسناد التجعل اليها مجازا وهو على حذف مضاف اي اهلها بمعنى ان من بابيهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الانهار الغريبة والاعناب العجيبة من نورها بفتح النون اي زهرها وهو بيان لفاعل تجعل الاتي رياها بضم الراء المحال المرتفعة منها وخصت لان مائها انضر وابهى من بقيتها البيضاء راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت اي تجعل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والمقابل بذكر الضدين وتسمى التدبيج لانه الوان وما تقدم ان الناظم انما اراد القصة المذكورة التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطأوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاء ابو سفيان فقال يا محمد حيث تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكت الناس كثرة المطر فسال الله دفعه ولما ذكر ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشيء منها الى رؤية وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم تمنى ذلك فقال رضي الله عنه

١٥٤ ليته حظي برؤية وجه نال عن كل من رآه الشفاء

ليته هي لتمني ما لا اطمع في حصوله او ما فيه عسر حظي برؤية وجه اي ليتني ادركت زمنه لاكون من اصحابه الذاهم افضل من جميع من جاء بعدهم عند الائمة الاربعة وذهب عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل امتي كالمطر لا يدري

اخر

اخر خير ام اوله وللخبر الحسن ايضا لا يدري اكن المسيح اقوام انهم لمتكلم او خير ثلاثا وفي حديث ابي داود والترمذي يأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قبل منهم او منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية اصحابه فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم ملاء الارض ذهبا لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه ويقال خبر القرون قرني وعن الثاني بان او فيه يحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله عنهم ايهما افضل قال لغبار دخل في انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل ابن عبد العزيز واشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بحضور غزوة او غزوتين فلا نزاع فيه اولى يتمنى اراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا داعا اولى يتمنى اراه في النوم لاخبار صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بان من راه في نوم حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها وبان من راه فيه فقد راه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به فهو وان امكن من المتصور باي صورة اراد لم يمكن من المتصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان راي بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان راي بصفته التي قبض عليها حتى عدد شيبه صلى الله عليه وسلم وصح عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفهمه وفي حديث ضعيف ابي داود في صوره وصحح النووي وعزم انه يراه حقيقة ولو على غير صفته مثال فرؤيته مثلا او بصورة حسنة كامل تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من راني فسيراني في اليقظة يحتمل ان المراد ان رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الاخرى على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية

ذاته حقيقة بل متال يحكيها على التحقيق كما في رويته الله تعالى اذ لا صورة له ترى
بل معرف لها من نور او غيره او ليتني اراه في يقظتي بناء على امكان ذلك وهو
ما حكاه ابن ابي جمرة والبادزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين
ومن بعدهم انهم راوه في المنام وراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشياء
عينيه فاخبرهم بها فكانت كما اخبر قال ابن ابي جمرة وهذه من جملة كرامات
الاولياء فيلزم منكرها الوقوع في مرطة انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان ارباب
القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا
ويقتبسون منهم فوايد وقال البدر حسن الاهدل وقوعها للاولياء تواترت
باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا ينتفي عنه الشك وما تواترت عليه اخبارهم
لم يبق فيه شبه ثم اخذ يبطل ذلك ويفنده ويعظم النكير على مجوز بما لا حجة
فيه ومما يبطل جميع ما ذكر به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى
الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يراه في اليقظة الرؤية الناقصة الاولى وانه لا
يبعد ان من اكرم برويته ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه
وسلم مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت
ديارهم واختلفت مرائيهم في الحالة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة
الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم
واذا كان من راه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهو كذلك بالاولى فلا يندفع
قول فتح الباري هذا مما كل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة انتهى ومما
يوبيان الناظم يحتمل انه اراد ذلك ان تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو
الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور
وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنهما رؤية النبي صلى
الله عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة
عين ما عددت نفسي مسلما والقطب علي من القطب محمد بن ابي الوفا وهما من

جملة

جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقه الوفايه خلاصة
طريقة الشاذليه ممن حفظه عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم مرارا لا سيما
عند قرواره بالقرافة في كرامانه فكون الناظم منسوبا لهولاء الواقعة لهم
الرؤية يقظة يقرب انه سال في وقوع ذلك كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ
والدي الشهير محمد بن ابي الحمايل يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع
له انه يسال في الشيء فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه
في جيب قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما اخبر لا
يختلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوجي **زال** اي يخول فزال
هنا تامة لانا قصه **عن كل من راه** مومنا في حياته او بعد موته في يقظة
الراي لان ذلك لا يقع الا لاكابر الاولياء او في النوم على صفته التي كان عليها لما
مر ان ذلك يدل على الخبر ورويته المخصوصة في الاخرة **العناء** اي جميع انواعه
كان الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول كما يشهد له الكتاب والسنة نحو اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله برحمته
ووفقه للتنصل من وصمته وحياه بجعله من احبته ببركة حلول نظر نبيه
صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقا عن كل من راه تبعه بذكر
صفات وخصوصيات له ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغا فقال

مسفر يلتقي الكثيبة بسما اذا اسهم الوجوه اللقاء ١٤٩

مسفر ذلك الوجه حسنا اي مشرق نوره الذي يكاد يخطف الابصار **يلتقي**
ذلك الوجه ايضا **الكثيبه** اي الجيش الملتئم او المشاة من تكبت بنو افلان
اذا اجتمعوا حال كونه **بسما** اي متبسما يفتر عن مثل سنا البرق او عن مثل حب
الغمام **اذا اسهم** اي غير من سهم بفتح عينه او ضمها وجهه اذا اصفر او تغير
الوجوه اللقاء للعدو وهو في الحالات التي فيها يترع غيره ويضطرب ويتغير
وجهه على غاية من الطمانينة والثبات والتبسم لعظيم ما اتاه الله من الشجاعة

والبنات والبنسم لعظيم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الي اداناها
وقد صح كما مر عن انس انه كان ابجع الناس وان صياحا وقع في المدينة ليلا
فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان ابعد فلم يرشيا فلما رجع راي الناس خارجين
فقال لن تراعوا اي روعا عن حقيقته ما رايناه من شيء وصح انه صلى الله عليه وسلم
ركانه مرات ولم يصرع قط قال له منجيا منه ان شانك لعجيب وصرع صلى الله عليه
وسلم اخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة
لينتزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه في غزوة
حنين لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها
لا تصلح الكر ولا الفر وهو مع ذلك يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا
يعرفه قائلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ومن ثم قال الصحابة رضي
الله عنهم كنا اذا احمر الناس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه
امامنا واستقبلنا العدو به وقد اخلفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال
للنبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه نقصه اذ لا يجوز
ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه
بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة
اشبه وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطاه فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا
فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض ائمتنا انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد

١٥٦ قبولها منه **جعلت لي الارض مسجدا له** الارض **فاهتز به للصلوة فيها حراء**
جعلت مسجدا له اي لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له **الارض** كلها
كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حتى قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصلي الحديث والمراد
بقوله مسجدا موضع السجود اي ان السجود لا يختص منها دون غيره قيل

ويمكن

ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلوة وهو من مجاز التشبيه
لانه لما كان في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي
الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا
وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلي حيث ادركته الصلوة وقيل المراد ان
الصلوة لم تبح لهم الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت
لها في كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو الهام نبح
من قبلنا الا في اماكن مخصوصة كالبيع والكنايس والصوامع للخبر المصرح
بذلك وكان من قبلنا انما يصلون في كنايسهم وبوافقه رواية ولم يكن من الانبيا
احد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد الاحتجاج لمقتضيه عيسى المذكورة
بمنع ما ذكر فيها لدلالة هذين على خلافه وبفرض صحته فلانبينا في الخصوصية
لانها ثابتة لنبينا وامته بخلاف **وبسبب** هذا الجعل **اهتز** اي تحرك طربا
وفرحا **به** صلى الله عليه وسلم **للصلوة** اي لاجلها **فيها** اي الارض **حراء**
بالكسر والمد وهو الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة
وهو مشهور ودليل انه صلى الله عليه وسلم كان على حراهو وابو بكر وعمر وعثمان
وعلي وطلحة والزبير فتحرك الصخر فقال صلى الله عليه وسلم اسكن
حراء ما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية سعد ابن ابي وقاص
ولم يذكر عليا خرجها مسلم وخرجه الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا
عبيدة وقال ابنت حرا وفي رواية اهدا حرا ورواه البخاري في احد بلفظ
انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم
برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه النسائي والزهري
في ثبير وهو جبل مقابل لحرا انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته للحضيض اي البتي في قراره واسفله
فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق

وشهيدان وما اشار اليه الناظم بتعبيرين باهتز من ان ذلك التحرك انما
كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن التين في احد فقال
قال الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين هذه الرجفة
ليست من جنس رجفة الجبل يقوم موسى لما حرفوا الكلام وان تلك رجفة الغضب
وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية
والشهادة التي توجب سرورا ما اتصفت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر
انتهى واستشكل باذكر بان الهزة طرباً فرع العلم بمن فوقه وقوله فاهتز
الي اخره يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة
التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا وقع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة له
وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه
صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكر بان مقام النبوة والصديقية
والشهادة كل منهما يقتضي الرواية وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع
فكان ما منه او لاهزة الطرب واخرا سكون الحياء والاشتمال والادب ويحتمل
انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك
ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضي هزة الجمال
واللفا المبينين عن غاية الفرح والسرور **قال** الطبري وغيره واختلاف
الروايات تحمل على انها قصص تكررت وهو واضح لان كلا منهما صحيح ولا وجه
الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعد ما توقف فيه بان الذين
معه بحرا اربعة ممن معه باحد **فان قلت** ما وجه التعليل في قول الناظم في
الصلوة فيها **قلت** كانه يشير الى ان الله تعالى لما اقطع بنيه الارض وجعلها
كلها مسجدا له وطهورا فيها بصلوته صلى الله عليه وسلم فيها دخل في ذلك جبالها
فاذا صعد فيها تذكر ذلك الجعل وتلك الصلوة اللذين حصل بهما للجبل كيفية
الارض غاية الشرف فحينئذ حركت اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور

والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلوة صلوته
صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يخلي فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط
لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة
بكثير لرواية ان العشرة الاواحدا كانوا معه **قال**

مظهر نجحة الجبين على البرء كما اظهر الهلال البراء

مظهر ذلك الوجه الكريم **نجحة الجبين** اي جرح جبينه وهو المخرف
عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة ويجوز لما يأتي ان الذي
نجح جبهته وفي رواية وجنيته والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز
المجاورة **على البرء** اي فيه او معه من برء من المرض بالكسر براء بالضم وبري
براءً بالفتح فيهما وهذه النجحة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابي
سعيد الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص لاخ سعد ابن ابي وقاص اول من رمى بسهم
في سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد ويقول ارم فداك
ابي وامي قال فلم يجمع ابويه لغيري وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالي لانه
زهري فليرني امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتح وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن ابي قمة
فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله
عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذي
والنسائي عن انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه
فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي مرسل قوي ان وجهه صلى الله عليه
وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها **كما**
مصدر به **اظهر الهلال البراء** بفتح الموحدة وهو اول ليلة من الشهر

اي ان وجهه الكريم المكرم اظهر انارة تلك النجحة به ها ظهورا واضحا
ليس فيه ادنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور ليله استهلاله لحكمتين ليتذكر
الراون لذلك والرادون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظم
الصبر عليها حتى يهتدي به في ذلك وليعلموا ان تلك النجحة لم تشنه
حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال
في وجهه الاحسن من الهلال كما قال رحمه الله تعالى

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب لجمال له الجمال وقاء

ستر ذلك الوجه **الحسن** الاصلي **منه بالحسن** العارض من النجحة
فاعجب لجمال اصلي **له الجمال** العارض وفي هذا كالذي قبله الجناس التام
المتماثل بناء على ما مر الكلام عليه في شرح شق عن قلبه وشق له البدر
واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلي والعارض
كما تقرر لان حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين
مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعد منه الذين قال لهم الناس ان الناس
ان النفس بالنفس الى اخره نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف
الوضع حيث لا قرينة تعين كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير
فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بمحتمل او نحوه لسلم من الجزم بما
في كلامهم كالصريح في رده وفي البرء والبرا الجناس المطرف **وقاء** وسبب ذلك
ان الله تعالى اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التي لم يعطها المخلوق
كما مر بدليله في باطنه وظاهره فكان جلد ساتر الجماله الباطن فاذا ازال الله
النجحه ظهر من انوار الباطنه ما صيرها كالهلال في وجهه وصار حينئذ حسن
ظاهره ستورا لباطنه من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما
وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه
توضح ذلك وتكشفه فقال رحمه الله عليه

فهو

فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام والعود شق عنه اللحاء

فهو اي ما ظهر من النجحة من باطن بدنه **كالزهر** اي نور النبات اذا **لاح**
اي ظهر **من سجف** بفتح اوله وكسره اي ستر **الاكمام** كالاكمة جمع كم بالكسر
وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو ايضا مثل العود الذي
يتطيب به **شق عنه اللحاء** وهو قشر الشجر من لحونه الحوه قشرته
باللحاء ظاهر الجلد وهو كاللحاء وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين
ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال

كاد ان يعشى العيون سنا منه لسر فيه حكته ذكاء

كاد ما ظهر بالنجحة **ان** وهي وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها
يعشي بالغين المعجمة اظهر من المهملة **العيون** ان يعطى عليها **سنا**
بالقصر اي ضوء عظيم خارج منه **لسر** عظيم وفي نسخة **فيه** اي في
ذلك الباطن الذي ظهر هو مصره كله ضيا الشمس ومن ثم كان اصل ذلك
السر لاكماله **حكته** اي شابهته **ذكاء** بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع
دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر
علم ان من اسباب عدم شينه بتلك النجحة ما اوتيه من الحسن الذي لم يؤته
غيره ومن ثم قال رحمه الله تعالى

صانه الحسن والسكينه ان نظهر فنا رها الباساء

صانه ذلك **الحسن** له انفرد فكيف وقد انضم اليه **السكينه** اي وقار الظاهر
مع طمانينة القلب وعدم تحركه مما يمتحن به من الموذيات التي لا يسكن
عندها غيره **ان نظهر فنا رها** هو ضمير الفاعل المتقدم رتبته وهو
الباساء اي الشدايد فلذلك لم يظهر عليه من تلك النجحة الا غاية
الطمانينة ونهاية الجمال فعلم انه لما اودعه الله فيه من كمال الجمال تمام
البهاء في حاله السراء فهو في حالة الباساء فلا تؤثر فيه الباساء البته

١٦٢ وتخال الوجوه ان قابلته ابسمها الوانها الحرباء

وتخال اي تظن انت الوجوه ان قابلته اي عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه بخلت من فرط حيرتي كان تلك الوجوه عند ذلك التلوين ابسمها الوانا ضمير الفاعل المتقدم رتبته وهو الحرباء المشهود ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبه المختلفه قال رضي الله عنه

١٦٣ واذا شمت بشر وندا ه انهلت الانوار والانواء

و سبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان اذا شمت بالمعجمه من شمت البرق نظرت اي سحابه بشر اي طلاقة وجهه وندا ه اي جوده اي اذا نظرت الي مخايله ببصرك منتظرا اليه انهلت اي انسكبت ما انت بصدده الانوار الباهره التي تحصل لك من بشر عند رويه وجهه والانواء جمع نوء وهو ما تضيف العرب والامطار اليه من النجم اورده نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا كناية عن الخيرات الواصله منه صلى الله عليه وسلم لمن بداه واسله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندا وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداه في المعنى نحو لا تدركه الابصار والخبير يناسبه وهو يدرك الابصار ولما تميز رويه الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العليه ففال رضي الله عنه

١٦٤ او تقبيل راحة كان لله و بالله اخذها والعطاء

او ليته خصني تقبيل راحة اي بلثمي في اليقظة او النوم نظير ما مر لكفه التي كان لله اي لاجله ابتغاء لوجهه دون غرض اخر وبالله اي بسبب شهود اعانته وقدرته اخذها والعطاء اسم مصدر بمعناه اي واعطائها وهما ابرانها من كل غرض بنا في الكمال الاعظم فلم يقع نظرت منها في شيء مند افاض الله

عليه

عليه خوارق جوده وشهود سببه كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا

١٦٥ تشقى باسمها الملوك وتحظى بالغنا من نوالها الفقراء

و لهذا الشهود الاعظم في نصرتها كانت تشقى بفتح التاءين اي تخاف وتحذر باسمها اي سنانها في الحرب الملوك كقيصر وكسري والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم وكانت وتحظى اي تفوز بالغنا الحسي والمعنوي من بعض نوالها اي عطايها الفقراء لانه كان اجود الناس يعطي عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقر الاثبار على نفسه وعياله كان جوده كله لله وفي ابتغاء مرضاته ببذل المال تارة للفقراء والمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به من يقوي اسلامه او من يسلم باسلامه نظرا وبين الاخذ والعطا والملوك والفقرا وتشقى وتحظى بتجنيس المقابل قال رحمه الله

١٦٦ لا تسل سيل جودها انما يكفيك من وكف سحبها الانداء

لا تسل اصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ به في سال سايل سيل هو الماء الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسل هذا الامر المكني به عن سعة عطايه وجوده فان هذا شيء لا يقدر احد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك ان تسال ما يكفيك وهو ان يصل اليك من وكف اي قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندا وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنا الكلي فمن وصلت بلة من قطرة منه كاسبا الغناه في الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها قال رحمه الله

١٦٧ درت الشاه حين مرت عليها فلها ترؤه بها ودماء

درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها وبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكليه اذ لم يكن طرقها فحل قط ترؤه

اي كثرة اللبن بها اي بسبب تلك الراحة الكرهية وعاء اى زيادة في
تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم حين سار من
غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر رضى الله عنه ومولاه عامر بن فهيرة
فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على ام معبد
عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا في غاية
القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا
فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة
الجوع فسالها هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ترى بها من
نحل فط فقال صلى الله عليه وسلم اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم
ان رايت بها حلبان فاحلبها فدعا بالشاة فاعقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى
فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملاها من حلبها وسقى القوم
حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركه
عندها وذهبوا ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا

١٦٨ انه **نبع الماء اثر النخل في عام بها سبحت لها الحصباء**

نبع الماء بها اي بسببها وعدل اليها عن منها المبتدا ليفيد انه نبع تارة
منها وتارة بين اكفها من غيرها اما الاول فقال القرطبي قصة نبع
الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد
عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من
التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم
حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب
الشافعي رضي الله عنه ان هذا ابلغ من نبع الحجر بضرب موسى صلى الله على نبينا
وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم لان الحجر يولف منه خروج الماء
ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما ورد في الصحيحين عن انس

ان

ان الناس احتاجوا لصلوة العصر فلم يجدوا الا ماء فاتى صلى الله عليه وسلم
بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضوا كلهم
زاد البخاري كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه واطراف اصابعه
وفي رواية لابن سناهين انه وقع نظير ذلك في غزوة تبوك لما شكوا اليه
فطلب فضلة ماء فاتى بها فصبها في صحفة ثم وضع راحته فيها فتخللوا
عيون بين اصابعه فوردوا هم وابلهم وتزودوا منه وفيها عن جابر انه صلى
الله عليه وسلم كان يتوضاء من ركوة فجاءه يشتكون العطش فوضع
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل يفور من بين اصابعه كامثال العيون
فتوضوا كلهم وكانوا الفا وخمسمايه بل قال جابر رضى الله عنه لو كنا ماية الف
لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون
عيون الماء تخرج من بين اصابعه وظاهر الروايات ان الماء نبع من
نفس اللحم الكائن في الاصابع وهو ما صححه النووي وجزم به عزو وانما استدعى
قليل ماء تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير اصل بخلاف
رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غيرها لكن استدعي لبثن يا بسنة
ووضع يده الكريمة فيها فنبعت عيون الماء واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون
غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها
فلا يمس من مايها شيئا حتى اتي فسبق رجلان وساه قبل ان ياتي فسبهما
ثم اغترفا له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت
العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا
قد ملاء بساتين وعمرانا وفي رواية الموطا وغيره فانخرق ماله حس كحس الصواعق
وصح على مقال في بعض رواية الموطا ان العطش استد بهم في غزوة تبوك
حتى كادت رقابهم تقطع وكان الرجل يخرج بعيره فيعصر فرثه فيشربه
ويجعل الباقي على كبده فاله ابو بكر رضى الله عنه ان يدعوهم فقال

انحبون ذلك قال نعم فوضع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فاسقيت
فلوا ما معهم من اينة ثم ذهبوا ينتظرون فلم يجدوها جاوزت العسكر
وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة امرهم بوضع سهم من كنانته
في محل الماء ففاض ومرة بوضع يده في الركوة فجعل الماء ينور من بين اصابعه
ومن اوصافها ايضا انه **اثمر النخل في عام** اي في سنة غرسه بها اي بسبب
مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه
التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان وامن به وكان مسترقا فامره
صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها
حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه
ان يعينوه بالوديّ فاعانوه ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فماتت منها
واحدة بل اثمرت كلها في عامها وفي رواية وفي نزعت منها واحدة فغرسها صلى
الله عليه وسلم واعادها فاثمرت البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجاءه النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المعادن
فاعطاها له فقال واين تقع هذه مما علي قال خذها فان الله سيودي بها
عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية ومن اوصافها ايضا انه **سبحت بها** اي
في راحته **الحصباء** اي الحصى كما رواه البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما انه
صلى الله عليه وسلم كان عند ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن
في كفه لذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع
احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام العسقلاني ليس لحديث تسبيح الحصى الا
طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري
من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه

جبريل

جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح **تنبيه** تسبيح الجماد
كالطعام والحصى معناه ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة
خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به ومن اوصافها العلية ايضا انها **قال**

احيت المرملين من موت جهد اعوزا لقوم فيه زاد وماء

احيت المرملين اي الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فشبههم
موتى حتى وصفوا بالحيوة مجازا كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز ايضا فهو
استعارة بتبعيه **من موت جهد** اي قحط شديد والاضافة بيانية
مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت اطلق عليها اسمه
اعوز القوم عدل اليه عن اعوزهم الذي هو القياس لانه ايهام المرملين
انه خاص بذكورهم وان كان التغليب في مثله شايعا ذايعا **فان قلت** شمول
القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوي **قلت** الفرق بينهما واضح لان
شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم يجئ لقرينة بخلاف
المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين **فيه** اي ذلك الجهد **زاد وماء** من
اعوز الشيء اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر استعارا
بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة التي ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا
كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء الزاد ولما الطباق
كالري والشبع الملهوم بين مما ياتي بسبب احيائه لهم كرر الله تعالى كرامة
ومعجزة له صلى الله عليه وسلم له الطعام والماء القليل جدا **قال**

فغدى بالصاع الفجياع وتروي بالصاع الف ظماء

تغدى بالدال المهملة اي اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال **بالصاع** الواحد
وهو قدحان بالكيل المصري تقريبا **الفجياع وتروى بالصاع الف ظماء**
جمع ظمآي او عاطش لما تروي الالف الظما بالماء القليل النابع من بين اصابعه

تارة وبركة دعايه اخري فقد مر الكلام عليه مستوفي والتعبير بالصاع فيه
المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر واغاذكر على جهة مجاز المشاكلة لما قبله
نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالحديبيه كانوا الفا واربعمايه
او خمسمايه وفي بعض المواطن كانوا ثلثمايه وفي بعضها كانوا اقل وفي غزوة
تبوك كانوا الوفا مولفه واما تقدي الالف الجياع بالصاع فهو ما في الصحيحين
عن جابر رضي الله عنه راي بالنبي صلى الله عليه وسلم جوعا شديدا في غزوة
الخندق فذهب لامراته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اي
سمينه وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب للنبي صلي
الله عليه وسلم واخبره وطلب ان ياتي بنفر معه فصاح النبي صلى الله عليه
وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحي هلا بكم ثم امره ان لا تنزل البرمة
ولا تخبز العجين حتى يجي فلما جاء بصق في العجين وبارك ثم في البرمة وبارك ثم
امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف
حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما اضعاف الاضعاف زادات في مسلم
عن انس رضي الله عنه في غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة عرف
جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فاخرجت
اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على راسه
مرتين كالعمامة وارسلته الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد
اي الموضع الذي اعتد لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة
قلت نعم فقال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فقدمهم انس فاخبر
عمه فقال يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا
طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك

الخبز

الخبز فامر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فادمته ثم قال فيه
صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال ايذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا
فخرجوا فقال ايذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى
الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفي طرق هذه القضية ما يقتضي
تعددها وادخالهم عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس بعد ما لا استحياء
من كثرة الناس دعاه وحده وفي رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك
وحده ولم يكن عندنا ما يشبع من ترى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما
عندك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع في
الجفنة وفي اخري ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرى
اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة
تبوك جاعوا فقال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم
ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه
وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله الحديث وبينما عن انس ايضا ان امه ارسلته الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحيس في تور وهو عروس بزينب فامر ان يدعو من لقي
فكانوا نهاية لا تتناهى فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك الحيسة وتكلم
بما شاء الله تعالى ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما ادري حين وضعت
كانت اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة ابن جندب انهم تداولوا قصعة من
غدوة الى الليل تقوم عشرة وتقعد عشرة قيل فما كانت تمد قال ما كانت
تمد الا من ههنا واشار الى السماء قال رحم الله

ووفي قدر بضة من نضار دين سلمان حين حان الوفاء

ومنها انه وفي قدر بضة اي بيضة دجاجة من نضار اي ذهب

دين سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر انفا مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركته صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة **حين حان** اي قرب **الوفاء** اي حلول الاجل وبين وفي والوفاء للجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان للجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان رضي الله عنه **قال** سلمان رضي الله عنه **كان لي عم فني فاعتق لما ابتغت من نخيله الافناء**

كان لي عم فني اي ارق بالباطل ولخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار رئيسها ثم بكنيسة نصارى فاعجبوه فذكر لابيه فعيده وقال له دينك ودين ابائك خير من دينهم وكان سالهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبروني ففعلوا فحل القيد وتوجه اليهما فسال عن اعلمهم فدل عليه فخدمهم ثم ان مات تم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال لمن توصيني قال بفلان بنصيبين فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له قال لفلان بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال يا بني ما اعلم احدا على ما كنا عليه امرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبي هو مبعوث بدين ابرهيم يخرج من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بي نفر من كلب فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي فحملوني فلما بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من يهودي فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يسمع له ذكر ثم هاجر الى المدينة فبينا انا الجني لسيدي ثمرا جاء ابن عمه فقال له قاتل الله بني قيلة وهي ام الاوس والخزرج انهم لمجتمعون بقبا على

رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة وشدة حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي ما ذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال مالك ولهذا اقبل على عملك فلما امسيت اخذت شيا جمعته وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال هذه صدقة فامر اصحابه باكلها فجمع شيا اخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الي ظهره فعرف صلى الله عليه وسلم انه يامله لشي وصف له فالقى رداءه عن ظهره فراى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامر صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب نظرا لحالته الراهنة والا فهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حواري عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام على غرس ثلثماية نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين **فاعتق** باداء النخل **لما ابتغت** اي نضجت **من نخيله** حال من قوله **الافناء** جمع فنو وهو العذق اي الرجون ولاجل ما ذكر عن سلمان انه مجدور سماعه عن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة وهو على راس نخلة يجنيها لسيده وشاهد سيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغه امره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم ان له تلفتا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمان نبي عرفي فكونوا اول من يتبعه ويسلم بهم معه قال عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين عرض الناظم رحمه الله لموالي سلمان شكر اعليهم اذ لم يوذوا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال

سلمان بل زاد في الطغيان بضربه ففال نغمده الله برحمته

١٧٣ افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكر العرواء

ا تظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا تؤذوه به فلا تعذرون سلمان اي تردون له عذرا تعذركم من ابناء ومنه وقد وضح الدليل عندكم على بنوته لما اي حين ان عرته غشيته من اجل ذكر اي ذكر اليهودي لقربه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به في فنا العرواء اي فوه الحي وسمها في اول اخذها للانسان بالشد والرعدة وما ذكرته في تفسير هذا البيت المطابق لما في قصة سلمان والذي فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود وريبهم بالعناد والبهتان اولى مما وقع للشارح في تقريري على ما فيه من النظر كما يعلم بتامله ومن عرته والعرواء تجنيس بينه الاشتقاق قال

١٧٤ وازالت بلمسها كل داء اكبرته اطبة واساءُ

ومن اوصاف تلك الراحة الكريمة ايضا انها ازالت بلمسها لمن به امراض اعيت الاطبا كل داء اكبرته اي استعظمته وعجزت عن برءه اطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل وحفظ الحاصل واساءُ بكسر الهمزة جمع اس كراع ورعاء روى الداري ان امراة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به حبون وانه لياخذ عند عذاينا وعثاينا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي فايده روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط قال

١٧٥ وعيون مرت بها وهي رمد فارتها ما لم تر الزرقاء

و من اوصافها ايضا انه يرى بها عيون ناظر مرت بها تلك الراحة وهي رمد اي معطلة الابصار فارتها اي تلك الراحة تلك العيون ما الذي لم تر فيه مع ارتها جناس الاشتقاق الزرقاء المشهورة

بزرقاء

بزرقاء اليمامة التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لابن علي اني لاعطيه الراية وتكون الفتح على يديه كما في رواية اخرى قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فاتي به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبراء حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما استكيتهما حتى يومي هذا فايده وروي عن ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني قتادة وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان واقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان قال رحمه الله

١٧٦ فاعادت على فتاك عينا فهي حتى مماته البخلاء

و منها ايضا انها اعادت على فتاك ابن النعمان عينا له ذهبت فهي حتى اي الى مماته البخلاء اي الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان رانني تقذرني فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فقال له عمر من انت قال

• ابونا الذي سالت على الخد عينه • وردت بكف المصطفى احسن رد •
• فعادت كما كانت لاول امرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد •

فوصله عمر رضي الله عنه واحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله

فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا بترفان قال الدارقطني هذا حديث
غريب تفرد به نصار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني وابو نعيم
عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان اخر هاسهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم في
فتاك كما وقي وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا
ويجمع بين رواية الواحد ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان احد الرواة
ظن الساقط واحدة وبعضهم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم
انزيادة الثقة مقبولة وبها يترجح رواية الثنتين **قال**

او بلثم التراب من قدم لانت حياءً من مشيها الصفواء ١٧٧

او لينه خصني في الفطنة او في النوم نظر مام **بلثم** اي تقبيل
التراب المنفصل **من قدم** له موصوفة باوصاف جليلة كما نعتها منها
انها كانت اذا مشت على حجر **لانت حياءً** اي لاجل او **من** جهة
استحيائها منها واجلالها لها من اجل **مشيها** اي تلك القدم الكريمة لها
الصفواء اي الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده
عليها للقدم مرتبة وبنه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي
من مخالفتك ما جاء عن نبيك لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه
ان يبقى على صلابته فلان له حق يسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحيا
منه ان تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه وعلا احلاقه صلى الله عليه
وسلم ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخلائص لكن بلا اسناد

موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي اقتض وطاء ١٧٨

موطئ بدل من التراب **الاخمص** بضم الميم المراد به الجنس اي الاخمصين
وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق

بالارض منها عند الوطي والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه
البيهقي عن ابي هند رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ
بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله عليه
وسلم لا اخمص له يطاء على قدمه كلها لان المراد ومن ثم قال ابن العربي اذا كان
اخمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستوا سفل القدم جدا فهو احسن ما يكون
وان استوى وارتفع جدا فهو دم **الذي** نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا
للمضاف اليه لاستلزامه منه صفة للمبتدا الذي هو وطاء تقدمت عليه
فصارت حالا **للقلب** خبر المبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل
ومن المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تحبس راعاة
للنظير **اذا مضجعي** اي جنبي الذي اضطجع عليه اقتض بالقاف وبالمعجمة
اي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس **وطاء**
اي فراش وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض
ان مضجعه اصاب تراب فراشه الذي من جملته ذلك التراب الاكبر الى قلبه
فانار واراحه من الاعياء وصيره على اكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات
والاحوال كما ان الفراش يصون من فرش له ذلك وهذا اولى واظهر مما
حل به الشارح هذا البيت فتامله ومن اوصافها ايضا انه **كما قال**

حظي المسجد الحرام بمشاها ولم ينس حظه ايلياء ١٧٩

حظي المسجد الحرام بعيني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك
كثيرا كما في القرآن في مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد
به مكة الا في نحو قول وجهك شطر المسجد الحرام **بمشاها** اي بمشي ذلك
القدم فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر
العلماء بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشاته فيه ومن ثم صح
من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب الارض الي الله

ولولا اني اخرجت منك كرهاما خرجت والحديث المعارض لذلك الذي يروم
مفضلوا المدينه المنوره موضوع كما اعترف به امام المالكيه ابو عمر بن عبد البر
وصرح بان افضليه مكه هي الحق عند من الهم رشده وبري من التعصب **ولم**
يشن حظه ايلياء اي بيت المقدس بل يشرفه مشيه فيه ايضا وصلوته فيه
بالانبيا عليه وعليهم الصلوة والسلام بليلة الاسرا كما جاء في ذلك الاحاديث
الصحيحة ولم يذكر المدينه لانه الذي انشاء شرفها كما قال في الحديث الصحيح
اللهم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينه الحديث فقوله
حرمت المدينه اي نزل تحريمها على لساني ولم يسبق زمني بخلاف مكه فان تحريمها
من يوم خلق الله السموات والارض كما في حديث البخاري وعزم في حديث البخاري
وعزم ايضا ان ابراهيم حرم مكه معناه اظهر حرمتها لاعزجمعا بين الحديثين فانه
متعين ما امكن وليس الكلام فيما انشاء حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبله
على لسان عزمن الانبيا على نبينا وعليهم افضل الصلوة والسلام لكن ازدات حرمته
ببركة حلوله به ومشيه فيه فضل عزه حينيذ بفضل مكة وبيت المقدس
ليس لتقدم حرمتها له صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما ومن حظى
وحظه كورمت وري يحيس شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا الخصا

ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء

ورمت كما في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه
فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا
اكون عبدا شكورا وفي رواية لها عن عائشة رضي الله عنها قام نبي الله صلى الله
عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا
فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع والفا للسببيه والمقدير او ترك تمجدي
ولا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفره سبب لكون التمجد لمحض الشكر

فكيف

١٨٠

مطلب

فكيف انزكه قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث اخذ الانسان
على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك في بدنه لانه صلى الله عليه وسلم
اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن
انه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على
قدميه الاقليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله
عليه طه اي طاء الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فانا
ما انزلنا عليك القران لتشقى **اذ** اي وقت اولاجل انه **رمى بها ظلم**
الليل فيه استعارة بالكنايه شبه القدم الشريفة بسهم صابت من حيث
ان قيام القدم في طاعة الله تعالى اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي
السهم في طاعة الله بل بصورة عدو وطايه فتشبيه القدم بالسهم في ذلك
استعارة بالكنايه لبنائها على هذا التشبيه المكني في النفس واثبات الرمي لها
استعارة تخيليه وبهذا التقدير البديعي المبقى للبا على حالها ندفع زعم
زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام
الليل كذلك بشاء اما عن مزيد خوف او سعة رجا بين الناظم رحمه الله ان
قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاد بقوله
صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ ومناجات الله تعالى
والقيام بين يديه وان خوفه ورجاه اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها
غيره انما كان لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال **الى الله** حيز مقدم **خوفه**
منه قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم به واخوفكم منه **والرجا** اي سعة
امله فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله تعالى عصمه عن ان ينظر او يميل الى
غيره طرفة عين بل هو دايم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتملي
بمعاني القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله حال هذا البيت على خلاف
ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل

ثم رايت القرطبي اشار لما ذكرته حيث قال لمن سأله في حديث الصحيحين
المذكور عن سبب تحمله المشاق في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم
ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام
بالخدمة لمن كثر ذلك منه سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي
الشكور وفي الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة
والخشية من ربه قال العلماء انما امن الانبياء على ذنبهم وعلمهم افضل الصلوة والسلام
لبشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها
فبذلوا مجهودهم في عبادته ليودوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم
من ان يقوم بها العباد انتهى وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله
عليه وسلم وعلى امته كما ذكر الله في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ
عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه
لكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لتوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك اي عبادة زائدة في فرايضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة
لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاتهم
صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث اللهم اني اسالك
الجنة وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته وبين الخوف والرجاء
المقابلة ومن اوصافها ايضا انها قالت لبيك اللهم لبيك
دميت في الوغا لتكسب طيبا ما اراقت من الدم الشهداء
دميت اي خرج دمها في الوغى قال الشارح هو الصوت والجلبة ويقال
للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا
انتهى لتكسب هي طيبا ما اي الذي اراقت من الدم بيان لما الشهداء
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند

طلوع روحه ومفعول لان ملايكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل
اراقت اي من حكم خروج الدم من جرحه المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم
وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رايحة دمهم كريح المسك كما اخبر
صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان سبق للناظم رحمه الله ان يذكر
هذا من اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم
دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم
الى الله فابوا واغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه من شدة
الالم وزيد مولاه يحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك
بالوغى قلت قد علمت ان اصله الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على
ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم وهم لا يجيبونه
بل يغرون به سفاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى ابن عقبة ورجموا عراقيبه
بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زيد وكان اذا لفته الحجارة فدالي
الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد
ابن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب
لان من قام بين ظهراني العدو فواجههم بما يكرهون من غير ان يزجر زجرهم
ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اي محارب ويدل لذلك ان امتنا عدوا من
المحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم يقع قتال
بل ولا سل سيف ولا رمي سهم حتى يقال ما بالقوة منزله ما بالفعل ولذلك ههنا
بل في صرفه الوغى عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي وقال انه المراد ههنا
اي كما يقتضي به سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يستمد لذلك المراد
من كتب السير وغيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى
تورمت في الحرب لتكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا قالت

فهو قطب المحراب والحرب كم دارت عليها فى طاعة ارحاء

فهو حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليها الثبات في الصلوة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشع لله منه ولا ابتجع منه كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت عليها قبايل العرب الذين اكرمهم الله بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معه كما قال كم اي مرات كثيرة دارت عليها فى طاعة الله حال من قوله ارحاء اي قبايل وهذا تذييل وقطب الرحا ما يدور عليه وسمي امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك الخاتمة كرة دابرات الوجود وهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمنصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق قال رحمه الله

١٨٣ واراه لو لم يكن لها قبل حراء ماجت به الدماء

واراه اي اعلم انه صلى الله عليه وسلم لو هي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني ويصح انها ماجت هو المفعول وجواب لو محذوف دلت عليه ماجت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد اوردت هنا ايراد خلاصته لانه انما يضطر الي معرفته فاقول هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة في معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون هي حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم لذلك بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للمسبب اسباب واستدل لذلك بقوله تعالي لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها سيقت لنفي الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اولا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جايز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها

كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك لان الجواب قد لا يمتنع في اما كن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم المنفود محكوم به وجد الشرط ام لا ولذلك عدم العصيان وجد للخوف ام لا ولذلك حر رجع محققون العبارة عن معناها فقالوا الحاصل يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لشيء التالي فيقام زيد من لو قام زيد قام عمرو بانتفايه ويكون مستلزما لثبوته لثبوت قيام عمرو وهل لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بان لزم التالي الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المتقدم في ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاؤه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لانم لتعدد الالهة علي دفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الستي ولم يخلف التعدد في ترتيب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان في ترتيب الحيوان غيره كالحمار ويثبت التالي مع انتفاء الاول ان لم يناف انتفاؤه ناسبه اما بالاول كما زعم والمريب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى انه لا يعصي الله مطلقا لامع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفايه اجلالا لله تعالي ان يعصيه او المساوي لقوله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة لو لم يكن ربيبي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة رواه الشيخان اي لانحل لي اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الاد ون كلو اتفقت اخوة الرضاع ما حلت للسبب الادون منه الرضاع لم يكن هو بها اي بقدمه قبل بالبنا على الضم حراء مفعول يكن بالصرف هنا لاعتبار لبنا بحرف الوزن وفي غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين ماجت اي تحركت واضطربت

به اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها الدماء اعلم
ان الشارح تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل مفعول اراه الثاني
ماجت ولو لم يكن شرطا لجوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال في الدماء
هي بالمهملة كانه اراد بها سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه انه لو لم يكن
بالقدم المذكور حرا لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه
به صلى الله عليه وسلم كما انه لما صعد احد تحرك به فقال اثبت احد فذاك تسكين
بالقول وهذا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب
معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم
المناسبة لما قبله على انه في القاموس لم يذكر الدماء بالمهملة اصلا ولا لذماء
بالمعجمة معنى منسابا بالسرعة للحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لاذامه ما قد
يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذامه بالمعجمة كمنعه وحزم
وذمه وطرده وجراه والاذام الرعب وما سمعت له ذامة كله انتهت وانما ذكر
الدماء في المهملة فقال دام الحابط كمنع دعمه وتدام الشيء غمز والنحل الناقة
تجللها وتدامه الامر كيفا علمه تراكم عليه وتزاحم والدماء البحر ثم قال وجيش
مدائم كسبر كثر كب كل شيء انتهى والذي يتجه في حله ان ماجت جواب
لو وان الدماء بالمهملة والمها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه
الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك البحر
براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر لا يستعمل
ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى انه لو لم يكن
بقدمه حرا قبل اي عند ابتداء تحركه به بنوله له اثبت حرا الى اخر ما مر في
شرح قوله فاهتز به للصلوة فيها حراء اي استمر اضطرابه وتحركه الى
اخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم وكان
القياس لو لم يكن بقدمه قبل حرا ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل البحر

فيما

فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدماء لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر
من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذي مر في
حرا انه انما قال له اثبت حرا ونحو ولم يضربه بقدمه وانما الذي ضربه
احد وشير فمن اين للناظم قوله لو لم يكن بها قبل حرا قلت كانه
نظر الى فيما بعض الطرق في مسند الحارث بن ابي اسامة اذا بينها احد
او شير ابا الشك وصح في رواية حرا وفي رواية احد فاقتضى ذلك ان الضرب
بالقدم الكريمة في حرا كما انه في احد ولك ان تحمل الناظم على ان المراد
لو لم يكن حرا قبل اي قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اي مشيه
واقامته فيه للتعبد قبل البنوة لاستمر متوجه واضطرابه حين طلع عليه
ثانيا هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شيء الا ان يقال المسكن
له كل من قدمه وقوله ابنت او اهدء حرا فلا وجه لتخصيص القدم
بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم
لانه في انه لا مسكن غيرها ولك ان تجعل الدماء الارض تسمية للمحل
باسم الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يكن بقدمه اي بتعبده فيه قبل البنوة
لماجت به الارض بعد البنوة فرحا وطربا الى اخر الدهر وخص حرا لانه صلى الله
عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره **تنبيه** اشار صلى الله عليه
وسلم في احد الى ان سبب تحركه به محبته له قال احد جبل يحبنا ونحبه
رواه الشيخان قال الخطابي والمراد بحب احد حب اهل المدينة
نحو واسال القرية ورده البغوي وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره
ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة نظير ما مر
في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم علي
قبل البنوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر
ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته

صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها آمن بها من فور بين ان الكفار الذين
شاهدوها ولم يشرهم الاضلال الحقيقون ان يقال في شانهم قال
عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء ١٨٤
عجبا بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس
العقول للكفار اي منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالمعجز القران وغيره
الذي فيه اي في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن العناد
والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف اهتداء
الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما يجري به ويصح
ان يراد العقول بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالمعقول
وما بالفعل اذ المعجز فيها الاهتداء بالقوة وان فارقها عناد او خذلان وبين
الضلال والاهتداء الجن والانس لانهم الطباق ووجه التعجيب منهم واضح
فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق
لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا
كما قال تعالى بنهم وان يروا ايه يعرضوا ويقولوا سحر مستمر قال
والذي يسالون منه كتاب منزل قد اتاهم وارتقاء ١٨٥
و عجبا ايضا من الذي يسالون منه على جهة التعنت والعناد وهو كتاب
منه كتاب منزل معه عليهم من السماء قد اتاهم به وهم يشاهدونه وارتقاء
منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة
قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه وقالوا له ايضا لقد علمت ان ليس لحد من الناس اضيق بلدا
ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت

علينا

علينا ويبسط لنا في بلادنا ولتخرق فيها انهارا كانهار الشام ولتبعث لنا
من مضى من ابائنا ولكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك
صدقناك وما قدرته في هذا البيت اولى مما قدره الشارح فيه من ان
الذي مبتدا خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما
قبله ولا بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما
قبله واضحه وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري في قوله
اولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة ومنفاء ١٨٦
اولم يكفهم ذلك كله من الله حال من فاعل يكف وهو ذكر واصل اليهم
وتسميته ذكرا جاء في انه مراد به الشرف كما في رواية لذكرك ولقومك
وفي اخرى مراد به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن
بل والملائكة رحمة باهتداء المومنين به وتاخير عذاب الاستيصال عن
الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفاء من كل داء ظاهر وباطن
حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وتخصيص
المومنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت
والملائكة لقول بعض اكابر ائمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران
لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء
شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران
فهو للداء شفا ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي وعبر ومن ليست للتبعيض بل للجنس
والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية
كالاعتقادات الفاسدة في النبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة بفساد
تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص

وفراغ القلب من الاعتبار وتوبه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم اكل
الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث
ان الله لا يقبل الدعا من قلب غافل لاه وقراءة من هذه حالته على اي مرض كان
يبرىء به له وان اعيا الاطبا ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفا فهو اما
لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان
ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث
من لم يستشف بالقران لا شفاه الله نعم روي ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم
قال خير الدوا القران **وعن** العارف الامام الكبير ابي القاسم القشيري رحمه الله
ان ولده اشتد به مرض فاتزعج عليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه
ما يوله فقال له اين انت عن ايات الشفا اي وهي ست ايات مشهورة فكتبها
ومحاها بماء وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد بذكر بعض مما
اشتمل عليه القران العزيز من المعجزات الباهرة والايات الظاهرة فمن ذلك
بل الباهرة في قمع المعارض وادحاض الجاحد انه **قال**

اعجز الانس ايته منه والجن فهلا تاتي به الدهماء

١٨٧

اعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى
الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز ولا يبعد ذلك لان من كشف عن قلبه
الغطا عند المشاهدة يحصل له العلم الضروري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر
يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع
ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل يدرك فرقا
بديهيا بين القران وغيره عند سماعهما الا ترى اية عبر بها بعضا للقاضي
ولم يبال بان النبي الجهود عليه ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي
ثلاث ايات او مثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فعجزوا

فطلب

فطلب ان ياتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بسورة
من مثله فعجزوا وكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان
في دليل المجهود شيئا اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون
على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عاجزون حتى عن بعض الاية المفيد
كما يفيده قول المنظم الاتي او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها وبعدها
انواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون
عن محاكاة اية من اياته حتى ثم نظر او بعضها المفيد لكن مع النظر
لمناسبتها لما قبلها وما بعدها ولما التصريح بانه لم يقع التعجز الا عن ثلاث
ايات فتزد المشاهد للخارجة انه لم يسمع عن احد قط انه حاكا شيا منه
ومن اعجز **الجن** اية منه ايضا وذكرهم كالاية لان التحدي وقع لهم
ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا **وزعم** انهم انما ذكروا
تعظيما لا عجاز لانهم ليسوا من اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي انهم يحسنون
اللسان العربي فادعاء خلافه محتاج لدليل قبل ولم يذكر الملايكة لانه
صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم
انهم مستورون في الاية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضته اي وكان حكمة
عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يخش تحديهم وعلى كل فلم يستطع
احد من الفريقين بل الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي
بمثل اية او سورة منه على نمطه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما
فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلايل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة
وضدها وهذا مقتبس من قوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ
فهلا هي في اصلها للتخصيص والمراد بها هنا التهكم ونظيره من جبت
ان لولا بمعنى هلا فثبت لهذا لذلك فلولا نفرهم الذين اتخذوا من دون

الله الايه فى هذا التوبيخ من يزعم امكان المعارضه كبعض الضلال والالحا
ثانى ببعضها البلغاء جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغه ان الاولى
خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها
الكلام والمتكلم والكلمه والثانيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على
ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكى عن تنكير او اطلاق او تقديم
او اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم
ملكه يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ به غير محتاج الى تعقب او استدراك وقال
الناظم رحمه الله بهذا ان للبلغاء فضلا عن عجزهم مع ان العرب الفصحاء
والخطبا والبلغا والشعراء الفهما فى قريش وغيرها والمقدمون فى اللسان
والتبيان والروما فى قوانين المعانى والبديع والبيان والفرسان فى ميادين
الفصاحة والبجعان فى حلبات البلاغة اظهروا اعوان عجزهم عن المعارضة وعنان
عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اعجب فى الايه واوضح فى
الدلاله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطعون
فى ذلك ولا يغاطون علمه وقريش كان على اذهانهم ومنتهى طلبهم التفنن
فى افننة الفصاحة والتلون فى رياض البلاغة والتقدم فى اعاجيب البلاغة
واساليب البداعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام
نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة طالعه ومحجة ساطعه اذ محال
ان يلبثوا الفا وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزم لبعض
ضرر وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها
منهم وقتل اكابرهم وسبى ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريبا لهم بعجزهم حتى
يكشف من بعضهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم انى افتريته فعلى
باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم يوم ذلك خطيب ولا طع فيه شاعر ولا
تكلفه مصنع والا ظهر وجد من تسجيله وحامى عليه وبزعم مجرد المدعى

انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض
شعراء اصحابه وخطباء لمته قطع بعجزهم وخبرهم وانقطاعهم ومن ثم
قال الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول
فان ما اتى به من عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلو لا انه على
بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشئ من ذلك على انه لم يزل ينادى عليهم
بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته فلم يستطع احد
منهم ان يباديه ولم يرفع راسه الى ان بارديه بل رضيت همتهم السوية وانفسهم
الابيه اذ كانوا انف شئ واشد حميه لبعث الدما وهتك الحرم ولذلك
قال العلما من اعلام وجوه اعجاز القران ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة
العرب مع انهم اوتوا منهما ما لم يوت غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البديهة
بالامر الاعجب ويدلون بها الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويترسلون فى اوديتهما فينونون منهما
بالسحر الحلال ويتطوقون من درر حكمها اجمل من سمط الجمال فلا يشك عاقل
انها طوع مرادهم وسلك قيادهم فاراهم الا رسول كريم بكتاب
قدم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا فى هذا
الباب مقالا واشهر ما وجدوا فى الخاطبة والشعر مثالا صارخا فيهم فى كل
حين مقرعا لهم على رؤس الملا اجمعين فاتوا بسورة من مثله والا فانتم المردودون
الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويثلب لهتهم وتسفيه نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا
عن المعارضة لا ياتوا بمقال صابرون على الجلا والقتل والصغار والاذلال
ناكصون عن معارضته مجبون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب
والتكذيب والاعتراف بالافتراء فى قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر

واقك افتراه واساطير الاولين والمباهنه فالرضى بالدنيه كقولهم قلوبنا غلف
وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعا
مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى
ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو طاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها والتحموا
لخصم الدين كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء امره مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابسلوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا هذا
كله والاتي اليهم به مكث بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كلام ولا
عقد حساب ولا يقيم سحرا ولا انشد شعرا ولا تحفظ خبرا ولا روي اثرا حتى اكرمه
الله تعالى بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون **روي** البيهقي وغيره
ان عتبة بن ربيعة قام من مجمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال اسمع مني
وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى ان بلغ
السجدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام الى اصحابه فقال
بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا ما وراك فقال
سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة اطيعوني
معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكون له نبأ ولما بلغ فقد اندرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فمه الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان تنزل بكم العذاب **وروى** ابن اسحق والبيهقي ان الوليد
ابن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ
عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فاستعاد اياها فاعادها فقال
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه
ليعلو وما يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمع لانواعه

رايا قبل وفود العرب في الموسم ليلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كان ما
هو بزمزمة ولا بسجعة قالوا فمجنون قال ما هو بمخنقه ولا بوسوسة قالوا
شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم فاعلون من
هذا شيا الا وانا اعلم انه باطل **وروي** الحاكم ان هذا الشقي لما ارق لقراءة
القران عليه جاء ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك
اتيت محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه ليعلم
قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح القران قالوا لا
يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا
سحر يوثر يا ينقله عن غيره فتامل فضاء لحولاء الاشقياء على انفسهم بالعناد
المحض والسفساف القبيح والقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا
ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بغلاة
لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدي اصدق
الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم بافصر سورة منه فعجزوا عنها هذا
وقد علم مما تقرر وجوه على الاعجاز اجمالا واما تفصيلها فقد بينهما الائمة
وحاصله انه ينحصر مقصود الاعجاز في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر
من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه احدها ما فيه من الايجاز والبلاغة
والتراكيب بحيث وصل في كل منهما ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة
العليا لفظا ومعنى لصدور ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها
فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب منها
وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تومر سجد وقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يحش الله
ويتقه قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا والاخرة

ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة بعض قصار المفصل فاتى من الهذيان
بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين ياضفدع كم تنقين اعلاك في
الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين وقوله محاكاة
للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات
قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما
لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال اخرا لم تر الى ربك
كيف فعل بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال
اخرا الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل وشفر طويل فان
ذلك من خلق ربنا لقليل **تاسعها** انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج
عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فحير عقولهم حتى
لم يهتدوا الى مثل يحتذى منه اذ لا مثال له ولقد رام قوم من المتاخرين انتهت
فصاحة وفيهم شيا من محاكاته فاعترتهم هيبة منعتهم عن ذلك ومنهم
من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر فتاب ومحي ما عمل **تاسعها** تاثيره
في النفوس والقلوب بحيث يجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يجد
عند سماع غيره ومن ثم كان ان قاربه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تقدير
زادت حلاوته وانفتح طلاوته **رابعها** ما فيه من الاحاطة بعلوم
الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات ما كان
وما يكون نحو لن تفعلوا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم ولا تمنى
الموت يهودي وهذا ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه
من وجهين اما الذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه ليس
على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح انه يقال له رسالة ولا انه خطابة
ولا شعر ولا سجع وفنون كلامه لا يخرج عن ذلك واما لصرف الناس عن معارضته

والاعجاز في هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة
او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة حقيقية واتفاق جلي لتوجه
ولنا نجد هذا بوترحرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح
لاخري وهكذا فلما دعي الله اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد
من المعاني بسلاطة لسانهم الي معارضة القران فعجزوا عن الاتيان
بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم تخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا
صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه
القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن افسده بان قوله تعالى
قل لين اجتمعت الانس والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم
ولو سلبوا القدرة لم يبق فايدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى
وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكر هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة
الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القران
وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة
وان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باقية ولا معجزة باقية اظهر من
القران ويلزم الصرف ايضا انه لا فضيلة للقران على غيره **فان قلت** القول
بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال **قلت** معنى
قدرتهم انهم همموا توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول
لم يتوجهوا المعارضة اسهل لعظم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليه البته
فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة **قلت**
ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان
اهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بعد
الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع
بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان كابي جهل

وهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر
للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون
على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو يعلموه
لوصلوا اليه واخرين ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم
ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقنع وللعري والمتنبي
ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادي عليهم بالخزي
والانقطاع وصيرهم مثله وسخريه وضحكه لبي مما كثرهم واظهر ندمه
ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى من العلوم والمعينات واحوال
العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك من العجايب كان كما قال

كل يوم تهدي الي سامعيه معجزات من لفظه القراء ١٨٨

كل يوم اي وقت تهدي فاعله القراء اي تواصل وافاد التعبير به تشبيه
المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية استعان تخييليه
الى سامعيه معجزات مر بيان المعجز بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد
بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مهتدا
من لفظه كعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجاز مع غاية
بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار
جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اجناس الصادر
تارة عن الامم الماضيه واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن
حصرها ونقل الامام بن سراقة من اصحابنا ان كلا واحدا من هذه
واى قوم انه سبب اعجاز القران ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بالغوا في وجوه
اعجاز جزا واحدا من عشر اعشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق
على ان الاعجاز وقع لجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها

اي

اي وحده محكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي
الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان
غالبا في كلام البشر ولكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهي مفتقرة
اليه وهو غني عنها ومن ثم كان ابهر في الاعجاز من سائر معجزات الانبياء
بل ومعادلا للكل لان سبيلها واحد مخالف للعادة وهو كثير كما تقرر في
وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال هذا
شبيه بقوله ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان
بل متى اشرت الى جهة فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القران
لشرفه لا يشار الى شيء منه الا وكان ذلك المعنى انه في نفسه معجزة لمحاولة
وهدي لقابله وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه
فلذلك طارت العقول وطاشت البصائر عنده واختلفوا في تفاوته
في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر واختار
القاضي المنع وانما المتفاوت ادراك الناس له واختار نصر القشيري
وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح ليلا يخرج
عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء العجز عن معارضته
القرآن من سمع الفاظ القران وتدبرها حق تدبرها علم من كل لفظ منها باعتبار
ما دل عليه امرا معجزا لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القران في الجلالة
التي عرفت الاستانة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه قال

تحلى به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء ١٨٩

تحلى به اي بسماعه المسامع من التحلية بالفاظه و تحلى بالفاظه الافواه
من الحلو فهو الحلي راجع للاول والحلواء بالفاظه راجع الى الثاني

رق لفظا وراق معنى وجات في حلاها وحليها المحسناء ١٩٠

رق اي حسن لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال

الرقه الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقد **وراق** اي تصفى من شوايب
النقص اعجب كل ناظر فيه **معنى** اي من جهته فلا تجد معنى من معانيه
الا وهو اصل في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق
والحلى والحلو الجناس كحلا وحليها وسورة النظير النظير الاثبات
والمسامع والافواه واللفظ والمعنى مراعات النظير كالرقه والصفا والاثبات
والحروف والجهر والاثبات وفي ما بعدهما اللف والنشر المرتب **فبسبب** كون
سوره رقت وراقت **حاز** فاعله الحسناء وما قبله حال منه اي حال كونها
في حلاها اي صفاتها الجميله **وحليها** اي زينتها **الحسناء** شبه سور القرآن
وصفاتها العليه وترتيبها بما اودعه من الاسرار البهيه بامراة بلغت من
الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه **قال**

وارتنا فيه غوامض فضل رقه من زلاله وصفاء ١٩١

وارتنا اي واوضحت لنا وفاعله رقة الاتي **فيه** اي القرآن **غوامض** اي
خفايا **فضل** كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي لا تحد لها ولا غاية
ومن ثم جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير
سورة الضحى لفعلت **رقه** كاينة **من زلاله** النزلال ماء في غاية الحلاوة والبرد
توجد في اجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه الجمان وليست في الحقيقه
بجمان كما قال بعض اكابر ائمتنا **وصفاء** من ذلك الزلال شبه اي القرآن في محاسن
اساليبها وصفاء موارداها الموجبين لمن حدق في خفاياها حديد نظر وحقق
في غورهما دقيق فكر برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوء حتى اطلع على سابر
الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصيه والمواهب الرحمانيه
والمارب الروحانيه مما هي في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها
بحيث لا تمنع من رؤية ما تحته مما من شانه ان يخفى وهذا الذي قدرته

من برد اليقين وصفاء القلب بعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مراة

فكر كما اشار بكلام جامع بديع على عادته فقال **رضي الله عنه**

انما تتجلى الوجوه اذا ما جليت عن مراتها الاصداء ١٩٢

انما تتجلى الوجوه اي تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا **ما جليت**
بالمراة زايده **جليت** اي ازلت وبين هذا وتجلى تجنيس الاستقاق
مراتها بكسر الميم والمد **الاصداء** فكذلك مراة القلوب لا تجلى لها
العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت
قواها فيما هي بصدده اناء الليل واطراف النهار **قال**

سور منه ابنيت صورنا ومثل النظاير النظراء ١٩٣

سور جمع سورة وهي الطايفة المخصوصه المسماه باسم مخصوص توقيفي
منه لبيان الجنس لان ما ياتي ليس خاصا بنقص سورة بل تشملها كلها **ابنيت**
لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقله بها لا يتوقف على
ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه **صورا** جمع صورة وصورة
الشيء شكاله **منا** في اشتمال كل منا على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه
فيه غيره وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما
هو مجموع القرآن لا كل من سورة لان ما فيه من انواع الاعجاز السابقة انما
يستفاد من مجموعه وهذه مقاله فاسده لا يعول عليها لمنافاتها لقوله
فاتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قائلوها معذورون
لا يقام لهم وزن **ومثل النظاير** جمع نظير **النظراء** جمع نظير ايضا وهو المثل
والمناظر ويطلق النظاير على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون
مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل
اي ومثل تلك السور التي هي نظاير كما قال ابن مسعود لقد عرفت النظاير التي
كان يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل
الذين يتنافسون في التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل **قال**

١٩٤ **والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك للخطباء**

والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد **عندهم** اي الكفار ظرف للمبتدا او للخبر وهو **كالتماثيل** جمع تمثال وهو الصورة يعني ان تقولهم في القران وافترائهم عليه بما يقدح في حقيقته امر مزخرف مموه بالاباطيل كالتصاوير التي تخترعها المصورون لذلك فكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه في القران باطل فطعني البطلان **فلا يوهمنك الخطباء** اي فاحذر ان توقع مزخرفا الكلمات بتمتيدهم ومغالطتهم في ذهنك ادنى ريب او سك في شيء من اوصاف القران التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها **قال رحمه الله**

١٩٥ **كم ابانت اياته من علوم عن حروف ابان عنها الهجاء**

كم اي مرات كثيرة **ابانت** اي اوضحت **اياته** جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا قران مركب من جمل ولو تقديرا اذ مطلع ومبداء ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري وتشكل عدهم نحو ثم نظر في المدثر اية اذ ليس في هذه حمل ولا تقدير فالاولى قول غيره طايفة من القران منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القران الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها وياتي قريبا عد اي القران **من** زايدة في الاثبات كما هو راي جماعة **علوم** لاغاية لها كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء **وفي** حديث الترمذي وغيره سيكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد ابن منصور عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه خبر الاولين والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله تعالى مايه واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التورية

والانجيل

والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاث الفرقان اي مع زيادة لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي رضي الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به صلى الله عليه وسلم فهو في الحقيقة ماخوذ منه لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال لهم بمكة سلوني عما شيتم اخبركم به من كتاب الله تعالى فامتحن بدقايق فاستنبطها من القران منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزا فاستنبطوا منه انه لا جزاء عليه لان عمر رضي الله عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وتبعه اعني الشافعي رضي الله عنه العلماء على ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيا او حكم او قضى به فهو الذي افهمه الله من القران قرب او بعد وقال اخر ما من شيء في العالم الا وهو في القران فقيل له فاين ذكر الخانات فيه قال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهي الخانات وقال اخر ما من شيء الا يمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله حتى ان عمر صلى الله عليه وسلم تلا ثلاثا وستين استنبط من اخر سورة المنافقين لانها اخر بلاثا وستين سورة واعقبها بالتغابن لظهور فقده صلى الله عليه وسلم وقال اخر لم يحط القران الا المتكلم به ثم بينه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره ولعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع ما اثرته لكم من التفسير فانه من علي كرم الله وجهه وكابن عباس رضي الله عنهما حتى قال لو ضاع عقال بعير لوجد في كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم

ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا
علومه انواعا ليضبط كل طايفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم
ثم از دغالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج عن الحصر وقد بين
هذا القايل وجه استنباط غالبها منه بتاليف لا يحصى وقال اخر
علومه خمسون واربعماية علم وسبعة الاف علم وسبعون الف علم على عدد
كلم القران مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع ويضم
لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه المتكلم به فضلا
نعم ام علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة ام
لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص لاشتمالها على الاول وقال
ابن جرير التوحيد والاخبار والديات وقال اخر اشتمل القران على
كل شيء كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء اما العلوم فلا تجد مسئلة
هي اصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجايب المخلوقات وملكوت
السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت العرش وبداو الخلق واسماء
مشاهير الانبيا والملايكة وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله عليه
وسلم وغزواته واخبار اليمامة ثم شان امته من بعده وبدو خلق الانسان
الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرازخ والمحشر والجنة والنار
وزعم الحاظ انه لا يوجد فيه شيء من المذهب الكلابي الذي هو احتجاج
المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تنقطع الخصم على طريقة ارباب الكلام
ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتايج الصحيحة الصادقة وردد
عليه بانه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى من
كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به وقد بين الاسلابيون
من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه ان من اول سورة البقرة الى قوله تعالى
وان الله يبعث من في القبور خمس نتايج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الا

حتى

حتى لعلم الهندسة بل الاشكال الثلاثي بقوله الى ظل ذي ثلاث
شعب قال الايمة واغا اوردت حجة على عادة العرب دون دقايق المتكلمين
لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره
بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون لا ينبغي له ان يخبط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا
اقلون والا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى في مخاطباته في محاجة خلقه في
اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة
ما يليق بهم من دقايق المعارف التي هي منتهى كل احد ومبلغ اربه ومن عجيب
تلك الايات انها ابانت تلك العلوم التي لا غاية لها حال كونها متولدة عن بينها
وبين من الجناس اللاحق حروف قلبيه بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جميع اي القران ستة الاف اية وستمايه
وستة عشر اية وجميع حروف القران ثلثماية الف حرف وثلاثة وعشرون
الف حرف وستمايه حرف واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس
المراد بها حروف التهجي بل مسمياتها فحروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات
كما قال ابان اي كشف عنها الهجاء اي التهجي وهو تقديد الحروف بذكر
اسمايها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة
التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغة والمراد هنا اية تهجي بالاسما
عن المسميات حتى تبين موضوع كل وبيانه ان الحرف الذي اول زيد
مثلا له مسمى هو زوه والخطابية بحذف هاء السكت لا يوثر انه للتعليم وله
اسم هو الزاي لانه تميز به سايز علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه قال
الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف
التي في ذلك والباء التي في ضرب فقبل تقول با كاف فقال انما حيتم
بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال اقول كه به فحروف القران من الاول
وحروف التهجي من المراد الثاني ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قراء

حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشرة امثالها لا اقول الم
حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرف اما الفة
او مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ كما قال

١٩٦ فمنى كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكاة

فبهى اي حروف القران وان غزرت معانيها وكثرت احكامها الا يستبعد
منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثلا لا يقربها
نوع قرب كحروف اسماء الاعداد والافنان ما بينهما ادنى ما يتاتى له امد معلوم
يقف فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي
الازمان فهذه الدار وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال
للقاري في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبا تي ذلك قريبا
من بايكة وذلك المنال هو اما انها كحروف اسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا
محصورة لا ينتهي الفهم الى المعدود بها واما انها كالحب الذي يلقيه الزراع
والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض فيتشاؤ عن الاول من السنابل والحبوب
ما يكاد ان لا يحصى ولا ينتاهي ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه
الحالة اعجب فاعله يا تي فتول الشارح ان فيه ضمير الحب والنوي وان
فاعله سنابل وهو منه اذ كيف يتصور في فعل ان له فاعلين ضمرا وظاهرا
في حاله واحدة الزراع والغارس كما يدل عليه ذكر النوي وهو الكفاكس ابيل
تفتيكم الحراي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب
والغارس للنوي وعود السنابل للاول والزكاء لها منها اي تلك الزرع
والاشجار سنابل وزكاء اي نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض
على استقصاء عدها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا كما يحصل منه ما
لا ينتاهي فكذلك حروف القران هي متناهية ويحصل منها من العلوم
والمعارف ما لا ينتاهي وهذا المثل المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر

والا

والافنان ما بين الامرين الاتي ان عدم تناهي تلك الحبوب والثمار
انما هو في مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها لا
تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقاري
في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه يعلم انه يقرا ويتلذذ
بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذ بمعانيها وما يفتح الله به على القرا من انواع
المعارف اللايقة تلك الدار وتلك الذوات التي تم فيها التاهل وذلك امر
لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات والايات البينات
كلها اصروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار قال

١٩٧ فاطالوا فيه التردد والريب وقالوا افك وقالوا افتراء

فاطالوا فيه التردد والريب اي الشك عطف تفسير وقالوا كما حكاه
الله تعالى عنهم في كتابه فهو تلميح مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة
له واصل السحر لغة كل لطف ماخذ ودق وقالوا مرة اخرى انه افتراء
اي كذب ومرقم اساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتهم
وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو الله المتفضل بانزاله قران مجيد في
لوح محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وكل ذلك ينادي عليهم بالجور والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي
ولا استعداد لكن ليس ذلك بكبير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة انه قال

١٩٨ واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى هن عناء

واذا كانت البينات اي الحجج العظيمة البرهان الواضحة البيان لم تغن
اي تنفعهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى هن اي طلبه منهم تلك
الحجج بعد الياس من ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيا قال

١٩٩ واذا ضلت العقول على علم فما تقوله النصحاء

واذا ضلت عن طريق الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى
على اي مع علم منها بتلك الطرق اي اضلها بارباها لماذا يقوله اي فاي
قول يقوله الانبياء الصحاة وقولهم حينيذ لا يفيد شيا وابيت الاول
مقتبس من قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون
والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا
تذكرون وبما قررته في كلامه تعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع
الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة
على التكليف بالمحال لعجزه كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا
يومن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي
عنها عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا
وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون لان هذا لا نظر
اليه والا لارتفع الاختيار وبثت القول بالجبر المنابذ لما جات به الشرايع فاحذر
ان تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسال
عما يفعل وهم يسالون فوايد منها قيل حكمة تنزيه القران من الشعر
مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان قصاري امرائ شاعر التخيل بصور الباطل
في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق
وهذا ان الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكماء
لم نر منذرا من صادق اللهجة مغلقا في شعره اي غالبا وما وقع فيه على
صورة الشعر لا بسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولواعة قدح
شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعر وقيل الرجز كذلك ومنها
سيل الغزالي رضي الله عنه عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه لان نفي

الاختلاف

الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه
للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم ومنها
ان سايركتب الانبيا لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان السنتهم
لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعها يشترك فيه ولكون
السنتهم كذلك كان كل ما في القران حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم
ذكر ابن جبير وغيره ومنها وقع في القران ايات مشتبهات من حيث النظم
كايراد القصة الواحدة في صور وفواصل تختلفه كوكلا فكلا ياكلون ويذبحون
ستزيد وستريد وذلك كثير وقد افرد خلايق الجواب عن ذلك بتاليف
مستقله ومن حيث الهام التعارض عند عدم التامل نحو ولا يتالون واقبل
بعضهم على بعض يتالون واول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس
رضي الله عنه ثم تبعه الايمه حتى بعضهم ذلك بالتاليف كما الفوا في مختلف الحديث
وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث لفظه من المتشابه الذي استاثر
الله بعلمه او علمه ايضا الراسخون في العلم وهو بحث طويل فلا باس بذكر
خلاصته وهي قيل القران كله محكم كما في ايه وقيل كله متشابه كما في ايه والاصح
انقسامه اليهما والمراد باحكمت اياته اتقنت ونزهت عن نقص يلحقها وبتشابهه
انه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه
قيل او بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه والحروف المقطعة
اوايل السور وفيهما اقوال اصحها المتشابه هل علم فيه قولان مشاهما
هل العلم وقف على ما في العلم وعليه طايفة قليلة كمجاهد والضحاك
وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب
الناس بما لا سبيل لوجد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار
والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة ان الوقف على الله
وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعاني اختيار الاولهفوة

وجمع بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فصح
الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات الصفات التي فيها ذكر نحو
الاستواء واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل
الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها
وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين ميل اليه
هنا ثم رجع عنه فقال الذي ندين الله تعالى به عقدا اتباع
سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال
على ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار ائمة الفقها وقادتها
والبها دعا ائمة الحديث والتفسير فقال واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن
ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون
اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشرة وهو مظنون واما عقلي
وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد
لانه ترجيح مجاز على مجاز وتاويل على تاويل وذلك انما يكون بالنظر وقد تقرر
انه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه في المسايل الاصوليه القطعيه قال
فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل
القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التاويل
انتهى وتوسط ابن دقيق العيد يقبل التاويل ان قرب في لسان العرب نحو على
ما فرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له لا ان بعد اي كتاويل استوى
باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما ال اليهم امرهم
شرع في الكلام مع اهل الكتابين ليتبين ما ال اليه امرهم ايضا فقال

قوم عيسى عاملتم قوم موسى يا لدى عاملكم الحنفاء

يا قوم وحذف حرف النداء جاز الا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير
وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه عيسى المدعوين بالنصاري

عاملتم قوم موسى وهم اليهود المتصدين بكابهم وهو التوراة
الذي عاملتكم بتظيره وهو المتصدين بكابكم الذي هو الانجيل
الحنفاء اي المسلمون جمع حنيف وهو المايل عن كل دين الى الدين
الحق ثم بين ما افهمه قوله بما يقوله رضي الله عنه

صدقوا اكتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا البيس البواء

صدقوا اي قوم عيسى كتبكم وهي التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم
كتبهم وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب معدودة
وفي هذا الالتفات لان قوم موسى خوطبوا اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة
وقوم موسى بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل
الاتيين والتصدين والتكذيب الطباق ان ذا الذي فعلتموه معشر
اليهود لبيس البواء اي الصنيع الذي رجعتم به القهقري وهذا
مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله قال

لو نجدنا جحودكم لاستوينا او للحق بالضلال استواء

لو نجدنا من الجحد وهو الانكار عن علم جحودكم اي مثله بان انكرنا
كابكم كما انكرتم كابنا وكاب عيسى لاستوينا نحن وانتم ا يكون ذلك
منا لا يتصور ذلك منا لا يتصور ذلك كيف و ليس للحق وهو ما نحن
عليه من التصدين بالبعض والكفر بالبعض بالضلال المستواة مساواة
بل بينهما غاية التضاد فالحاصل انا لم نجحد شيئا من كتب الله تعالى
وانما وقع الجحد من اليهود لكاب النصاري ومن النصاري لكاب اليهود
خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصاري
على شيء وقالت النصاري ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكاب اي
المكذب لهم في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع
التجاحد بين اهل الكاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكرنا بخلاف النظم

ويوافق ظاهر الاية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقه في الاخري
ماذكر انكار كتبهم اذ لا مانع ان النصاري قايلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم
ليسوا على بني باعتبار تبدلهم وتغييرهم فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع
ضمير صدقوا وكتبهم الي الحنفاء وضمير الخطاب في كتبكم وكن بتم للفريقين
اليهود والنصاري ويكون ذلك تفسيرا لما ملكتم للحنفاء وفي السابق ما يويد
كلا من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم للمتقرآن اليهود اشد
الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
وانهم حسدوا عيسي حتى قتلوه في زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصاري
من بعد حتى قالوا ليست النصاري على شيء للوجب لقول النصاري فيهم ذلك
ايضا وان الطايفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته حتى وقع منهم من
العناد ما لا يصدر الا عن سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم
في بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال رضي الله عنه

٢٠٣ **مالكم اخوة الكتاب انا سا ليس يرعي للحق منكم اخاه**

مالكم اي اي حال حصل لكم معشر الفريقين يا **اخوة الكتاب** المراد به الجنس
الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام
صاروا مسنوين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى اصل واحد حال كونكم
انا سا ليس شانكم انه **يرعي للحق منكم اخاه** بكسر الهمزة نايب فاعل
يرعي ويجوز انه اسم ليس ونايب فاعل يرعي ضمير اي مواخاة اي ليس يصدر
منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى
الله عليه وسلم علما بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة ببنوته وعموم رسالته
وفي اخاء مع اخوة رد التحزب على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق
كالشهاد والشهداء الاتي ومع عدم رعايتكم لذلك انه **قال**

٢٠٤ **يحسد الاول الاخير كما وما زال كذا المحدثون والقدماء**

يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسي صلى الله عليه
وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما درى الملاعين انه شبه لهم مثله
فقتلوه ورفعه الله منهم ثم رفعه الى السما لينزل اخر الزمان حاكما بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا
لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزيه بل يقتل كل يهودي
ونصراني في الارض لان نوعا من البهيمة المجوزه لقبول الجزيه منهم ارتفع بنزوله
وتكذيبه لهم **وما زال كذا المحدثون والقدماء** من لدن ادم الى اليوم

قد علمتم بظلم قابيل هابيل ومظلوم الاخوة الابناء

قد للتحقيق **علمتم** يا اهل الكتاب **بظلم قابيل** من اضافة المصدر
الى فاعله وهو اول اولاد ادم وهم اربعون جاوا له من حوى في عشرين
بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا الربعين
هابيل ابن حنه راسه بين حجرين وهو ناني اولاد ادم صلى الله عليه وسلم حسد
له على الدين من اجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه
فحينيذ قال له لاقتلنك فاجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولا يجري بالسيئة
السيئة كما افاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لين بسطت
الي يدك لتقتلني الاية واذ ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء
ان سبب حسده اياه انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست بجمال اخته التي
تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم ان اختلاف بطون حوى يمنزله اختلاف
الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث اخري وبالعكس وهو مع مخالفته
لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع انه حسده لسببين اخروي وهو
ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر على انه جاء في القصة ان ادم علي
نبينا وعليه الصلوة والسلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع

امرهما ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار
من السماء تاكله فقرب كل منهما قربانا فتقبل قربان هابيل فزاد حسده
الى ان قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدماء جناس الطباق كوفيتم
وخانوا واحسنتم واسأتم والاباء والابناء **ومظلوم الاخوة** الاضافة فيه بمعنى
من ويصح تكلف كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه للجنس المصادق بالجمع
وتسميته **الانبياء** لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا يتهمون
لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا
وما زال الى اخره وعلم من قوله وهذا فيه الى اخره انه ليس المراد
بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوين
الاخوين بناء على القول بان اقل الجمع اثنان **قال**

٢٠٦ **وسمعتم بكيد ابناء يعقوب اخاهم وكلهم صلحاء**

و قد سمعتم هو اليقين لان المراد في كل العلم **بكيد ابناء يعقوب** المسمى
في القرآن باسرائيل اي عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الانسب
انه اسمعيل ابن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم **اخاهم** يوسف صلى الله
عليه وسلم كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك
احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية
القصص **ولا يتوهم** من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم
امر قابيل الكافر للعين ان ذلك بنا في صلاحهم لاتفاق العلماء انهم **كلهم صلحاء**
عدل اليه من ابنياء لانه الامر المتفق عليه كما تقدم واما قوة الخلاف عند في
عدم نبوتهم بخلاف يوسف لانه لا خلاف بينونته لكن الحق انها ظاهرة
الاية اد صريحها وهي قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم
اولاد يعقوب وقد ذكرت الاية انه انزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما

انزل

انزل على ابائهم وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به اية
واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وحينئذ
ففي بنوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم المناقض لصريح الاية فتامله ولا ينافي
بنوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر عنهم عن تاويلات تراها
شريعتهم ومما يقرب ذلك ان العلماء اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور
التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في بنوتهم على ان في عصمة الابنياء
قبل البنوة خلاف محل بسطه كتب الاصول **قال** رحمه الله

٢٠٧ **حين القوه في غيابة جب وربوا بالافك وهو براء**

حين ظرف لكيد **القوه في غيابة جب** هو البير التي لم تطو وغيابته
قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي ابنبات
عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثلاهم لانهم لاحدي
عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل دخولهم تحت امره وطاعته
وكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاوا اليه مع ابيهم وخروا له
سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن
بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم
ما يقدح في بنوتهم على القول بها قال الله تعالى لافضل خلقه ولما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه وامايستحفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عن المكذبين بك والنزغ ادنى حركة امر فالجزم تعالى انه متى تحرك
عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان القاء ادنى وسوسة اليه ان
يستعيذ به تعالى ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته بان لم يتسلط عليه
باكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من غير قدرة عليه **ومن كيدهم**
له ايضا انهم **ربوا بالافك** حيث قالوا ان يوسف فقد سرق اخ له من قبل

يريدون يوسف **وهو براء** اي بريء منه وفي تسمية الناظم هذا افكا
نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل قال سرق يوسف صنما لجده اب امه من ذهب وفضة فكسره فالقوه
على الطريق فعيرته اخوته بذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي
عابوه بها اخذ صنما لابي امه وانما اراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن
زيد ابن اسلم وسعيد ابن جبير وابن جرير وزاد ان امه امرته بذلك لانها كانت
سلمة **قال** الشافعي رضي الله عنه كان زيد هذا من العالمين بالقران
فالحاصل انه وقع منه سرقة فذكروها تعييرا له فهم لا يكذبوا وانما الذي
وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي
سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه ايضا نحو ما سبق وملخصه اعلم
ان واقعة يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على غرايب وعجايب وحكم
واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر
وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى
خذلان المبطل وان كان اعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى
ان التباغض والتحاسد بين الاخوة امر قديم قلما يسلم منه حميم اوادم وان كملوا
وجلوا وان علت مراتبهم وزكت معادنهم ومراتبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم
ما وقع مع كونهم صلحاء بل انبياء نص قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية
اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل الى
ابيهم وبما انزل اليهم ظاهر ونص في انه انزل عليهم ما يجب علينا الايمان
به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يشكل ما وقع منهم في
هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله
على نبينا وعليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبياء جميعهم الرسل

وغيرهم

وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير المعاصي وكبايرها
سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك مبني على مذهب كثيرين بل نقل عن
الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه
الامور انما تشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا ندريه ويفرض انه
موافق شرعنا في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا يسوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعيير
كثيرين كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها
لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير
وابن المنذر ان اباعمرو قيل له كيف نقراه نرتع ونلعب بالنون وهم انبياء
فقال لم يكونوا يومئذ انبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم
وبراءتهم من كل ما يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم معشر
المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد والمحن وصبروا عليها
ففازوا برضى الله تعالى ومحبته **قال**

فتاسوا بمن مضى اذ ظلمتم فالتاسي للنفس فيه عزاء ٢٠٨

فتاسوا اي تعزوا اذ التاسي المتعزي من تاسيت بفلان تعزيت به اي
حملت حالي على حاله ففي التاسي تسكين النفس على الامر المشوش وتصبيرها
عليه والتعزي الحمل على الصبر بوعد الاجر ففي التاسي والتعزي واحد
وهما متقاربان وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما **بمن مضى**
قبلكم من الكمل في ذلك **اذ** اي وقت او لاجل ان **ظلمتم** من الكفار بما ركبوكم
به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال **فالتاسي** في المصايب لا سيما
بالكمل **للنفس فيه عزاء** اي تسل وتصبر لحملها على ان لا يصدر منها
الاكمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من اهل النفاق
والشقاق وهذا من التذييل **قال**

انزاكم ودينهم حين خانوا ام تزاكم احسنتم اذ اساؤا ٢٠٩

اتراكم الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي اتظنكم اهل الكتاب **وديتم** بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به **حين** ظرف لوديتم الواقع موقع المفعول الثاني **خانوا** ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم **ام** متصله لانها معادله للهمزة السابقة **تراكم** لاهل الكتاب **احسنتم** في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به ولم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا في حياته ولا بعد وفاته **اذا ساووا** الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما ينالونه من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية **قال** تعالى الله برحمته

بل تمادت على التجاهل اباة تقفت اثارها ابناء

بل لا يرون شيأ من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع الانبيا صلى الله على نبينا وعليهم وسلم انه **تمادت** اي تتابعت واستمرت **على التجاهل** الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به **اباء** بينه وبين الانبا الطباق **تقفت** اي اتبعت اثارها الباطلة **ابناء** انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون

بينته توراتهم والاناجيل وهم في جحود شركة

بينته اي الحق الذي من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته **توراتهم** المنزلة على موسى عليه الصلوة والسلام من اوريت الزيد قحته لتخرج نار والنار تستلزم النور **والاناجيل** المنزله على عيسى عليه الصلوة والسلام من بجل الشيء اخرجه النبي لهم كما حكى الله تعالى عنهما بقوله عز قايلا الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا يناف هذا جمع الناظم له لانه باعتبار افراده هذا من اعظم الادله على صحة نبوته ورسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة

الواضحة من امره لانه صرح بذلك على رؤس الكاتبين ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اتجدني في التورية قال انسب ربك فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل قل هو الله احد الى اخرها فقراها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله اي التورية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انهما تتلاعن التوراه والانجيل بخوذلك وزيادة عليه وفي التورية يجلي الله من طور سينا اي بتكليمه موسى عليه واشرق من ساعير بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران المطلة على بيت عمكه بارسال محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيرهم باستعلن وفي الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل **وهم** اي اليهود والنصارى **في جحود** اي ذلك الحق الذي بينته كتابيهما وهو الانكار

ابدا العلم ستركاء اي ستتركون فلعنة الله عليهما قال
ان يقولوا ما بينته فما زالت به عن عيونهم عشواء ١١٢
ان شرطيه تقولوا يا اهل الكتاب ما نافيه بينته اي التوراه والانجيل
للحق المذكور فما زالت بها اي التوراه والانجيل عن عيونهم عشواء بالمعجمة
والمهملة اي عن بصايرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق من قولهم
ركب فلان العشوا اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وهي الناقة التي لا تبصر
امامها وفي تخبط بيدها كل شئ فيه الاستعارة للمثل المذكور والاستعارة
بالكناية لان العيون بالبصاير والعشوا بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييليه
في اثبات الظلمة للعيون والتي شبهها في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به
او تقولوا قد بينته فما للاذن عما تتلوه صماء ٢١٣
او تقولوا قد بينته كما هو الحق فما اي فاي شئ حصل للاذن اي لالة
سمعكم حتى انها عما تتلوه التوراة والانجيل واسناد القول اليهما لاشعار
بان السابقتان انفا وكذا في قوله الاتي من طحنتهم الى اخره وقوله
كما هم الى اخره صماء اي غير سامعه له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض
عن ذلك الا محض العناد والحسد قال رحمه الله
عرفوه وانكروه وظلما كتمته الشهداء الشهداء ٢١٤
عرفوه اي الحق السابق معرفة يقينيه ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما
قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه الطباق
وذلك نتيجة الالتيام السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اي الحق المذكور
الشهداء بدل اشتمال من كتمته اي كتمت الشهداء به الشهداء الذين هم اهل
الكتابين لانهم عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعيه
ثم انكر ذلك روساهم حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفايهم
لسعي ما يانون منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا

الشهداء

الشهادة به من التسجيل عليهم بما قررته انهم بالغوا من العلم به صلى الله
عليه وسلم وبحقية دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة
علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث
الصحيح على مثل هذا اي الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف قوله اعلم
او نور الاله تطفيه الافواه وهو الذي به يستضاء ٢١٥
اي تكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذي هو النبوة والرسالة
والاله المعبود بالحق تطفيه من طفيت النار اذهبت حرها الافواه اي
الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لانكون ذلك
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفى
ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضاء ظاهرا وباطنا اي يبصر الحق
من الباطل والصادق من الكاذب قال رضي الله عنه
او لا ينكرون من طحنتهم برحاها عن امرء لهيجاء ٢١٦
اي يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكرون بنوته ولا ينكرون
من طحنتهم اي اهلكتهم برحاها عن امرء اي اسلحتها لهيجاء اي حربه صلى
الله عليه وسلم لا ينبغي ذلك بمعنى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم
انما استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحى حربه كما طحن اباهم واباهم
واهاليهم بجلا بني النظير الى ارض الشام والنهم ان لا يحمل كل واحد منهم
الا حمل بعير من غير السلاح وقتل ورظة لشدة باسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم
عليهم وكساهم ثوب الصغار وقد طلت دما منهم وصبت صهباء ٢١٧
وكساهم ثوب الصغار اي الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بني قريظة
استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه
بما يلايم المشبه وهو الكسوة وبما يلايم المشبه به وهو طلول دما وصون دما
فالاولى ترشيحيه والثانية تجريديه و الحال انه قد طلت اي دفعت

دمائهم كبني قريظة **وصينت دماء** منهم كبني النظير او المراد دماء المسلمين
ان الله جعل لهم الغلبة والدايرة على اعدايهم واذا تقدر اتصاف اهل
الكتابين بتلك القبايح الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم **قال**
كيف يهدي الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء ٢١٨
كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها اي ملوها **من** هي بمعنى
اللام المعدية **حبيبه** صلى الله عليه وسلم **البغضاء** اي شدة البغض لحبيبه
ويصح على بعد لها للتعليل اي من اجله او البدل اي حشوها بغضه بل حبه
وفي هذا الاستعارتان السابقتان ايضا **قال**
خبرونا اهل الكتابين من اين اتاكم تثليثكم والبداء ٢١٩
خبرونا اي اعلمونا يا **اهل الكتابين** التوراة والانجيل **من اين** استفهام
انكاري **اتاكم تثليثكم** اي ادعاكم معشر النصاري ان الله ثالث ثلاثة
ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود **والبداء**
بالموحدة والمهملة من بداظهر وهو كما يأتي ظهور مصلحة بعد خفايها وسواء
على ذلك امتناع النسخ اي لم يأتكم واحد منهن عن دليل بل عن محض سفهكم
وعنادكم **تنبيه** حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح
لغة لانه من بدا يبدو اثم رده بان ابن سريج ذكره قال التبريزي هو بالمد من
قولهم بدا لي في الامر اي تغير راي فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب
المحكم عن سيبويه وقال السهيلي الاسم البداء ولا يقال في المصدر
وقال ومن اجل ان البدو الظهور كان البداي الباري سبحانه وتعالى محالا
لانه لا يبدو له شيء كان غايبا عنه ويخفى بدا بمعنى اراد كما في حديث الافرع
والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اي اراد لاظهر لانه كفر كما يأتي
ما اتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا ارض فيه ادعاه ٢٢٠
ما اتى بالعقيدتين المذكورتين **كتاب** من كتب الله تعالى ابدا

واعتقاد

واعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر
كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل **لا ارض فيه** اي في اثباته
وعبر بالنفي وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن
الاحتمالات العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان
الاعتقاديات لا يكفي فيها الدليل الظني **ادعاء** اي باطل لانه اختراع
في الدين بمجرد التشهي وكالنص حكم العقل القطعي فالاعتقاد المسند
اليه صحيح وان لم يرد منه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص
اليه كايات الصفات واحاديثها ان ظاهرها محال على الله عقلا فوجب
صرفها عنه بتاويلها بما يوافق العقل وانكر جمع متاخرون من
الحنابلة تاويلها لزلل الهم باعتقاد ظواهرها من التجسم او الجهة وطالوا
في ذلك بما كان سببا لمحقهم وتحقهم في الدنيا والاخرة **قال**
والدعاوي ما لم يقيموا عليها بينات ابناؤها ادعاء ٢٢١
والدعاوي التي تقولون بها معشر اليهود والنصاري بفتح الواو وكسرها
كالفتاوي **ما** مصدرية ظرفية **لم يقيموا عليها بينات** اي ادلة قطعية
لان الكلام في الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظن **ابناؤها** اي نتايجها
ادعاء اي باطله والدعي في الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن
يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي الزنا
بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما يتشاء عنه لانه ناشئ عن اصل
فاسد وهذه استعارة بالكناية ثم خيلها بذكر ما هو من لوازم المشبه
به الذي هو وطي الزنا وهم الابناء الدين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر
الادعيا المناسب للمشبه به وبين الادعاء والدعاوي والادعيا تجنيس
الاشتقاق ومنبهه كخلطها والخلطاء والصفات ووصفه الابيات
وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين جمليتين المنتج انتاج الشكل

الاول فالاولي الاعتقاد الذي لانص فيه دعوي والثاني الدعوي بلا بينه
باطله تنسخ الاعتقاد الذي لانص فيه باطل **تنبيه** فرق النصاري ثلاثه
نسطوريه ويعقوبيه وملكيه ولكل فرقه اعتقاد معروف وقد اشار
الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا واكثر الكلام مع القايلين بالتثليث
لانهم اكثر واشد كفرا تم خصوا بالذكر في قوله تعالي لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه **قال رحمه الله**

٢٢٢ **ليت شعري ذكر الثلاثه والواحد نقص في عدكم ام نماء**

ليت حرف تمني **شعري** اي علمي اي ليتني علمت لما يقولونه انضباطا حتي
اتكلم معكم في رده بابلغ مما هنا وهو **ذكر الثلاثه** الصادر منكم تارة حيث قلتم
ان الله ثالث ثلاثه الاب والابن وروح القدس **و ذكر الواحد** الصادر
منكم تارة اخري حيث ادعيتم توحيده **نقص في عدكم ام نماء** اي
زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد
كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لايصدر عن عاقل
لانكم بأن تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده
ولذا قال متعجبا منهم **رضي الله تعالي عنه**

٢٢٣ **كيف وجدتم الها نفي التوحيد عنه الاباء والابناء**

كيف وجدتم ايها القايلون بالتثليث **الها نفي التوحيد عنه الاباء والابناء**
اللذان اثبتموهما في ذكركم التثليث **قال رحمه الله**

٢٢٤ **اء له مركب ما سمعنا باله لذاته اجزاء**

ا يمكن ان يوجد **اله مركب** من ثلاثه اجزا اقل او اكثر لانا **ما**
سمعنا باله لذاته اجزاء او جزان اي يوجد لذلك بل ولا تعقلناه
لانه مما تحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان
التمانع المذكور في قوله تعالي لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان

احالة

احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء متعددة قبل لهم

٢٢٥ **الكل منهم نصيب من الملك فهلا تميز الانصباء**

الكل منهم نصيب اي جزو **من الملك** فان قالوا نعم قبل لهم **فهلا** وفي
نسخة فلم لاوحذفت الف ما الاستفهاميه لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون
تميز بالبنا للفاعل اي تميزا او للمفعول **الانصباء** اي نصيب كل من الالهة
حتي يكون ذلك التميز دليلا علي ما زعموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي
وبين الثلاثه والواحد والنقص والتماجناس التقابل بل كالحاجة والاضطرار
والامانة والاحيا الاتيان فان قالوا الكل انصبا لكنهم خلطوها قبل لهم

٢٢٦ **انراهم لحاجة واضطرار خلطوها وما بغي الخلطاء**

انراهم اي تظنهم **لحاجه** اي لاحتياج **واضطرار** وهو شدة الحاجة الي الشيء
بحيث لايجد مندوحة عنه **خلطوها** خلطا يمنع تميزها فالوا نعم قلنا
الاله لايحتاج ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فلا حتياجه
واضطراره دليل قطعي علي عدم الوهيته فان قالوا خلطوها لا لحاجة
ولا لاضطرار قلنا يتصور وجود شركه دايمة بين شريكين فاكثر الحال انه
وما نافيه **بغي** ظلم **الخلطاء** اي الشركاء اي بعضهم علي بعض لا يتصور
ذلك بل متي وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب
هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما
وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد الغالب فقط وتغلب مراد
المغلوب فليلزم ان لا يتم نظام هذا العالم لان الغرض وقوع الشركه واحتمال
توافقهما دايما الذي يحوج العقل لانظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط
الادلة القرانيه والسلايف العربية فليس دليلا قناعيا خلافا لمن وهم فيه
بل الزم قايله الكفر بعض المتاخرين والف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون
العادة تحيل ذلك لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان الشريكين في الاتحاد

والامداد لايتصور وجودهما على الموافقة لان من شان النفس ان لاتريد بقاء
شريك معها وكل ذلك باطل لاثباتنا هدهذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان
واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان
الاله لاشريك له وبيان بطلان التعدد من وجه اخر وبيانه ان عيسى صلى الله عليه
وسلم كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم

ام هو الراكب الحمار فيا عجزا له بمسه الاعياء

٢٢٧ ا يقولون في حال ركوب عيسى **هو** اي للاله **الراكب الحمار** فان قلتم انه
هو فركوبه يستدعي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لايكون
عاجزا ولاحادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ **فيا عجزا له**
تعجب من دعواهم للتلزمة ذلك **بمسه الاعياء** اي التعب **قال**

ام جميع على الحمار لقد جل حمار بجمعهم مشاء

٢٢٨ ام متصلة لمعادلتها للهمزة يقولون الثلاثة الذين زعمتموهم لهة
جميع على الحمار فيقال لكم **لقد جل** حينئذ **حمار بجمعهم** اي الالهة اي
بمجموعهم **مشاء** صيغة مبالغة من مشى وقبح اله يحتاج الى ان يمشي به
حمار والجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها **قال**

ام سواهم هو الاله فما نسبة عيسى اليه والانتماء

٢٢٩ ام متصلة لمعادلتها الهمزة يقولون **سواهم** اي الثلاثة الذين على
الحمار **هو الاله** فبسبب ذلك **ما** استفهامية **نسبة عيسى اليه**
خبر نسبة **والانتماء** هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اي اخبروني
عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذي زعمتموه
وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجزا له وما بعده تذييل لتكرر

ام اردتم بها الصفات فلم خصت تلات بوصفه وتناء

٢٣٠ ام متصلة لذلك **اردتم بها** اي بالثلاثة التي زعمتم انها الهة **الصفات** القائمة

بذات

بذات الاله والصفة ما دل على معنى زايد على الذات **فلم** مر انفا الكلام
عليها **خصت تلات** بالصرف للوزن **من وصفه** اي الاله **وتناء** بضم اولهما
معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك المكرر
بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند
من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتحوز فان الاول واحد فقط والثاني
اثنين فقط وعلى كل فالصفات لاتنحصر في اثنين ولا في ثلاثة فادعاء
التثليث بحكم صرف وهو لا يقول به عاقل **قال**

ام هو ابن لله ما شاركته في معاني البنوة الابناء

٢٣١ ام **يقولون هو** اي عيسى صلى الله عليه وسلم **ابن لله** فيقال لكم لم
يختص عيسى بذلك حتى **ما** نافية **شاركته في معاني البنوة الابناء** اي عيسى
وبقية الانبياء في ذلك على حد سواء فادعاء البنوة لعيسى بحكم باطل ايضا

قتلته اليهود فبما زعمتم ولاموتكم به احياء

٢٣٢ **قتلته** اي عيسى **اليهود** حال كون قتلهم له انما هو **فبما** اي في القول
الذي **زعمتم** معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن
ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب
كقول ام هانئ للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امي اي علي كرم
الله وجهه انه قاتل من اجرته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا
من اجرت يا ام هانئ وكيف تزعمون ذلك **و** الحال انه لا موتكم به اي بسبب
عيسى **احياء** وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي
الموتى فيمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود في ذلك شاهد صدق على
سخافة عقولكم وانه لا سكة لها ولا ثبت لانكم تتعون في التناقض الصريح
ولا يشبهون له وعلى كل حالة **قال**

٢٣٣ **رحم الله**
ان قولا اطلقتموه على الله تعالى ذكرا لمقول هذا

ان قولا مما حكي عنكم لقولكم بالتثليث اطلقتموه على الله تعالى عما يقولون
علوا كبيرا ذكرا اي ثناء وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة لقول
هراء بضم الهاء من هراء الكلام اذا اكثر في الخطا وفي نسخ بالزاي من قولهم
هزء به بالتسكين اي مزء به ويصح ان ذكرا تمييز عن تعالى اي تعالى ذكره
وهذا من القول البليغ الجامع قال رحمه الله
مثلما قالت اليهود وكل لزمته مقالة شنعاء ٢٣٤
مثل يجوز نصبه حالا اي لقولهم هراء حال كونه مثل او نعتا لمصدر محذوف
ورفعه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل ما قالت اليهود اي قولهم بالبداء
فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من
الفريقين لزمته اي لزمه دعواه مقالة شنعاء اي فضيحة جدا قال
اذهم استقروا البداء وكم ساق وبالا اليهم استقراء ٢٣٥
اذهم استقروا البداء اي تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا
يجوز عقلا ولا سمعا على الله لنسخ مسلة بعلة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة
لم يعد خفاياها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعد غلاة الرافضة ومنهم من
جوز عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين للحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي
فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ حينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع اجماعا واختلفوا في شريعة
عيسى صلى الله عليه وسلم هل هي ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم او مخصصة
والاظهر انها مخصصة لانا نحن لقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
قال الامام في تفسيره ندري ان الرسل ينهى بعد موسى كلهم على شريعته
الا شريعة عيسى تنبيه ذكر الامام ايضا في المطالب العاليه في الحكمة
في نسخ الشرايع كلاما حسنا فقال الشرايع منها ما يعرف نفعه بالعقل
معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا

ومجامع

ومجامع هذه الشرايع العقليه امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طروا نسخه
وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنيه اذا واظب عليها الخلف عن
السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو
المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم
ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة
فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير
السرايروقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع في عصر
كل شريعة جديدة لينشطوا في اديها واعظم حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله
عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم وشريعته لا تنسخ ابدا ومن حكم النسخ
ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدواء في يوم وباخر في يوم
ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني ابعد تنبيه اخر
ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البدا باطل لما تقرر ان المصالح الداعيه
للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنه وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضي
ان الله تعالى ظهر له شيء بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا
النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البدا عليه لوقوع النسخ منه وهذا
غلط في الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن
فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه
ان التحسين والتقبيح بالعقليين باطلان وبتسليمهما فالعلم العادي قاطع
بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت اخر ولا مانع ان علمه
تعالى يتعلق بان حرمة كذا ينتهي بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ
ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه
ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم يضم له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور

فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت
ابدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر
بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل
كما في التوراة في صور كثيرة **وكم** اي مرات كثيرة **ساق وبالا** اي عذابا
البهم استقراء وفي هذا كقالت ومقالة السابق جناس الاشتقاق كرد
العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم
وخالفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقولهم وكم
الى آخره من التذييل البديع **قال رضي الله عنه**

٢٣٦ **واراهم لم يجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا ما يشاء**

واراهم اي اعلم انهم لغوهم بذلك اعني امتناع النسخ ليلا يلزم البداء
لم يجعلوا اي يعتقدوا **الواحد** في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك
له بوجه ما **القهار في الخلق** اي الخلق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعليقه
بفاعلا فنفي على حالها **فاعلا ما يشاء** لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهرهم
٢٣٧ وعجزهم **جوزوا النسخ متلما جوز المسخ عليهم لوانهم وفقهاء**
جوزوا النسخ جواب لو الاتيه تجويزا **متلما** مصدر به **جوز المسخ عليهم**
لوانهم وفقهاء اي فهما ولافهم لهم اذ لا ابلد في الفرق منهم والنسخ لغة
الازالة والتغيير كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا
انتهاء حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثنا
وردبان الكلام لا يعرف حكمه الا باتمامه فلا يحتاج الاحتراز عن ذلك بهذا
القيد اي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور
البته وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه
اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى اقبح منها في كثير من منهم في زمن
موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا

في

في كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ **قال رحمه الله**

٢٣٨ **هو الا ان يرفع الحكم بالحكم وخلق فيه وامر سواء**

هو اي ليس فيه **الا ان رفع الحكم** الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان
المراد **بالحكم** تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى
تكرر لاذانه التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف
اقتضاء وتخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى
بدل فان كان الى بدل زيد في الحد بالحكم الشرعي وان كان لا الى بدل لم يزد
ذلك **وخلق** اي ايجاد فيه المسخ للصورة الثانية بعد ذهاب الصورة
الاولى **وامر** اي تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني **سواء** لما تقرر
ان المسخ فيه الصورة الاولى وخلفها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم
الاول وخلفه الحكم الثاني فان جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم
سفهاء معاندون لا التفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان
لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله

٢٣٩ **ولحكم من الزمان انتهاء ولحكم من الزمان ابتداء**

ولحكم من الزمان انتهاء والناسخ وهو المراد بقوله **ولحكم من الزمان ابتداء**
ولا يأتي هنا تفسير النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف
او دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح اشارة الى تفسيرين
في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تاويل التعبير بما قلناه
كما هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذلك
في الاحكام وهذا في الذوات سواء ان جعلنا النسخ رفعا او بيانا وسواء
جعلنا المسخ في صورتهم حتى صارت اقفيتهم من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم
اذ يجيء الفرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة
فيشير براسه ان نعم ام في قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى

هذه القصة فيه تلميح وبين ابتدائها وانتهائها طباق واذا اردتم ايها المسلمون
المبالغة في ادحاض حجتهم قال

٢٤٠ فلو هم اكان في مسحهم نسخ لايات الله ام انساء

فلو هم قابلين لهم اكان في مسحهم التفت عن خطابهم مبالغة في
تحقيرهم اي جعلهم قردة في الصورة كما هو المشهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب
القردة لاتقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد نسخ لايات الله وهي
الصورة الاولى مع احكامها او للادراك الاول على قول مجاهد ام انساء لايحاد
صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بهما او لادراك كذلك فان قالوا بالاول
فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق
ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ
وبالنسبة الى الصورة الثانية المجددة القبيحة انشا لايقال قد لايعترون
بطرق التغيير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به في قلوبهم
قلوبنا غلف اي مغطاة باغشية خاصة لايصل اليها ماجيت به قال

٢٤١ وبدآء في فوهم ندم الله على خلق ادم ام خطاء

وبدآء بالمد سبق معناه وهو مبتدا خبره في فوهم الثالث عنهم ندم الله
على خلق ادم ام خطاء المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه
الناظم وهو عطف على بدآء اي ملوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم او
عن خطاء منهم فان قالوا عن قصد كان عين البدا الذي انكروه لايستلزم جهل
الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون المسخ فرارا من لازمه عندهم
وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطاء منهم فبكفيهم الاعتراف به
على نفوسهم وانهم في غاية السفاهة والغباوة وسيلهم الاعتراف بالبداء لا
بالخطا فانتفى بطلان زعمهم استحالة النسخ حذارا من البدا وسلوهم ايضا عما
لايمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القران على طبقه فقولوا لهم علامة

الليل

الليل والنهار كل منهما باقية فلا يزول احدهما بالاخر ي قال

ام محى الله اية الليل ذكرا بعد سهو ليوجدا لامساء

ام محى اي اذهب الله ابة اي علامة الليل اسم جنس جمعي واحده
ليلة كتمر وتمرة واتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيمة ذكرا بضم الدال
مبصرا اي من جهة الذكرى العلم والتعمد بعد سهو ليوجدا لامساء اي الدخول
في المساء وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اي سلوهم
هل هذا المحو واقع ام لا وتفرض وقوعه هل هو من عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء
فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثاني من الترديد الاول فقد
كابروا الحس او من الترديد الثاني لزمهم القول بالبدا لان من يجوز السهو يجوز البدا
لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل
والنهار في غيرها اية فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات وقال
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
والحاصل ان الحكمة كما تقتضي دوام اشيا بلا تبدل ولا تغير يقتضي تبدلها وتغيرها وفي
ذكرا بعد سهو جناس المطابق كحرم والتحليل وجحدوا والاثبات قال

٢٤٣ ام بدا للاله في ذبح اسحق وقد كان الامر فيه مضاء

ام بدا للاله في ذبح اسحاق و الحال انه قد كان الامر فيه اي بذبحه
من الله تعالى لخليله ابرهيم صلى الله عليهما وسلم في المنوم مضاء اي ماضيا نافذا
وفي نسخ قضاء بالقاف اي حتما وذلك لان رويا الانبيا وحي فسلوهم فيما وقع
للخليل انه امر بذبح ولده امر اجازة تام عند ارادته له لما اضجعه على جبينه نسخه
الله تعالى فامر بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر
بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكر للخطبا والقصاص فكله لم يثبت فيه

شيء فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول
بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة **تنبيه** ما
جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قال واجمع عليه
اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذي كان بمكة
ومني ولم ينقل قط اسحق حجه ولا اتى تلك الاماكن قاضيان بانه اسمعيل
وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك **روي** الحاكم في المستدرك ان
الصابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق
ابني ابراهيم عليهم الصلوة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسمعيل وقال بعضهم
الذبيح اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسه والماء يابسا وضاع
العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المومنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب
لما امر اي في المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل له امرها ان ينحر بعض ولد
فاخرجهم فاسهم اي اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه
اخواله من بني مخزوم فقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بماية ناقه فهو الذبيح
واسمعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما وسلوهم فيقولون لهم

اوماحرم الاله نكاح الاخت بعد التحليل فهو الزناء ٢٤٤

١ تنكرون النسخ وتقولون **ماحرم الاله نكاح الاخت بعد التحليل** في
زمن ادم صلى الله عليه وسلم او تقولون حرمه بعد ما ان حلله وعليه **فهو** اي نكاحها
الزناء موجب للرجم ومد الزنا لغة فان قالوا حرمها بعد ان احلها فهذا صريح
في النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها ولم يحلها فهو عناد محض وقابله لا
يخاطب ولا يكالم واذ قد بان لك قبح جهلهم وتناقضهم وعنادهم
فامسك عن حجاجهم **قال** رضي الله عنه

لا

لا تكذب ان اليهود وقد زاغوا عن الحق معشر لوماء ٢٤٥

ولا تكذب ان اليهود والحال انهم **قد زاغوا** اي مالوا **عن الحق** من وجوه
عديده سفهاء وحسدا **معشر** اي قوم **لوماء** جمع لئيم وهو الدني الاصل
الشحيح النفس **قال** رضي الله عنه

مجدوا المصطفى وامن بالطاغوت قوم هم عنده شرفاء ٢٤٦

مجدوا بدل من زاغوا **المصطفى** اي المختار من الصفوة او المصطفى من
كل نفس اي انكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بهما علما يقينا قال تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم **و** الحال انه قد **امن بالطاغوت** اي
الشيطان وكل ما عبد من دون الله او صد عن عبادته مقلوب من الطغيان
قوم هم به **عنده شرفاء** هذا كالذي بعده بيان لعظيم لومهم وزيغهم
عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا من امن بالباطل
ومدحهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المومن
بالطاغوت فرقه من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم كما يصرح به قوله
تعالى عن قايلا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم
اليهود يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اي عن
اشراكهم او كفار العرب هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وعجيب من
الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالاية مع انها انما
تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من قريش
هم شرفا ومعنى الاية حينيذ ويقولون اي اليهود للذين كفروا من كفار
مكة الذين امنوا بالجبت هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويدل على هذا
ان حيي ابن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله
عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سالوهم انحن خير دينا من محمد قالوا نعم
ففرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم **تنبيه** جعل الواو للحال

لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الاتي اولى من قول الشارح انها
عاطفه وان الموغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده اي لما قرنه فيه
ان مدحهم للمومنين بالطاغوت مع كفرهم لنبينا صلى الله عليه وسلم
فيه غاية العناوة واللوم واحوجه الى ذلك الموغ فهم شرط قبول الجملة
على الاخري ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر
وقد يقال في النظم دلاله لما فعله الشارح لانه اتي باربع جمل ثنتين بلا
واو وثنتين بواو ونظر المناسبة المعتبر في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت
مع كفرهم ينبو بنينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم
العجل مع قتلهم الانبيا عليهم الصلوة والسلام واما قتلوا مع ما قبله
فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قال

٢٤٧ **قتلوا الانبياء واتخذوا العجل الا انهم هم السفهاء**

قتلوا بدل بعد بدل او عطف بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما
قبله **الانبياء** كزكرياء ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين
نبيا ثم اقاموا سوق فعلهم ومعاشهم **واتخذوا العجل** الها ومعبودا مع ان
الساري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاروه من القبط
فرقهم والقى فيه قبضة من تراب اخذه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام
الذي جاء به لفرعون حين دخل وراهم البحر لما انفرق لهم لانه كان انجم
عن دخوله فجرد ان القى فيه تلك القبضة خوفقا لهم هذا الهكم
واله موسى فراح على عمق لهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما
قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القران العزيز ومن ثم كان في كلامه اقتباس
بقوله **الا** حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في القاء سمعه لما
بعدها **انهم السفهاء** ..... ولكن لا يشعرون لجهلهم مركب فلا اسفه ولا اغبى
منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش

وسخافة راي وانظماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرهم
من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى
انواع سفههم بقوله ملحا ما وقع لهم قال

٢٤٨ **وسفينه من ساه المن والسلوي وارضاه الفوم والفثاء**

وسفينه خبر مقدم او مبتدا وسوغ الابتدا به وقوعه بيانا لما قبله كما
تقرر **من ساءه** اي احزنه **المن** وهو نوع من الحلوي كان ينزل عليهم
وهم في التيه في غاية الاضطرار **والسلوي** وهو السماني طير من
اشهي الطيور لحما وانفعها واطيبها غذاء كان ياتيهم الى محالهم فرقا عبدوا
ايديهم اليه وياخذوا منه ما شاءوا **وارضاه الفوم** اي الثوم كما قري به
وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى
والفثاء بل سالوا فيهما وفي نظايرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر
انه انزل عليهم المن والسلوي واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ففي كلامه اقتباس
وطباق بين ساه وارضاه ومراعاة النظير في المن والسلوي والفوم والفثاء

٢٤٩ **مليت بالخبيث منهم بطون فهي نار طباقها الامعاء**

مليت بالخبيث وهو ما سالوا من الفوم وما معه **منهم** صفة تقدمت
فصارت حالا **فلوبا** لبناسب من انطوت عليه من الغل والحسد والعناوة
والسفاهة والمراد مليت بطونهم بالداء الخبيث اي العضال الذي لا دواء له
وهو الغل وما بعده والى هذا يرشد ما رتبه عليه بقوله **فهي نار** اي
مشتملة على ما يودي الى النار او سماها نارا باعتبار المآل كما في اراني اعصر
خمرا **طباقها** اي النار **الامعاء** اي المصارين اي معا فوقه نار ثم معا فوقه
نار وهكذا والى الاول يرشد قوله مليت بالخبيث المشعر بان بطونهم

صارت بها كنار ذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها اعلاها هم اذا لجنيت
الذي ملبت به نخوا لربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها
فوق بعض وايضا الجنيث بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض
لتفاوت عذابهم بالنسبة الى اكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا في
الاصول انهم مخاطبون بفروع الشريعة يعاقبون عليها خصوصا في الاخرة
وعلى مقابله هم كفروا من وجه بعضها اشد من بعض قال

٢٥٠ لو اريدوا في حال سبت بخير كان سبتا لديهم الاربعاء

لو شرطيه اريدوا في حال سبت مصدر سبت اليهود اي عظموا سبتهم
بالسكون فيه عما عدا العباءة واصل السبت القطع بخير الباء زايدة للتاكيد
كما هو راي جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا على الثاني مفعول ويصح
كون الاول حالا من خير اي لو اراد الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض عليهم
تعظيمه خيرا كان سبتا لديهم اي عندهم الاربعاء هذا من حيث ترتبه
على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو في غاية الاشكال ولم ينبه الشارح
على ذلك اولم يتنبه وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت اخر
الاسبوع والاربعاء رابعه وقبل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال
كان الناظم نظر الى السبت القطع كما مر والى ان الاربعاء محل النور الحسي
لما يانى ان الله خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوي الذي هو الوصل
فكانه يقول لو اراد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا يانى في ذلك قوله هو يوم
مبارك لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما
نحن فيه باعتبار انه لو اراد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم موذنا بوصوله الذي
من شانه ان ينشا عن العبادة واما اذا جعل محل عبادتهم موذنا بقطعهم
باعتبار اصل مدلوله فهذا مما يودن بنقصهم وانهم لا يريد بهم تمام الخير
ومما يوضح هذا ان الله تعالى اذا خر هذه الامة يوم الجمعة الموذن بغايه

الوصل

الوصل الذي مقام الجمعية هو مقام الوصل الذي هو اكمل المقامات واعلاها
وجعل لليهود السبت الموذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد الموذن
بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان بما خصت به كل
امة من الايام دليلا على احوالها وما يوول اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على
هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة في مدح هذه الامة
وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام
كلها سبتا عندهم ليحيوها جميعا بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة
دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا
مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبت شانه ويكون ذكر الاربعاء
للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الى اخره رجوعا الى مدح ما شرع
لهم ولا ياتي ما قبله لان تركه لا ثاني ان تعطلهم عن العبادة بقية
الاسبوع غير خير واعلم ان قول الشارح والسبت الى اخره عجيب اذ ما حكاه بقيد
هو الذي صحح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها
ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في روضه لم
لم يقل ان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرحه بخبر مسلم
عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق
الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة
من النهار فيما بين العصر الى الليل وهذا الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي
وابن عساكر ان اوله السبت وجري النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله
الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب بانه جري
في توجيه التسمية المكتفى فيه باذني مناسبة على القول الضعيف نعم

انتصران يكون اوله الاحد الذي جزم به الغفال من اصحابنا بان الخبر
السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن
اشبته على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان حفظ الرفع حجة على
من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه مجردا لظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما
قاله اولئك واعتمد الرفع وخرج طريقه في صحيحه فوجب قبولها
ومنهم انتصار ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون
اوله الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح
بتقدير ان يوم الجمعة داخل في السبت التي فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى
الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعة
ولم يثبت انه خلق اخر الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة واخرها
الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها استانة لكونها خلقت لمصالحه كبنيه
وخبرهم المذكور ظاهر في ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله هدى
ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما اعتقدوا ان اول
الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى
لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا
ان اوله السبت فاخذوا السابع وهو الجمعة وللحجة في اشتقاق نحو الاحد
من الواحد وهكذا الاثنين التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل
اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في القرآن
الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء العدد اسمي على ان هذه التسمية
لو ثبتت لم تكن كبيرة ليل للمغرب تسمى خامس الورد اوراد وهكذا وهذا
هو الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كان ان يتفرد به
ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا قال

هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء ٢٥١

هو

هو اي يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتداء فيه خلق هذا العالم
كما مر خلافا لما زعمته اليهود انه ابتداءه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة
واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح كما استراح الرب فيه وهذا من جملة
غباواتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا
من لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من
حادث مفتقر للغير في الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما امره للشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان نوجده فورا فلا تخلف عن الارادة
فتول كن كناية عن ذلك قيل بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم انه
قول ضعيف للتصريف اي للتصرف فيه ببيع ونحو من اليهود اعتداء
اي ظلم وعدوان كان سببا لمسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما
امروا ان يجردوا للعبادة اهتدى فيه ناس منهم في زمن داود صلى الله عليه
وسلم اثنى عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله
بان الهم السمك يوم السبت انه ما يبقى حوت في البحر الا ورفع خرطومه او خرج
فاذا مضى السبت تفرق السمك وتفرق اي جماعة منهم على حيله يمسكون
بها السمك ويمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب
البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصادت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه
يوم الاحد فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسألوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا
ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا
قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حايطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث
الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان الاية فيهم محتملة ومن
ثم قال ابن عباس لا ادري ما فعل بالكنة بخاها ام مسخها فذلك قال
مالك في هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرايع انتهى ويرد بان المقدر في
الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه

بالدليل هو شرعنا لا غير قال رحمه الله

٢٥٢ فبكفرهم وظلم عدتهم طيبات في تركهن ابتلاه

فبظلم متعلق بعدتهم منهم وهو وضع الشيء في غير محله كخيانتهم في السبت واكلهم الربا واخذهم اموال الناس بالباطل وكفرهم من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به عدتهم اي فاتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت الايه ومن شان الله يوجد في تركهن الذي تحتم الامر به ابتلاه اي اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه او هلاكه قال

٢٥٣ خدعوا بالمنافقين وهل ينيق الا على السفيه الشقاء

خدعوا اي اليهود المدينة وما قرب منها بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس والخزرج الذي قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقايهم على كفرهم باطنا وكان هولاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يفتنون على النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها على احوال المنافقين الذين هم معهم باطنا ومعنى كونهم خدعوا بهم انه اريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال وهل ينيق الا على السفيه الشقاء وما ينفع الشقاء الاعلى السفها وهم اليهود لا غير شبه الشقا الحاصل لهم بدرا لهم تصرف وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو النفاق تخييلا ورشح او جرد تذكير السفه الملايم للمشبه والمشبه به قال

٢٥٤ واطمانوا ايقول الاحزاب لاخوانهم انا لكم اولياء

واطمانوا في زعمهم مما كانوا يرونه من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب قول

الاحزاب اي طوايف اهل مكة ومن تم كان معهم من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد واقعة احد لاخوانهم في الكفر لهم انا لكم اولياء اي متولون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي ابن اخطب اتاهم عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان وغطفان ومن معهم اهل نجد وقايدها عيينة ابن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف واليهود قاطعون بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليهم وسلم اشار سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما وصل العدو اليهم خرج اليهم في ثلاثة الاف فكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو الاشهر لا قتال سوى الاالرمي بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شيت فامره ان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعه فذهب الى بني قريظه وكان نديمهم في الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معاونة الاان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا على ذلك وارسلوا لمحمد بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم والخل عزمهم فخذلهم الله وارسل عليهم الريح في ليال شديدة البرد فكفات قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخاذلهم وما هم فيه فقال لحذيفة ابن اليمان اذهب فانظر ما يفعل القوم ولا تحدثن شيئا حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت يدي من يجنبي فقلت من انت فقال فلان ابن فلان ثم قال ابو سفين يا معشر قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظه

ثم امرهم بالرحيل وارتحل ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تحدث شيأ
لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح صلى
الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم
تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل معتجرا بعمامة من استبرق
على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري انه لما وضع السلاح
اغتسل فاتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم
اي بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك
فوالله لاد قنهم دق البيض على الصفا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا
ياخيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة الاف مقاتل وستة وثلاثين
فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة اربعة عشر وقذف في قلوبهم الرعب
فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في
كتابهم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم امنونا فانزلوا عليهم فلعلكم تصيبون
منهم فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لا نحدث فيه من قبلنا الا من علمت
فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى
الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد ابن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم ان تقتل رجالهم
وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم
بحكم الله الذي حكم به فامر صلى الله عليه وسلم فادخلوا المدينة وحفر لهم
اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا فضربت
اعناقهم وكانوا ما بين ستمايه الى سبعمايه ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا
اربعمايه مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقدر علم ان الاحزاب

٢٥٥ **حالفوهم وخالفوهم ولم ادر لما ذا تخالف الحلفاء**

حالفوهم اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم

حتى

حتى قتلهم عن اخرهم **ولم ادر لما ذا تخالف الحلفاء** اراد بيعني
الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء السامع على البحث عن سبب
ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم
واستيصال شافتهم **تنبيه** تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم
مساق غيره وهو سوال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب والانكار والتوبيخ
كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى **قال**

اسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء ٢٥٦

اسلموهم اي المنافقون عبد الله ابن ابي واصحابه اليهود المسمين ببني
النضير **لاول الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اي في اول حشرهم واجلائهم
من جزيرة العرب الى الشام او من محالهم الى محل اخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم
قتل نظير ذلك او في اول حشره الى القتال لما ياتي في قصتهم انهم عزموا على
القتال فخذلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء من لم يجبر
من هولاء ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها فتحت
بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم بها عند
قيام الساعة لانها ارض المحشر **لا ميعادهم** اي المنافقين لليهود انهم
ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سولوا لهم قتالهم
وانهم يعينوهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلاء** اي الحلف منهم لهم صادق ايضا

٢٥٧ **سكن الرعب والخراب قلوبا وسوتا منهم نعاها الخلاء**

سكن الرعب اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم
وظن ظفره عليهم **والخراب** الاتي لديارهم **قلوبا** من اليهود المحصورين

وغيرهم من اهل خيبر واهلها وهذا راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني
فقيه لف ونشر مرتب نفاها اي اضرابات البيوت بموت اهلها المعنوي
من نفاه له نفوا ونفيا ونفيانا اخرج بموته الحلاء اي خروجهم من ديارهم
شبههم في كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان نحر
بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر النحر الملايم للمشبه به استعارة تخييلية
وعجيب من الناصح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته وبهذا من الاستعارتين
المذكورتين بل فيهما استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت
وظاهر النظم ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله
السابق واطانوا الي الخ وهو ما اوهمه كلام بعض السير لكنه مردود بان
بني قريظة الذين هم ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب
ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم
فانه كان من رؤسهم حيي ابن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر
وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا
وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم
خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة
ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان
يصعد واحد ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنماهم بعضهم وقال والله لتجدن
بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبره
صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه لقضاء حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع سريعا
الى المدينة يطلبه فلحقه الخبر هم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية فامر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم
والمسير اليهم فساروا وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل
وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء نزل ما قطعتم من

لينة

لينة الآية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس
بعض المسلمين والبر في ففي الآية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا
ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها
تغذو احسن غذاء والبر في ايضا لذلك وكان رهط من عوف ابن الخزرج
منهم ابن لبي ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وامنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم
قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم
وفي رواية ابن سعد انهم لما هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا
من بلدي وقد اجلتكم عشرا فمن رأى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في
التجهيز فارسل اليهم ابن ابي بانهم يمتنعون وعديدهم عن نصرهم فارسلوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون
تكبيره فسار اليهم وعلي يحمل رايته فلما رآه قاموا على حصونهم يرمون
بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال
لهم اخرجوا ولكم دماكم وما حملت الابل الا الدرع فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون
بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على سماية بعير ولكون
القاهر مجرد الرعب كان ما بقي من اموالهم له صلى الله عليه وسلم
يقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار قال

٢٥٨ ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار منه وضلت الاراء

وخذعوا ايضا بنو قريظة منهم بيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار
منه وضلت الاراء وذلك ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حوالي المدينة
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع
والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي ابن اخطب حتى اتى كعب
القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه

وقال له انك امرؤ مشئوم واني عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني
وبينه فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال ويلك افرح ولم يزل به حتى
فرح فقال يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال
ومن ورائه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا
ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبري مما كان بينه وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم
ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وبخ النفاق في بعض المنافقين وانزل
الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الايات وقال رجال
ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم دفع ما مر من ان الله تعالى
خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وللمسلمين واهلك بني قريظة عن اخرهم كما مر وبما تقرر علم ان بيت
الناظم في هذا البيت والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة قال

٢٥٩ وتعدوا الى النبي حدودا كان فيها عليهم العدواء

وتعدوا ظاهر سياقه ان الضمير للنصاري واليهود والمنافقين ويحوز اطلاق
الكثرة الشامل للكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا وتناحيتي وصل ايذاؤهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حدها الله لهم ومنعهم من تجاوزها فلم
يتقوا عندها فلذلك كان فيها اي تجاوزهم عليهم احد الطرفين حال والاخر
خبر العدواء اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا
تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وبين
تعدوا والعدوا جناس لفظي الاشتقاق وشبهه بين نهتهم وانتهت والبدي
والبداء والخيل والخيلاء اكدي وكدا وعفى وعفوا وسواه وسوا
وابجمت والمجون واحلم والحليم الابيات قال

٢٦٠ ونهاتهم وما انتهت عنه قوم فابيد الامار والنهاء

ونهتهم اي اولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من
مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه قايلين لهم اي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حقا وما انهمت عنه اي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه
قوم بل استمروا على ما عليه من ايذايه والامر به فبسبب ذلك ابيد اي
اهلك الامار منهم بايذايه والنهاء عن اتباعه لبقا كل من الفريقين
على ضلاله ومران عتبة بن ربيعة لما استد ايذاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقراء عليه فصلت فرجع الى قومه
ومدح القران وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم ان القران
ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه
ليكون لقوله بناء فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقالوا افعلوا ما بدا
لكم فلم يزدهم الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر
شركا وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهتهم وما انهمت وكالغدير
والعفا والقطع والوصل والتقريب والاقصا والملام والاطراء والتباين والتوافق

٢٦١ وتعاطوا في احمد منكر القول ونطق الارذل العوراء

وتعاطوا في احمد نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم
به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه
الحافظ العسقلاني منكر القول اي القول المنكر اي الذي ينكر سامعه
بل التلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل عليه انما هو محض العناد
والحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا
في بيان اعجاز القران وطاف صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعثمان رضي الله
عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة ابن ابي معيط وامية ابن خلف اسمعوه
بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل لعنه الله الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم
فدفعه عثمان ودفع ابو بكر امية والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال

والله لاتنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا اخذته رعدة وجعل
صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم انتم لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا
فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان الذين تزدرون مما يذبح
الله بايديكم عاجلا قال عثمان فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ابداء
المنافقين قولهم يوم الخندق يحمد يعدنا صحابه ان ينفتح كنوز قيصر وكسري
واحدنا اليوم لايامن على نفسه ان يذهب الى الغايط وقد حقق الله تعالى
ماقاله لنبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسري وقيصر
في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ماقبلها جارية
مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لان المأتي به لمجرد المبالغة والتاكيد
لاتكميلا لانه المأتي به لدفع الإبهام نعم في ذلك اضطراب بين اهل البديع
فقال **ونطق** اي منطوق **الارذل** اي الاسفال الاخسا الذين لامروة لهم
ولاعقل الكلمة **العوراء** اي القبيحة الساقطة اي شأنهم النطق
بالفحش وهو لا لذلك كيف **قال** رحمه الله

٢٦٢ **كل رجس يزدن الخلق السوء سفاها والملة العوجاء**

كل رجس اي قذر وغضب قام بهم **يزدن** ماجبلوا عليه وهو **الخلق السوء**
بفتح السين وضمها اي القبيح **سفاها** بفتح السين من سفه بالضم سفاها
وسفاهة ومصدر المكسور سفها، وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه
و يزدنه سفاهة ايضا وبعدا عن الخير **الملة** اي الشريعة سميت بذلك
لانها تملى وتكتب **العوجاء** اي الباطلة بتشبيهها بطريق عوجاء للتهدي
سالكها الى مطلوبه بل بتن ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها
العوج تخييلا واوليك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك
بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم **قال**

٢٦٣ **فانظروا كيف كان عاقبة القوم وماسان للهدي المبداء**

ف

بسبب ازديادهم من السفاهة والجهل **انظروا** ايها العقلا **كيف** هي
وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا واما قول الشارح كيف في موضع
المفعول الثاني وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا
محوج لذلك كما عرف مما قررته **كان** تامة **عاقبة** ايجال ومصير **القوم**
المعروفين بما ذكر وهي جزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساوا
السوءا الايه ففيه اقتباس **و انظروا ما** هو بصلته سد مسد المفعولين
ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبن اعرابه مع احتمال وجه اخر فيه غير ماذكر
لكن ماذكرته اولى كما هو واضح **سان للهدي** اللسان كهولاء **البداء** بالمعجمة
اي بذاوهم اي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه
تشبيه الهدي بدابة مسوقة والبذا بسايقها وهما استعارتان مكنيتان
واثبات السوق للبذا على جهة لولة وافعاله تخييل **قال**

٢٦٤ **وجد السب فيه سما ولم يرد اذ المبم في مواضع باء**

وجد البذي السب اي الشتم **فيه** اي النبي صلى الله عليه وسلم
سما اي مهلكا وبين السب والسم الجناس المضارع **ولم يرد** البذي اي
سبه عين السم القاتل لوقته لفظا **اذ المبم في مواضع** حال من الخبر وهو
باء كقولهم في بيدميد وهي لغة مازن قال المازني دخلت على الخليفة
الواثق فقال لمن الرجل فقلت من بني مازن قال باسمك يوديما اسمك
وهي لغة قومي يبدلون الميم باءً ثم قال لي اجلس فاطبئن يريد فاطمين
وقال ابن جني في سر الصناعة اخبرنا ابو علي باسناده الى الاصمعي قال
كان ابو سوار الغنوي يقول باسبك يوديما اسمك فهذا الباء بدل من
الميم انتهى ومعنى لانه اهلكم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك
السم في الدنيا وله ادوية تنجيه واهلاك السب في الدنيا والاخرة ولا دواء له

٢٦٥ **كان من فيه قتله بيديه فهو في سوء فعله المتباء**

كان من اجل ما صدر من فيه اي فم البدي حال من الضمير المستقر في الخبر
وهو بيد به قتله لنفسه بيديه وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل
غيره فسبب ذلك هو البدي القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف بما وقع
منه سوء فعله بنفسه المراة المشهورة بالملك الظاهر في العرب التي هي الزباء
بفتح الزاي وتشديد الموحدة اي بسببها فانها تناولت خاتما مسموما فنصته
حتى قتلت نفسها قالت بيدي لا بيد عمرو كان قتلها لنفسها سبب ما تناولته
بعثها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا
من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهي طويلة ذكرها الاخباريون وابن
هشام وابن الجوزي وغيرهم ان جذيمة ابن عامر التنوخي وقيل الازدي وهو
اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع واوقدت بين يديه واول من
اجتمع له الملك بارض العراق من قبل ازدشير وكان ابرص فكتموا عن ذلك
بالابرش والوضاح قيل كان لا يأنف بالابرص لان في العرب من يعير بذلك وكانت
له اخت اجمها تدعى عدي بن مضر الايادي فوافقها ان يتزوجها منه اذا غلب السكر
عليه فسالها حينئذ في ذلك فاتاها واتهد عليه ودخل بها فلما اصبح تغيب
عدي فلم يعرف له اثر فولدت له ولدا سمي عمرا فاحبه جذيمة واحتظته الجن
ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان ابو الزباء سميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجلها
ويحبها وبها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل
بعثة عيسى صلى الله عليه وسلم وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت
من جذيمة ملك ابيها وابنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة
نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع في ملكها فارسل اليها فاظهرت
غاية الفرح وارسلت له بهدية سنية فاستشار في السير اليها فبالغ قصيرين
سعد في منعه وفي ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها
اعاد الاستعان فاعاد قصير ما به فلم يصغ اليه وكانت امرت لمكرها اذا وصل اليها

يحيطوا ويمنعوا ممن معه ففعلوا وقصير معه فلما راى ذلك ركب فرس
جذيمة التي تسبق الريح وفرها ثم ادخل جذيمة عليها ليس معها الا جواري
وكانت ربت شعرها نتها حولا فكشفتها له وقالت امتاع عروس ترى فقال
بل متاع امة بظرا ثم قالت خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن فاجلسنه على
النطع ففعلوا ثم امرتهن بنصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فترف
دمه الى ان قضى فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبر الخبر وامره
ان ياخذ بثار منها فافهمه ان لا قدرة له عليها فقال له اجذع انفي وادني
واضرب ظهري حتى يوتر بي ففعل به ذلك وقيل ابى ففعل قصير بنفسه
ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت منزله
ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا ودخائر فسفر بيني لاتي به ففعلت فرجع
اليها باموالها اليه ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى
فان دادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت
الفرات يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الاخر ثم خرج ثالثا
فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعولت عليه في امورها فاظهرت
له انها تريد غزوا وانه يذهب يأتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لي في بلاد
عمرو الف بعير وخزانة سلاح فاعطيته ما اراد من المال وقالت الملك بحسن
لملك فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال عمرو مر بما شيت فقال
الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير
اثنان في غرارتين سودا وبين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح
وكان يكمن بالنهار ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت وقالت

• ما الجمال مشيها وئيدا • اجندلا يحملن ام حديدا •
• ام الرجال جيئا وقعودا • ام الرجال في الغرار سودا •

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب جوالقا بخصر بيده فضرط من اصابته

فاراد الصياح فضربه فصرعه فقتله ثم حلت الجواليق فخرج الرجال
ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الربا فلما راته مصت خاتما في يدها مسموما
وقالت بيدي لا بيد عمر فماتت وقيل ان عمرو اقتلها بسيفه ولحق بي على بلاد

٢٦٦ او هو النخل قرصها بجلب الحتف اليها وما له انكاء

او هو في سوء فعله النخل اي شبهه ثم بين وحاشته فقال قرصها
اي لسعها العيزها بجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها وما نافيه
له انكاء اي قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تاثير قوي في الملسوع فكل منهما قتل
نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما مما كان سببا لهلاكهما

٢٦٧ صرعت قومه حبايل مكر مدها المكر منهم والدهاء

صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يومنوا اي القتهم
قتلى بين يديه حبايل جمع حباله وهي التي يصاد بها وناصبها النبي الحبايل
يعني عليه صلى الله عليه وسلم مدها اي تلك الحبايل اليه المكر حال كونه
منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه والدهاء هو بالكسر كالدهر جودة
الراي وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه
صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصرعة بين يدي الصياد ومن
حيث تشبيه البغي بشبكة الصياد من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصايد بما يتضمنه
نسبة المدا اليهما او بحبال الشبكة التي يمدها الصايد حتى يقع فيها الصيد
وتخييليه باثبات المدا للازم للمشبه به وترشيحه بذكر الصرع اللايق بالمشبه
وبما تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم
بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر
الحبايل المد وجرد بذكر الصرع الملايم للبغي والثانية تشبيه المكر والدهاء
بالصايد على ما مر باثبات المد ورشح بذكر الحبايل وجرد بذكر الصرع هنا
ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر في كون المشبه به الواحد تخييلا ام

ترشيحا

او تشريحيا او تجريدا للكل اعتبار الكل على حدتها بما بنا سببها قال

٢٦٨ فانهم خيل الى الحرب تختال والخيل في الوغا خيلاء

فسبب مكرهم ودهاهم انتهم من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب
عود تلك الحبايل اليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله فلا يمكرون به مكرا
ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا لحزبه وحاولوا
اخفاء امره بدد الله جمعهم وقتل سادتهم واظهره عليهم وهو الذي ايدك
بنصره وبالمومنين فمن ذلك انهم انتهم خيل الى الحرب تختال اي تتبختر
بها راكبوها بتها وعجبا والخيل المفابس وعليها الشجعان في الوغى اي
الحرب متعلق بقوله خيلاء اي كبر وترفع عن الوقوع في وهدة
او الاصطدام بنحو نجر وهذا تذييل قال

٢٦٩ فصدت فيهم القنا فقوافي الطعن منها ماستانها الايطاء

فصدت فيهم اي في ابدانهم القنا اي الرماح جمع قناة وفي الاستعارة
المنهون في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض ولانيا في ذلك عد
كثيرون له من انواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه
وهو الارادة التي هي من صفات الحي لان ذلك مبني على تشبيه مثله للوقوع
بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز
بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هي مجاز لغوي او عقلي والاصح
الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا اعم منهما فاسد في رايت اسدا
يرمي موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجري فسبب قصدهم لهم
كانت قوافي الطعن اي الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حال
كون ذلك الطعن منها اي تلك الرماح ماستانها اي عابها وفي نسخ شانه
اي الطعن الايطاء وهو تكرير القافية للمتحد لفظا ومعنى قيل عدد
مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تتنز

الثالثة شيأ لم تزن المثلوه وهو معيب في المشبه به لانه بدل على عي الشاعر
وتقصيره والمشبه لانه بدل على قصر ساعد النجاع وعدم تمكنه وتحزبن وهذا
الحمل الاولي مما يكلفه الشارح كما يعلم بتامله نعم قوله ولكثرت ما عملت
بماجهم في اجاد عدوهم تاتي الطعنة الثانية مكان الاولي حتى كانها
واحدة لسرعة الطعن بقرب حمله قال رحم الله

٢٧٠ واثارت بارض مكه نقعا ظن ان العدو منها عشاءُ

واثارت اي رفعت تلك الخيل لما ركضت في مرامه الحرب بارض العدو
في الاقطار الحجازية وغيرها حتى بي مكة في غزوة الفتح لما زحمت قرب
دخولها نقعا اي غبارا اظلم الجو حتى ظن ان العدو اي وقته وهو ما
بين صلوة الغداة وطلوع الشمس منهما اي من اجل تلك الخيول التي اثارت
ذلك النقع اومن اجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار الذي اثارها تلك الخيول
عشاءُ اي وقتها وهو اذا غاب الشفق الاحمر وفضية كلام الشارح بل صريحه
ان المراد العشا بفتح العين وفيه انه ما بين المغرب والعتمه وفيه نظر
وما ذكرته اولي واسلم مما تكلفه في قوله واثارت نقعا تلمح الي قوله تعالي
في سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصة شي من هذه الغزوة التي حصل
بها ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالي اعز به دينه
ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبنيه واستبشر به اهل السما وضربت
اطناب عز علي مناكب الحونا ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به
وجه الدهر ضياءً وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبيه انه صلى الله عليه
وسلم لا يعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يعترضون لمن دخل في عقده وكان
ممن دخل في عقدهم خزاعه وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض
بني بكر وبيت خزاعه فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج اربعون من خزاعة
اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم

وهو

وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم مما انصر به نفسي ولما احس ابو
سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد المدة فابي صلى الله
عليه وسلم عليه فرجع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف
ولحقه الف للبلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية
والرايات ودفعها الي القبايل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة
الاف فاوقدوا فلما هم ابو سفيان ارسله قريش لياخذ لهم امانا فعلم بمجيئهم
صلى الله عليه وسلم اليهم فاذا راي تلك النيران لهدء امرها فادركه الحرس
فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهدد فسال العباس
النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا في قومه فقال من دخل دار ابي سفيان
فهو امن وقال للعباس اجلسه عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية
احبسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فحبسه فمرت به القبايل كتيبه
كتيبه وهو يسال عن كل فيبينها له العباس فيقول مالي ولها ولما مرت كتيبة
الانصار وصاحب رايتها سعد ابن عباد قال له سعد يا ابا سفيان اليوم
يوم الملحمه اي الحرب اليوم يستحل الحرمه او الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فامر علي لسان علي كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس واخبر
ابا سفيان انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم يوم الرحمة وان الله يعز قريشا
وخشي سعد ان ابنه يفع منه شي ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فدفعها للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة والمهاجرين مع الزبير
ايضا بفتحه ومعه المهاجرون وخيلهم واس ان يدخل من اعلا مكة وان يغرز
رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكر موسى بن عقبة وغيره وقول
الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كدا بالضم تصحيف وصوابه
من كدا بالفتح والمد وقوله وامر سعد ابن عباد ان يدخل في بعض
الناس من كدا بالفتح لم ار في الروايات المعتمده ما يشهد له وانما الذي صح انه

صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها وروايه عكس ذلك
ضعيفه لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ من الروايه الاتيه عن مسلم وايت
خبر بانه ليس فيها نص بكدا ولا كدا وبعث خالد ابن الوليد فى قبايل ليدخل
من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد ابن عباده فى كتيبه
الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان
يقاتلوا وما دخل خالد من اسفل مكه قوتل فقاتلهم حتى اوخلهم للسجد من الخزورة
ثم كف وما قال له صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما
استطعت فقال قضاء الله خير وصح فى مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم
بعث على احد المجنبتين خالد ابن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا
عبيدة على الدبن بغير سلاح فقال يا اباهريرة اهتف بالانصار فهتف بهم فجاوا
فاطافوا به فقال الهم ترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه
على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابوهريرة فانطلقنا
فما نشا ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابوسفيان فقال يا رسول الله انخت
خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو امن
من هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم
لم ينص الا على ادباتهم الذين من شانهم الجهل والمبادرة بالقتال فى غير محله
وهذا القول من اغلق بابه فهو امن ظاهر فى ان الكلام انما هو فى من
قاتل الموافق الروايات الاخر المفيدة بذلك وهذا يقوي ما ذهب اليه
امامنا الشافعي رضي الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية الثامين الذي وقع
منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابي سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد
ولم يقع قتال من جهة اعلا مكه التي دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بما
لا يجوز هما على ان القتال الذي فى غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما
تقرر فى القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون

وهو

وهو كدا بالفتح وكان معهم فى كتيبته الخضراء الكثير ما معهم من السلاح
على ناقته القصوي بين ابي بكر واسيد ابن حضير وفيها المهاجرون والانصار
لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فراى ابوسفيان ما لا قبل له به فقال
للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك
ولكنها نبوة قال نعم وامر بقيه اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا
بالضم والقصر ولذا قال نفعه الله برحمته
احجمت دونه الحجون وكدي عند عطايه القليل كداه
احجمت اي كففت وامسكت دونه اي عند ذلك النفع الذي حصل بمكة
لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح
الداخلون من اعلاها واسفلها الحجون بفتح الحا وهو الجبل المطل على
مقبرة مكه المسماه بالمعلاة وذلك هو كدا بالفتح والمراي الفرقه التي كانت
بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيا كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة
فامسك عن محاكاة ما بمكه وكدي اصله قله الخير والمراد قلة التراب
عند حال من كدا اعطايه اي كدا المقدمه دبته والمصدر مضاف للمفعول
وفاعل الاعطا النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس مفعول المصدر
الثاني كدأ بضم الكاف والمداغة قليله فيه اي وقل غبار كدا الذي
هو اسفل مكة لان الفرقه الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه
وسلم له كانوا قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى
ملا يمامع كونه اوهم ضبط كدا هنا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون
السابق فى الشطر الاول وقرب منه كما يصرح به كلام ائمتنا فى المناسك وغيرها
فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث
التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعاره من حيث الاجمام والمنع اللذين هما
من صفات الحي الى غيره على حد حدار يريدان ينقض كما مر بيانه انفا لكنه ركيك

معنى اذ لا محاصل له لان من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفريقين الدخلين
من اعلا واسفل وان ما من مجموع هما اكثر من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير
جدوى **قلت** بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفايه وهو ان دخوله
صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الجون والبقية من كدا ووجه
اخذ من النظم والضح فانه خص اعطاء القليل بكدا فدل على انه والكثير من
دخلوا من الجون ويصح ان يراد نفس النفعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون
اجمعت معطوف على انارت بحذف حرف العطف فيهما ضمير هو الفاعل
يعود على الخيل وان الكدي مبني للمفعول والمقدير ان من قوة تلك الخيول
الهاء قهرتهم حتى اما كنهم فكفت الجون ومنعت كدا عن ان تنصر الاهلها
او تصور منهم ذلك لاسيما وخيل كدا كانت قليله ويصح بقاء الطعم على اعرابه
الاول وهو ان الجون فاعل وان كدى مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله
عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاءهم ساعدته عليهم والمقدير
ان الجون وكدى منعاهم ان يمدوا اعينهم اليه صلى الله عليه وسلم او الى احد
من عسكره وفي هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه
عند الفصحا وبين الجون وكدي جناس معنوي **قال**

ودهت اوجها بها وبيوتا مل منها الآلفاء والاقوا

ودهت اي اهلكت تلك الخيل والخياله **اوجها** من الناس بها اي بمكة
قالت كما مر في الرواية المرجحه بذلك المحمولة عليها الرواية للطلقه وكذا
جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذايه صلى الله عليه وسلم واظهار
هجوه فامر بقتلهم وان كانوا معلقين باستار الكعبة وعد منهم ست رجال
واربع نسوة **و اهلكت بيوتا** كان اهل مكة يرجعون الى اهلها **مل** اي
سيم **منها الآلفاء** وهو الشعر المخالف بين هجايه اخره كان يكون بعضها
ميما والاخر ياء وهنا الالف تلك الوجوه على الناس لعلها تحبها او

اوخبرها **والاقوا** اصله من قولهم منزل قواء اي لا انيس به وقوت الدار
وقوت اي خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف حركات الروي وبما
قررت به كلامه هنا وفيما قبله في قصدت فيهم القنا الى اخره يعلم انه استعار
القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر الابطال ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت
الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقوا والالفا الى الاستعارة الاولى
وبهما توريه ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقوا للبيوت باعتبار لمح بيوت
الشعر والالفا للوجوه لان الرؤس اذا وقعت انكفات الوجوه وتحولت واستعمل
الاقوا في الخلو من حيث بيت السكن وفي تغيير القافيه من حيث بيت الشعر
ولذلك الالفا من حيث تغير حركة الروي **قال**

ندعوا احلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء

فسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم عن اخرهم
دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم **احلم البريه** بالهمز في الاصل اي الخلق
اي طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا
اوصلوا اليه من الايذا الذي لا يحتمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو
قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما ياتي **والعفو** عمن سأله **جواب الحليم**
بالكسر اذا ترك الانتقام بحق **والاغضاء** اي ارخاء الجفون من الحيا وفي ذكر
الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير **قال** رضي الله عنه

ناشدوه القربى التي من قريش قطعتها الثران والنخاء

ناشدوه بدل من دعوا **القربى** اي حلفوا على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم
او القربى على حذف الجار اي حلفوه بالقرابة **التي** بينهم وبينه ان يعفو عنهم
التي وصلت به **من** سائر بطون **قريش** وهم ولد النضر بن كنانة احد
اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى **قطعتها الثران** بفوقيتين جمع ثن
وهي مصدر وتراي قتل له قتيل ولم يترك دمه **والنخاء** اي التباعض

والتحاسد الذي كان بينهم قال رضي الله
فعفى عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء ٢٧٥
ف بسبب تلك المناشدة عفى صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر لانه
كان يسهل عليه ايادنهم عن اخرهم لم ينغصه اي يكدر ذلك العفو ب سبب
ما مضى منهم صفه اغراء تقدمت عليه فصارت حالا اغرآء من اغريت
الكلب بالصيد اي حملته على اصطياده وهو فاعل ينغص اي لم يكدر عفوه
عنهم اغراءَ سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا في ايذائه
بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه
الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا في الناس
فحمد الله واثنى عليه وبحده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيمة لا يحل لامرئ
يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص
فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم
وانما احلت لي ساعة من نهار اي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم
كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغايب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل
فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اي من الاسر
والاسترقاق وفي رواية انه قال لهم اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة
منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره

واذا كان القطع والوصل لله تساوي التقريب والاقصاء ٢٧٦
واذا كان القطع والوصل لله كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم تساوي عند
فاعل ذلك التقريب الاقارب والبعدا والاقصاء اي الابعاد للاقارب والبعدا
ولم يميز باحدهما قريب ولا اجنبي لان النظر لرضى الله تعالى

وامتثال

وامتثال امره لا غير وهذا من القول البديع الجامع قال
وسواء عليه فيما اتاه من سوله الملام والاطراء ٢٧٧
وسواء بفتح السين والمد وكسرها والقصر وهو فيما معنى ستو ويستعمل
الاول بمعنى التمام ومنه سواء السابلين الى سواء الصراط والوسط ومنه
في سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم
وانما هي بمعنى وسطه عليه اي الذي تقريبه واقصاؤه لله لا لغير
ولجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن
يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدا فيما اتاه
من سواه كلاهما حال من المبتدا والخبر وهو الملام بالسب والتنقيص
والاطراء اي المبالغة في المدح حتى بغير الواقع اي سواء عليه اللوم والاطرا
حال كونهما مدرجين فيما اتاه الله من غيره خير وشر اي استوى عنده مدح
الغير وذمه لانه لين ناظرا الى نفسه وانما ينظر الى تشريف الحق في خلقه
بما اراد منهم تنبيه ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسويه بعد
سواء والعطف بالواو وهو ما درج عليه الفقهاء في كتبهم وهو لغة وان كانت
بخلاف الاثمر الشايع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح في الصحاح
تلك اللغة فقال تقول سواء علي قمت او قعدت وكذلك في القاموس
فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اي ذو استواء من استوى يا وتساويا
تماما لا وقد صرح سيبويه بالمسئلة اتم تصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال
كما في البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلابد من ام اسمين
او فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني باو
ويقول سواء علي قمت او قعدت وان كانا اسمين بلا الف عطف الثاني
بالواو او حملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول
ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراة ام لم تبدرهم

من السدود بمكان انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم قال

ولوان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعته وجفاء ٢٧٨

و من ثم لو مر فيها بحث اوصاف قربه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته ان انتقامه صلى الله عليه وسلم اي غضبه واستيفاء الذي صدر منه كان لهوى النفس الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله له لدامت قطيعته للرحم وجفاء اي ابعادها وكذلك لم يكن لذلك وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم عيز ناظر لما سبق منهم من فضل اصحابه لاسيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وليفدا

قام بالله في الامور فارضى الله منه تبا بين ووفاء ٢٧٩

وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا للهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفي نسخة بالله اي مستعينا به في الامور جميعها فسبب قيامه لله اوبه ارضى الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى اوحاز من فاعله وهو تبا بين لاعداء الله ووفاء لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى ربه وهذا كان فعله صلى الله عليه وسلم قال

فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء ٢٨٠

فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل لصدوره على متن قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال و لابدع في ذلك اذ هل اي ما ينضح اي يسيل مما فيه على ظاهر الا بما حواه عايد على متقدم الرتبة وهو الاناء اي لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلا اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلا اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعالي هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من الذيل ومنه قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ويصح ان يكون

من

من التتميم وفيه التلميح الى المثل السايروهو كل اناء بما فيه ينضح قال

اطرب السامعين ذكر علاه يا لراح مالت بها الندماء ٢٨١

اطرب السامعين اي اسرهم وافرحهم وانشطهم الى محبته واتباعه واستمال جميع ما برز من حضرته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك رونقة تنوق ورونق الراح يا حرف استغاثة لراح اي خمر مستغاث ولذا فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح ما دام سكرانا بها مالت اي سكرت وتواجدت بها اي الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهي مونثة وتذكيرها شاذ الندماء اي شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يتخاطبون عليها بالاشعار التي فيها مدحها وفيه استعارة تصريحيه واستعارة ترشيحيه لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندما واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالي الذي اطرب السامعين ذكر علاه هو قال

النبي الامي اعلم من اسند عنه الرواة والحكماء ٢٨٢

النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا المكتوب كانه على اصل ولادة امه او مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اي مكة وقيل غير ذلك ومع كونه لا يقرا ولا يكتب اطلعه الله على علم الاولين والاخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكم وخلق حسن وسايرا وصاف الكمال وبراه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرايع وعوارف المعارف ما لم يصل لسواه من مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الايات اعلم الخلق جميعا حيث من اي الانبيا والمرسلين الذين اسند اي روي عنه الرواة والحكماء اي العلما

الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا
من اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف
الى ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجره لانهما شرفا به على سائر الامكنة
والى ذكر زيارته وتاكدها والاشارة الى انها من افضل القربات والخ المساعي
وقد الفت فيه كتابا حافلا لم اسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها
وسميته الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وبينه ابلغ الرد والتضليل
لمن نازع في ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وثوابه في الدنيا والاخرة
فقال كاتبا عن منة الله تعالى عليه باستارته الى انه هيأ له اسباب تلك الزيارة
من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الاتية حتى كانها مخاطبة له
بزر على ظهري فاني احملك دهابا واياها مع السلامة من المغير والراحة من المتعب

٢٨٣ **وعدتني ازديار العام وجناء ومنت بوعدها الوجناء**

وعدتني ذكر الموعود في خبرها كما هنا يوجب اسرارها بين الخبر والمنشا وانما
يقع التمييز بالقرائن وحذفه بعينها للخبر وبعينها للمنشا **وعدا زديارة** اي النبي
صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء في نحو ذلك مطرد
وهو منصوب بنزع الخافض اي بزيارة **هذا العام وجناء** اي ناقة قوية من
الوجين وهي الارض الصلبة **ومنت** اي انعمت **بوعدها الوجناء** المذكورة
وهذا كما علم مما وطئت به اد لالة اية منه على بنيته للزيارة في تلك السنة واعداد
المركوب لها وهو اخبار عن لسان الحال ذلك المركوب وبما تقرر ان ال في
الوجنا للعهد الذكري اندفع بين وجنا والوجنا جناس والعجب منه انه صرح
مع ذلك بان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني

٢٨٤ **افلا انطوي لها في اقتضابه لنطوي ما بيننا الافلاء**

ا **فلا انطوي** اي اتمم نفسي على ملك
يليق بي ان اترك الزيارة والتباطئ عنها **فلا انطوي** اي اتمم نفسي على ملك
الوجنا التي منت علي بما ذكر **لها** اي لاجلها ليسهل سيرها فان حسن سير

المركوب

المركوب من حسن ركوب راكبه **في** حصول **اقتضابه** اي طلبي منها
لذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو اليا والها مفعوله فان اريدت
الاضافة اليها ايضا كانت الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها المتعرف
وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز اجتماع اله تعريف على
معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة من اسم الفاعل او المفعول
او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اقتران المضاف دون سائر المضافات
بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا
محذور اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهى نعم جرى لنا قول
ان اضافة المصدر الى مرفوعه او منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع في
النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتامله اما اذا لم تر الاضافة للها وانما اريد
بقاؤها وعلى نصبها ففيه ارتكاب ضرورة ايصال الضمير مع امكان انفصاله
لنطوي بالبنا للفاعل او للمفعول والاول ولي اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف
الثاني **ما** اي المسافة البعيدة التي **بيننا** اي بيني وبين ذلك القبر المكرم
على الحال به افضل الصلوة والسلام **الافلاء** جمع فلاة كما في القاموس وعبارته
والفلاة القفر والمفازة للماء بينهما قال والصحراء الواسعة جمعه فلى وفلوات
وفلى جمع جمعه افلاء انتهى وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر
الهمزة مصدرا اي المسير الى فلاه بعد احرزي ولا يلزم على بنائه للفاعل وان
الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان باعتبار بل وبالحقيقة اذ
النظر في تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفي الافلاء الى الامكنة المقفرة
ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوي ولنطوي جناس الاشتقاق
هو وشبهه بين مباركها والبركة وحادرتها والحورا وحنين وحنت
ونضت والانضاء والخلاص والخلاصا الانيات **قال**

٢٨٥ **ما لوف البطحاء يجفلها النيل وقد شف جوفها الاظماء**

وجناء الوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق ببطوي وكان
القياس بها الكن اظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحاء المعهودة
ذهنا وهي مكة وتوابعها واصل الابطح والبطحاء سيل متسع فيه دقاق الحصا
وهذا وما بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة في اقامة تلك
الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله لما تشبهها هذه من حاله
يجفلها اي يزعجها ويقلقها السيل اي ارض مصر عن الاقامه بها مع انها
وطنها ومرباها لشدة الشوق الى التملي بتلك الانوار والتنعم بتلك الاثار
وبين الالف والاجفال جناس الطبان و الحال انه قد شف اي سترب رطوبة
جوفها او اخل جوفها الاظماء اي شدة العطش في طريقها هي راضية بهذه
المشقه المودية الي التلف في حنب ما املته في تلك الحضرة من مزايا
الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك قال

٢٨٦ انكرت مصر فمن تنفر ما لاح بناء لعينها او خلاء

انكرت مصر لانها لا تومل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما املته
في تلك الحضرة الاحديه والساحة المصطفويه فسبب هذا الانكار
المسبب عن ذلك الامل هي تنفر بكسر الفاء وضمها اي تجد في الهرب من مصر
الى تلك الحضرات العليه ما مصدريه ظرفيه لاح اي ظهر من ارض مصر
بناء لعينها او خلاء اي فضاء ولا بناء في هذا قوله بالوف البطحا لانها
بالفها تقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد في السير وتنفد
الى جهة مقصدها سواء لاح لها في تلك الحالة بناء او فضاء وفسر الشارح
الخلا بالحشيش الرطب وبوجه نظير ما ذكرته لها تجد في السير الى جهة
مطلبها وان ظهر لها في غير فيها الذي هو الحشيش الرطب وهذا افنه من ريان
المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده مقابلته بالبنا خلاف ما ذكرته وقوله اذ
المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهى في غاية البعد كما لا يخفى

فافضت

فافضت على مباركها بركتها فالبويب فالحضراء

فافضت من الفضيض وهو الماء العذب او السايل على مباركها بركتها
هو اول محل لي طريق الحجاز يجتمع الحاج فيه للتاهب لسفرهم ولذلك كان
مجمعا عظيما يجلب اليه كلما احتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء البئر
يأتي اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمرها القطب الربا
الزاهد ابي المبتولى رضي الله عنه من نحو سبعين سنه جامعا وجعل فيها مجاورين
يقرؤن القران فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوم الجامع
الازهر انه استهى زيادة امه بالعجم وهو تم فاستاذن الشيخ في السفر
لذلك فلم ياذن له فدخل في خلوته والناس يقرؤن القران على بابها فراى نفسه
في بلد عند لمه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي
ثم استاق للشيخ فراى نفسه في خلوته فخرج فراى القرا قد قراوا في تلك
المدة نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوي
لهم الارض ويفسح لهم في الزمن ووقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى وانكار
اتساع الزمن القليل دون طي الامكنه تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذا جاز
احدهما جاز الاخر فتامله ثم بني الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية وبساتين
لا زالت تتسع ببركته حتى صارت الان قرية كبيرة اي فافاضت البركة على مبارك
تلك الناقة من الماء العذب ما ارواها وراكبها ومن معه فبعد البركة منازل
للحاج في هذا الطريق اكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى مزيد بيانها
هي البويب وانما حملت النظم على هذه لابهامه ان افضت عام في الكل وهو
غير مراد ان اراد به ما ذكرناه فان اراد به انه من الفضا اي فاتسعت على مبارك
الناقه بركتها لمزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى التاويل
الذي ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف
ما بعده عليه الذي لا يصح الا برعاية ما ذكرته لان تلك المنازل اكثر فغير معطن

الماء فيه اصلا فالخضراء وهي قريبة ممن المحل المسمى الان بعجرون وفيه بئر
من سبيل وبجانبها بركة عملاء من بيت المال نعم احتياج الحجاج اليها وكان
ذلك من اصله حدث بعد الناظم رحمة الله عليه وانما قلت من اصله
لان بركته معلومة للحدوث في اوايل هذا القرن قال

٢٨٨ فالقباب التي تليها فبئر النخل والركب قايلون رواء

فالقباب التي تليها اي المنازل السابقة اي الوادي المسمى بوادي القباب اي
رمل الرمل المشبه الارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة فبئر النخل بركة
عملاء من بيت المال ايضا وماؤها احسن من الذي قبله بكثير ولذا قال والركب
قايلون عندها اي مستريحون وقت القيلولة رواء من الماء بكسر اوله جمع
ريان اوريا قال رحمة الله عليه

٢٨٩ وغدت ايلة وحقل وقر خلفها فالمغارة الفيحاء

وغدت ايلة اي عقبتها وحقل محل بعدها قريب تسمية مدور حقل
وقر ليس هذا مشهورا عند الناس اليوم خلفها اي الناقة للونها لجاورتها
فالمغارة المنسوبة الى شعب النبي صلى الله عليه وسلم الفيحاء اي الواسعة

حاورتها الحوراء سوقا فينوع فرق الينوع فالحوراء

فعيون الاقضاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي يتبعها
البنك هذا ايضا ليس بمشهور وفي القاموس البنك بالنون فالموحدة بلد
بين حمص ودمشق وبتلو البنك كفافه وبها ولي يسمى مرزوقا مشهور
البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح والحجاج فيه اعتقاد
وتعظيم خارج عن الحد العوجاء اي المنحرفة عن جادة الطريق وجعل الناظم
كفافة مفعول تيلو والعوجاء فاعله وفعليه هما محلان متغايران وفيه
نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء اصلا فالموافق للحاج ما ذكرته

٢٩١ حاورتها الحوراء سوقا فينوع فرق الينوع فالحوراء

هذا الكتاب وقف لله تعالى

حاورتها اي حاورت الناقة الحوراء فيما هي بصدده سوقا منها لما الناقة
مشتاقة وسايرة اليه وانبات السوق للجمادات غير منكر لو انزل لنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان اذ لو كان
مرادا لم يقل ولكن ابى الحاضر احد جبل يحبنا ونحبه فينوع حاورتها شوقا
ايضا وهي بلد معروفه من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة واليمامة وقراها
فقد ذكروا ان ينبوع هذا من جملة قرى المدينة فسبب محاورتها لها قال الينوع
والحوراء المذكوران لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزايرين

٢٩٢ لاح بالدهنوين بدرها بعد حنين وحنت الصفراء

لاح اي ظهر بالدهنوين اي فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها
وهو الدهنا محل قتيل بدر على محاوزها وان تم محلين كل يسمى بالدهنا
بدر وهو الان قرية عامرة به عين كبيرة ونخيل ومحل الوقعة المشهورة
به التي اعز الله بها الاسلام مشهور بزار ويتبرك بمن دفن فيه من الشهداء
وغيرهم وفي بدر توريه مستحسنة بلاح المناسب للمعنى العزيز مراد وبقربه
اية باقية من اياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل
الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم
والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح
تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل
فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال اخرون
من ائمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حينا
سمعنا والجو ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اثنتي واحدى
وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة حيث لا ريح ولا
حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت في بعضها مرافقا لجمع جم من وجوه

مكة وروسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم
من انكر ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى اعلا
احد الجبلين ليحاط سبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا نحو ربع النهار ونحن لا
نسمع شيئا وفي هذا البرح ولا احد منا عنه ولبس لاحد منا حركة ففي اخر الامر
سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع
ومنهم من اصر على انكاره وقد رجانا فقيه ساكن لوذن ويوم بمسجد بالبلد
فسئل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره
وفي غيرهما لا يسمعونه الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك لها اي للناقة بعد وفي
نسخة قبل ما الخ ارض حنين يقال انه جبل صغير قريب بدر والظاهر
ان الناظم اعتمد في هذا على ما هو المشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس
غير حنين المذكور في الاية الذي هو عين بين مكة والطايف وظاهر قول الشارح
ان نسخة قبل اوضح لان حنينا بعد بدر ان لما ذكره الناظم مستند لكن لا يكفي هذا
مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكر الا الاول وحنت لتلك الناقة
وما هي فيه الصفراء قرية محرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند
ذهابهم لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال

٢٩٣ ونضت برزة ورابغ والجحفة عنها ما حاكه الانضاء

ونضت اي خلعت برزة اي خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما
بعده مجازي ورابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود
فدعا صلى الله عليه وسلم حمى المدينة اليها فكان لا يمرها احد حتى الطاير الا
حمى وهي ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر عنها اي
عن تلك الناقة لما انها استبشرت لتلك الاماكن ما اي ثوب الغب الذي
حاكه اي نسجه الانضاء اي الهزال شبه الهزال بحايك الثوب والثوب
بانزال الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من الغبا بعمه ويسترونه كما يستر

الثوب

الثوب البدن ثم خيل له بابتات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة
ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية تبعها استعارة تخييلية وترشيحية

٢٩٤ وارتها الخلاص بير على فعقاب السوق فالحلصاء

وارتها اي ابصرت تلك الناقة الخلاص من التعب بير فاعل على وهي
اخر الحبت الذي بعد رابغ الى مكة فعقاب السوق بعدها بقليل فالحلصاء
اي المحل المشهور الان بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة قال

٢٩٥ فهي من ماء بير عسفان او من بطن مروظمانة حمصاء

وهي اي تلك الناقة من ماء بير عسفان المشهور او من عيون بطن
مروظمانة اي عطشانة حمصاء اي جوعانة لان العادة ان الجيش
اذا وصلوا الى بير عسفان استدنوهم فاستغلوا عن سيقي دوابهم
واطعامها الى ان يدخلوا مكة ستر فها الله تعالى قال

٢٩٦ وقرب الزاهر المساجد منها لحظاها فالبطوء منها وحاء

وقرب الزاهر المشهور قيل ذي طوى المساجد المعروفة بمساجد عايشة
بالتعيم منها اي الناقة اي ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها
لان المسافة بينهما تخييلين لحظاها اي بسبب شدة جريها لما احست
بالوصول فالبطوء الحاصل منها وحاء قال

٢٩٧ هذه عدة المنازل لاما عد منها السماك والعوا

هذه المذكورات عدد غالب المنازل بين مصر ومكة التي عليها
المعول لان بها يعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد وتتضح سلوك الوافد
ويشط بها القاصد لاما اي منازل القمر الثمانية والعشرين التي
عد فيه ذكر نظرا للفظ ما السماك الاعزل الذي هو من منازل القمر
ولهم سماك اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل والعوا منزله من منازل
القمر وهي خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك

فكانى بها ارحل من مكة شمسا ماوها البيداء

فكانى بها اى على تلك الناقة ارحل من مكة الى عرفة ان الحج عرفة كما صح به الخبر ولافها باب الملك الذي تقف به السايلون وينتابه المختلجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانها نسك واجب اومندوب اوركن كالوقوف اقوال اصحها عندي الاول ولان فيها مقام الجمع الاكثرومن ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه بعرفة ان يكفر عن امته بالحج حتى المتبعات فلم يجب له فدعا بذلك في مزدلفه فاستجاب له ثم الى منى للرمي والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التي حول مكة وبها شمسا اى حال تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها لرفعة ماهي قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تريد لملايمتها للمشبه الذي هو الناقة سماوها اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر البيداء اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة المشرفة استطرد لذكر ماشرفها الله تعالى به على سايرالبلاد فقال رضي الله عنه

موضع البيت مهبط الوحي ماوى الرسل حيث الانوار حيث البهاء

موضع البيت اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هي محذوفا وعليه تمشي كونها موضعه انه في بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت وضع الاية مهبط الوحي نعت اوبدل اومعطوف بحذف العاطف على ماقيل من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ماجاء به النبي المبعوث عن ربه على لسان الملك او الالهام اوفي النوم اوالالقاء في الروع ماوى من اوى فلان الى مسكنه

الرسل الكرام بل وسايرالانبيآ على نبينا وعليهم افضل الصلوة والسلام ومر تعريف الرسول والنبي اول الكتاب لانه ماني الحج البيت كما في حديث واستثنى صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما حيث ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله الانوار الالهية منيرات نم وقدرت هذا الان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اي بنزلها دايما على قلوب الطايفين والعاكفين والركع السجود حيث البهآء اي الحسن المعنوي المكني به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على اهل هذه الالهيه والمعاهد الرابيه حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه امين وراعى النظير بذكر الوحي والرسل والانوار والبها وكذا الطواف وما بعده فيما ياتي قال

حيث فرض الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار والاهداء

حيث فرض الطواف فيحج اوعمرة واما خارجهما فحيث لم ينذر سنة موكدة وردفيه فضايل جمة يحمل من احاطها على مزيد الاكثار منها بل قال بعض ايمتنا انه للغرباء افضل من الصلوة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لاتوجد في غيره واختلفوا في ايما افضل اركان الحج هو اوالوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلوة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادي لايشترط فيه شيء ولذا لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف فانه المتكفل بالمغفرة للذنوب وقضاء المآرب كما في الاحاديث الصحيحة ولايشترط وقوعه حال الاحرام المتعرباية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان هذا اصح كما حررناه في كتبنا الفقهيه و حيث السعي اي فرضه في احدهما ايضا بناء على انه ركن لاواجب كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه و حيث الحلق اوالتقصير في احدهما ايضا اي فرضه بناء على الاصح عندنا انه ركن و حيث رمي الجمار اي ليجابه لاعلى جهة التركية و حيث الاهداء اي سوق الهدي الى مكة

ثم دبجه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون
اولى الا ان يكون الغرباء حوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك
لان المعروف من مذهبنا الذي هو مذهب الناظم ان اصل الاهداء سنة
وهو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسل الهدا من المدينة وهو
مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت في زمن السلف من مشاهير السنن
ثم تناساها الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يريد بالاهداء كل دم وجب
في النسك او اتى بعد اتم بسنة كالحلق تعديا اتم كالتمتع وموضع تفاصيل
ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكر الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض
دائما فلا يشتغل به وان ما بعده ليس بفرض مع ان منه ما هو ركن ولا يتصور ندبه
ولا وجوبه في النسك وهو السعي والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو
واجب تارة وهو ما حصل لترفه او جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل
تطوعا من غير سبب وكان الناظم رحمه الله وكل امر هذا التفصيل
للشهرة وانه ليس بصدد بيان ذلك قال

٣٠١ حبذا حبذا معاهد منها لم يغيرا يا هتن البلاء

حبذا حبذا تاكيد لفظي وهو شايع هنا ومر اول الكتاب الكلام على حبذا
بما ينفي مراجعته معاهد جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه
مفارق دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عايد اليها بالفعل
تارة وبالعزم اخرى منها اي مكة اشارت على بقيتها كالكعبة ومسجدها
ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع
المباركة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة وخارجة كعرفة لم يغيرا يا هتن اي علائهن
الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بآثارهن والقيام
بحقوقهن البلاء بفتح الباء طول المدة الذي من شانه ان يغير الاشيا
عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها عن التغيير لحرمتها لديه وفضلها

عنده وليستمر لهن الامة التمتع بها الى اخر الدهر قال

٣٠٢ حرم امن وبيت حرام ومقام فيه المقام بلاء

حرم محرم بحرمة الله من خلق السموات والارض كما في الحديث الصحيح وحدث
ان ابرهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت عن الناس
فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد
جنات عدن في مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم
ينظروا الانكار الجمهور له ولان منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان ال في الجنة
للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل او للعهد الخارجي
لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهني لان مدخول اللام حسند منزلة وهي
موضوعة لفرد وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع
انه نظر الى ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الان والجنة حيث
اطلقت اما يتبادر واحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء انه بدل بعض من كل هذا
الاعتبار واما بحسب ان انه بدل كل من كل نظرا الى ان جنات عدن علم كما تقرر
وموضوعه تخصصي فيكون ابدال علم من نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل
فقد يجاب عنه بان هذا المدلول التخصصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة
الذي هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل
كل من كل وهذا الذي قررته مما يكفي مسلة في اثبات ذلك الراي المخالف
لراي الجمهور ويندفع ما قاله السيد من التشنيع على من اثبته كيف وقايله لا
يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب ماخذ بل او احتمل لا تشنيع
على قايله ويجوز فيه العطف نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده
معروفة في كتب الايمنة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر امن اي يامن
فيه شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان ترى قاتل ابيه فيه
فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تغدفه دابة على هابة وكان رجل من

قوم ابرهة فيه لم يصبه من مرمي الابابيل بني حتى خرج منه هذا في الجاهلية
واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد من صبوب ونجرم وبنانه وكذا لقطته
وترابه عن ان يتعرض لحد ليها بقتل او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثني
وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه لبيت حرام الاتي نوع تلميح
وبيت حرام اي ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله
تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ومقام بفتح الميم وهو مقتبس
من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذي نزل
لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا محمد وعليه وعلى سايرا الانبياء والمرسلين وسلم
من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بنايه الكعبة اذ اطال البنا فكان يعلو
به الى ان يضع الحجر في محله ثم يقصر به الى ان يتناول الحجر من اسمعيل
صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذي نادى عليه لما فرغ
ببناء الكعبة ايها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف في
الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه بلبيك وفي رواية نادى بذلك على
الجبل ولا ينافي لاحتمال انه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير ان تعرض
له احد في الجاهلية ومع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وتخرج ما هو
اكبر منه باضعاف مضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود
فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اولا والذي كان عند
باب الكعبة فرده عمر رضي الله عنه الى موضعه احتجاجا منه قولان اصحهما الاول
ومن الغرايب ما قيل المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت
هاجر لزوار اسمعيل فراه غايبا فسال زوجته فشكت فقال قري زوجك يغير
عتبة بابه فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخري فوجد غايبا فسالها
عن حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه
فوضع قدميه عليه واما الهاراسه فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخري

فيه ثم قال مري زوجك فليلزم عتبة بابه فيه اي البيت او الحرم ولا يصح عوده
للمقام نظير ومن دخله كان امنا المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي الاقامة
بلاء بفتح الفوقية اي جوار المحل تتنزل الرحمات واقالة العثرات وكانه
اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله اي بيته وحرمه والعجب من
الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفايها واشتراكها بين معان كما
في القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق
او شبهه بين مقام والمقام ومايأتي من قضينا والقضا ورينا وري وتنشر ونشر
وشمت وشمت وقباب وقبا ورحضتها والرحضا وحططنا وحط وقرانا
والاقرا وسمحنا وتسمح وذهلنا واذهل قال

فقضينا بها مناسك لا يجمد الا في فعلهن القضاء

فقضينا اي ادينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما في قضيت الدين بها اي
مكة وما ينسب اليها كعرفه ومزدلفة ومنى مناسك جمع منسك من النسك
وهو العبادة اي اركان الحج والعمرة وواجباتها وسننها لا يجمد الا في
فعلهن القضاء اي لا يجمد الاداء احد امخصوصا في فعل عبادة الا في فعلهن
كيف وقد تميزت ببر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل اخر وخروج فاعله من الذنوب
كيوم ولدته وبكونه اعبر اشعث ويمنعه من الوفاة الحسية والمعنوية وبفراقه
لاهله ووطنه وبتكفير بقعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يرفع قدما ولا يضع
الا كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به ويقوي مخصوصا ما يدفع ما يرد
على النظم ان غير الحج الافضل منه والمأدي له والمفضول عنه يجمد فاعله ايضا
تنبيه ما قررت به قوله فقضينا وقضا يندفع ما للشارح هنا ومن
جملته قوله لا يفسر القضا اخر البيت بالفعل ويتعين انه الفراغ او ضد الاداء
على ان استعمال القضا بمعنى الاداء اشهر من الثمن لغة وشرعا وقد حكى بعض
المتاخرين ان القضا لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضيق

نحو غصب مال او فوت لا يقتضي انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء
فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلوة يضيق عليه فعلها
في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا لكثيرين لها اذا كما اتفق عليه الاصوليون
ان القضا ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا **تنبيه** ثان لا يتوهم ان
ما وقع في النظم من تقدم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع
تقديمه انما هو اذا كان اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوز الكوفيون
فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط فيه مذاهب والذي عليه الاخفش
وصححه ابو حيان جواز ان كان العامل متصرفا فقط نحو الاكل شئ ما خلا الله
باطل فالاستثنا من ضمير باطل العامل في ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى
منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد اذا لم يكن الا البنون شافع
وحكى سيبويه ما لي الا ابوك احد قال فيجعلون احد بدلا وابوك مبدل منه قال
ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون
وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن **قال**

ورمينا بها الفجاج الي طيبة والسير بالمطايا دوآء

ورمينا بها اي الناقة **الفجاج** جمع فج وهو الطريق اي القيناها فيها
لتسيرنا الي طيبة هي المدينة على مشرفها افضل الصلوة والسلام سميت بذلك
لان الله تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته وهي
اسماء كثيرة جدا **والسير بالمطايا** جمع مطية وهي الدابة تمطو اي تمد في سيرها
دواء مصدر رايته اي لشبه سير السهم اذا رمي به **قال**

فبسبب ان سيرها شبه سير السهم استهت القوس وحينئذ اصبنا عن
قوسها غرض القرب الى المدينة المشبهة بالغرض في كونه المقصود بالرمي او
السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية
وذكر الغرض والقوس ترشيح بصح كونها شبهت بالقوس فهو استعارة بالكناية

ايضا

ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم والاصابة والغرض ترشيح **ونعم الحنينة**
اي النخيرة النافة **الكوماء** هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف او عكسه
فقول الشارح انه صفة للحنينة ليس في محله وهي اعني الكوماء العظيمة السنام

ورأينا ارض الحبيب يغض الطرف منها الضياء والالآء

ورأينا اي ابصرنا المدينة وملحوا بها التي شرفها الله تعالى بان جعلها **ارض**
الحبيب اي حبيب رب العالمين فتميز صلى الله عليه وسلم عقام المحبة الذي
هو اجل واعلا من مقام الخلة لان المحبة الكاملة مستدعية للخلة وزيادة اي ارض
المدينة وملحوا بها **يغض** اي يخفض **الطرف** مفعول **منها** اي من اجل
الجلالة التي تحفها **الضياء** المشرق عليها حسا ومعنى **والالآء** اي البرق اللامع
على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفي الضياء والالآء
مراعاة النظير **قال** رحمه الله

فكان البيداء من حيث ما قابلت العين روضة غناء

وكان بالتشديد وقد تخفف كان لم يرد بها الى ضربه للتشبيه المؤكد لان
الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة بالاصل في نحو كان زيدا اسد
انه كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به فنصت ان لدخول الجار عليه قال بعضهم
وانما تستعمل حيث يعوز المشبه حقيقة كاد الراي يشك في ان المشبه هو المشبه
به او عزم ولذلك قالت بلقيس كاد يسهو فيما رمز للظن والشك فيما اذا كان
وجها غير جامد **البيداء** من تلك الارض وهي اسم لمحل وتيب من ذي الحليفة المشهور
اليوم بابيار علي **من** للتعليل او ابتداء الغاية وكل منهما حسن والاحسن الهما ابدة
على مذهب الاخفش وجماعة **حيثما** ما زايدة **قابلت العين** الناظرة اليها
روضة غناء اي كثيرة العشب والنبات والازهار والنمار **قال**

وكان البقاع زرت عليها طرفها ملأة حمراء

وكان البقاع اي الاماكن الاتي حول المدينة المنورة لكثرة ما بعثت اشعتها من الانوار

والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم **درت عليها** اي البقاع
طرفها عايد لقوله **ملاة** بضم اوله والمد وهي كما في القاموس
ثوب عريض او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحي لشمايل الترمذي
الملاة بالضم والمد وهي كما في القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخياطة بل
كله نسيج واحد وفي النهاية هي الازار وفي الصحاح هي الملحفة والانثى فيها
على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم ان التوبين الملفوفين ملاة
لملاة واحد **حمراء** شبه تلك الانوار والاضواء التي غشيت تلك البقاع
وعمتها من سايرجوانبها بحلة حمراء نشرت على ما فيها ازرارها في عراها من سايرجوانبها

٣٠٩ **وكان الارجاء تنشر نشر المسك فيها الجنوب والجرباء**

وكان الارجا اي نواحي المدينة **تنشر نشر** اي ريح **المسك فيها** اي
تلك الارجاء **الجنوب** وهي الريح التي تقابل الشمال **والجرباء** بكسر الجيم كلبهما
وهي كما في القاموس السمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهي قليلة
السحاب وهي المرادة هنا **قال**

٣١٠ **فاذا شمت او شممت رباها لاح منها برق وفاح رُكاء**

فاذا شمت بكسر السين المعجمة اي نظرت الى سحايب البرق اين تمطر في
تلك البقاع **او شممت** في القاموس شممت بالكسر اشمه بالفتح وشممت اشمه
بالضم **رباها** جمع ربوة بتثليث الراء وهي ما ارتفع من الارض **لاح** اي ظهر
وهو راجع لشمت **منها** اي تلك البقاع **برق** راجع للاول **وفاح** راجع
لشممت فيه لف ونشر مرتب **كباء** بوزن كساء عود البخور او ضرب منه
اي بجيء من كبي بالتشديد توبه اي بخر ومن لاح وفاح جناس مضارع

٣١١ **اي نور واي نور شهدنا يوم ابدت لنا الغباب قباء**

اي نور اي نور باهر **واي نور** بفتح اوله اي زهر نضير وبينهما
الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي **شهدنا** اي

راياتها بابصارنا وبصايرنا **يوم** ظرف لشهدنا **ابدت لنا الغباب** التي
هناك **قباء** محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة اميال **قال**

٣١٢ **فرد مي منها وفر اصطباري فدموعي سيل وصبري خفاء**

فرد مي منها اي كثر وانهمل من اجل ما شهدته حسن على ما صوابي من
فراقه او فرحا بوصولي اليه او خوفا من التقصير لعدم رعاية الادب في تلك
الحضرة الجليلة **وفر** اي ذهب **اصطباري** لاسيما بعد ان وصلت الى هذه
الربا، والخت رحلي بقبا وبين قزح قرالجناس المصحف **فدموعي سيل** عظيم
وصبري خفاء بضم الجيم اي زهد فكان السيل يذهب بذلك الزبد في اسرع
وقت فكذلك دموعي تذهب بصبري فلا يبقى عندي منه بقي وهذا من
جناس الذيل كقوله الاتي وكم اذهل صبا الى اخره وفيه لف ولشر مرتب

٣١٣ **فزري الركب طايرين من الشوق الى طيبة لهم ضوضاء**

ف بسبب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر **تزري** اليها
المخاطب **الركب طايرين** اي جادين في السير حائفين لدوابهم ليستخرجوا منها
اقصى ما يمكنها من الاسراع **من** اجل **الشوق الى طيبة** فكيف بمن شرفها عليه
الصلوة والسلام **لهم ضوضاء** اي اصوات عاليه بالصلوة والسلام عليه
صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الصوضاء مقصورة الجلبة واصوات الناس
لغة في المهموزة انتهت وبها يعلم رد ما قاله الشارح **قال**

٣١٤ **وكان الزوار ماست الباساة منهم خلقا ولا الضراء**

وكان عطف على فتزري **الزوار ماست الباساة** اي شدة السفر
ومشقته **منهم خلقا ولا الضراء** تاكيد لما قبله وكيف يميسهم شيء من ذلك

٣١٥ **كل نفس منها ابتهال وسول ودعا ورغبة وابتغاء**

كل نفس منهم يتكرر **منها ابتهال** اي تضرع الى الله تعالى في ان يقيل
عثارها ويقبل اثارها **وسول** اي توسل الى الله تعالى باحب خلقه اليه

ادعاء اطناب ورغبة فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب وابتغاء اي
طلب ما عند الله سبحانه وتعالى قال اللهم ارحمه
٣١٦ ورفيز يظن منه صدورا صادحات يعتادهن رقاء
ورفيز اي توا تر النفس وصعود لشدة ما يعتري القلب من خشية المؤاخذة
بما فرط منه وتغير الشارح له نان باعتراف النفس للشدة وتان بحسبه فيه
تصور عن ذكر تصاعد الذي لابد منه في حده يظن لها المخاطب منه اي
من اجل كنى ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في صدور ومن ثم جاء ان
صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان يسمع له ازيز كازيز المرجل
صدورا مفعوله الاول طيورا صادحات اي مصوتات يعتادهن رقاء
بالزاي والقاف اي صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له في ظهور هم
صوت الطيور الصادحات التي يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت
٣١٧ وبكاء يغديه بالعين مد ورجوع بحثه استعلاء
وبكاء يغديه بالعين اي يجعله على ملازمته لها مد اي سيل من الدموع
نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب او خشية قطيعته او عن فرحة بلقيا
الحبيب والمنول في حضرته ونحيب وهو رفع الصوت بالبكاء بحثه اي
بحصله ويزيد فيه استعلاء اي على الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء قال
٣١٨ وجوم كانما رحضتها من عظيم المهابة الرحضاء
وجوم كانما رحضتها اي غسلتها وكنا سي المغتسل رحاضا من عظيم
المهابة اي الجلالة التي استولت على قلوبهم لما انا خوا رحالهم بتلك الحضرة
الجليلة الرحضاء اي العرق الكثير من اثر الحمى اي جسوم قام من عظيم المهابة ما الزعجها
ارعاجا يزيل عنه كثرة عرقها حتى كانه غسلها قال
٣١٩ ووجى كانما البستها من خفيا الولها الحرباء
ووجى تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحيا

منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاقبال
له حتى كانما البستها من اجل حياء بالمد ومر نفسين وانه غريزي
باعتبار كماله الولها الحرباء دويبة منهومة ذات الوان متعددة تستقبل
الشمس برأسها قال رحمه الله
٣٢٠ ودموع كانما ارسلتها من جفون سحابة وطفاء
ودموع من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها
عليه افضل الصلوة والسلام كانما ارسلتها من جفون سحابة وطفاء اي مسترخية
الجوانب لكثرة ما يهاشبه ما عنده من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع
وكثرة تتابعه بسحابة وطفاء مملوة ماء ثم جرد تلك الجفون ورشح بذكر
الوطف وخيل باثبات السحاب للمشبه ففيه اربع استعارات وفي قوله
كل نفس الي هنا من مراعات النظائر والانسجام البديع الذي هو سهولة
الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذي من شانه الانسجام
والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذي ذوق عظيم بلاغته
ومن ثم كنى من هذا النوع قال
٣٢١ فحططنا الرحال حيث حط الوزر عنا وترفع الحوجاء
ف بعدان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بينا مما مر شرحه بقوله
كل نفس الي هنا حططنا الرحال بفناء كرمه صلى الله عليه وسلم نستمطر
سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والاثام ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا
الله توابا رحيما حيث اي في مكان حط الوزر اي الاثم والثقل
عنا بشفاعة مشرفه عليه افضل الصلوة والسلام وترفع عنا لحظة
واسعافه وامداده الحوجاء اي الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور
وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغني عن الاستدلال والبرهان

وبين الحط والرفع طباق وقرانا السلام اكرم خلق الله من حيث يسمع الاقرآء ٣٢٢

وقرانا السلام اكرم اي على اكرم خلق الله وافضلهم كما مرت ادلته مستوفاه اول هذا الشرح واورى الناظم رحمه الله تعالى في هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه صلى الله وسلم عليه عند قبره عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من السلف بل قال المجد اللغوي السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلوة عليه عنده اي للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند قبري الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه تعالى يصلي هو وملائكته على المصلي في الصلوة الواحدة عشرا وفي رواية مائة وصلوة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رد صلى الله عليه وسلم دعاء لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلوة عليه كالسلام فالاولى انه توجه افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية فحينئذ يختص لفضليته بحالة اللقا فالصلوة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة وبدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزايرين يبداء بالسلام ذكروا يختم بالصلوة عليه صلى الله وسلم عليه من حث اي من مكان وقتنا ذلك الحضرة الذي ليسمع الاقرآء للسلام منه وفيه رد الجزء على الصدر وما اقتضاه كلامهم من ان زايرين صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة دل عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر المنضود في الصلوة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة في الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جاء فيه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد اعلمته وصح وان نوزع فيه ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم

فيه

وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فيه فان صلوتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلوتنا عليك وقد ارمت اي بوزن ضربت يعني بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجسام الانبيا وفي رواية زاد فنبي الله حي يرزق وبقيت احاديث اخر متعارضة جمعت بينهما في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلوة والسلام اذا صدر من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزايرين والاعتناء بشانه والاستمداد له بذلك سر الليلة الجمعة وغيرها واما رده وهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم علي قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزايره لم يكن له خصوصية بذلك وكفى الزايرين فخرا انه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة وكفى المصلي والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه حي على الدوام فروحه لم تفارقه ابدا وصح الانبياء احياء في قبورهم يصلون والاحاديث في ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها على دوام حياة الانبيا حيوة مخصوصة اتم واعلى من حياة الشهدا المنصوص عليها في القران

وذهلنا عند اللقاء وكم اذهل صبا عند الحبيب لقاء ٣٢٣

وذهلنا اي غبنا عن احاسنا او عما نحن بصدده عند اللقا لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا اي شديد الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استلابه عند الحبيب اي المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شانه ان يذهل الصب ويحير المحب ولعينهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه

ووجما من المهابة حتى لا كلام منا ولا ايماء ٣٢٤

ووجما بفتح الجيم اي سكتنا عن الكلام عند اللقا وبعده ما دمنا في تلك

الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له من اجل المهابة اي الجلال
والمخافة حتى اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا
المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا امام منا نوجه الى ما نطلبه
وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال قال
• وكم رمت بث الشوق عند لقايه • فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا •
ورجعنا والقلوب التفافات اليه والجسوم انثناء ٣٢٥
ورجعنا الى بلادنا والقلوب التفافات كيف جدا برعاية المقام اليه الى
نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه صلى الله
عليه وسلم والجسوم جمع جسم وجسم الشيء جرمه الناتي من الارض انثناء
اي انعطاف الى البقاء في حضرته ابدا ان تيسر والا فالى تكرير زيارته
وسمحنا بما نحب وقد يسمح عند الضرورة البخلاء ٣٢٩
وسمحنا اي جدنا بما اي بنفيس لا يجود احد ببذله هو التمتع بتلك
الحضرة العلية التي نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود
لديارنا لاجل القيام بمن فيها يخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات
فاننا وان كنا نحب هذا الفراق لنا اسوة بالبخلا في ذلك وقد وقع بيننا انه
يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها
وبين السماح والبخل الطباق ولما تم مقصد زيارته المتكفلة بكل
خير شرع ينادي صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه
من انه يخصه من تلك القسمة التي ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كنيته
كلها لتضمن ما هو بصدده من مدحه والثناء عليه استعطافا قاله لينظر
اليه بما يفوز به في الدنيا والاخرى ويامن به من كل محنة باطنه وظاهره ومن
ثم خص جواب اقسامه بقوله الاتي الامان الامان الي اخره
يا ابا القاسم الذي ضمن اقسامي عليه مدح له وثناء ٣٣٧

يا ابا

يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فلا
يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عندنا سواء في زمنه او بعد لمن اسمه
محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا يادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه
وسلم لهم ويقولون له لا نعينك فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ
بعض ائمتنا ان المنع خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنيه
علي رضي الله عنه ولده محمد ابن الحنفية بذلك باذنه منه صلى الله عليه وسلم
ان صح خصوصيته له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص
تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم اعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة
الاعظم عن الله تعالى في جميع شونه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم
والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ايضا
انما انا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عدوا من خصايصه صلى الله عليه وسلم
انه اعطي مفاتيح الخزاين قال بعض العلما وهي خزاين اجناس العالم
ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد
صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص مفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها
الا هو لذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطايه مفاتيح الخزاين الالهية فلا
يخرج منها شي الا على يديه وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضي
الله عنها يسمى ابا القاسم الذي ضمن من تضمن كذا اشتمل عليه اقسامي عليه
بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الاتية في بيان مطلوبي منه مدح فرقوا
بينه وبين الحمد باموز احدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح على
ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة
كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص رابعها

ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح والحمد اخص بالعقلاء
والعظماء واكثر اطلاقا على الله وقول الكشاف انهما اخوان متشابهان لا يترادفان
قاله الطيبي وقال السيد بل يترادفان واستدل له بكلام القاموس وانتصر له
بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلما على ان الحمد يختص
بالاختياري والمدح اعم **له وثناء** هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون
الا في الجزء الاختياري وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه تقدر ان عليه
اكثر العلما يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى ما قبل الاخير
يكون فيه مراعاة النظير في الحمد وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح والحمد
فبينهما تقابل ومراعاة النظير او ترادف **قال**

بالعلوم التي عليك من الله بلا كاتب لها املاء ٣٢٨

بالعلوم اي اقسم عليك بها لتنفعني بما يومنني من كل مكروه بان يعطيني
الله الامان منه وكذا يقال في للاقسام الاتيه فالمراد بها هنا النفاعة والانتفاع
ليجاب سواله ومنهم قال اصحابنا في اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون
يمينا الا ان نواه وجعلها اول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا ساوي
لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم بالسوال للزيادة مما هو عليه الا للعلم
وقال رب زدني علما وهو صفة تتحلى بها المذكور لمن قامت به تحليا يمنع
من احتمال النقص **التي** نزلت **عليك من الله** حال كونها **بلا كاتب** من
الكتب وهو الجمع وانما الموصل **لها اليك املاء** اي املاء من جبريل وهذا الذي
قررته في اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام
جناس مطلق والكتابة والاملا طباق **قال** رحمه الله

ومسير الصبا بنصرك شهرا فكان الصبا لديك الرخاء ٣٢٩

واقسم عليك بما ادتينه ايضا من **مسير الصبا** وهي الريح التي مهبها مطلع
الشمس عند استواء الليل والنهار وبطلق على ما يهب من هذا المطلع

الى

الى قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالي وهذه الريح اثر
في نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب ايضا كما مر
بنصرك اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب الاعدا واخمد شوكتهم
وبدد جموعهم **شهرا** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور مع قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم
يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم
ان الصبا كان مسيرها بسبب نصره وهو الرعب اي الخوف منه المزعج لاعدايه
مسافة شهر من سايري نواحي المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا اخطفتها
لوامع سيوف نصره وتواصف السنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان
ما يستولي عليه لا يزيد مسافته في حيازته على شهر فلا ينافي ان ملك امته
يزيد على ذلك بكثير واحترز عن عزو من الانبيا فان زعيمهم ان وجد لا
يصل الى هذه المسافة وفي رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني
وبينهم شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل
الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدايه
اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده
صلى الله عليه وسلم بغير عكس وهي حاصلة لامته من انهم يذوقون من ذلك حظا
وافرا **فكان الصبا لديك رخاء** هي الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى
الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزات نبينا صلى الله عليه
وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه السلام وهذه
سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهي هيبته وايضا تلك
انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط
امر من نبينا صلى الله عليه وسلم وهو نسبة الاعلى للاعلى نظير كما
صليت على ابرهيم في صلوة التشهد على احد الاجوبة فيه وفي ذكر

الرخا بعد الصابر اعاة النظير قال رضي الله عنه

٣٣٠ وعلى لها تفلت بعينيه وكلتاهما بعد ما رمداء

و اقسم عليك ايضا بمحربك العظمى علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر لما سرت اليها ورفعت الراية وكانت بيضا لعلي ففتح بعض حصونها وارسل ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسل عمر فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف كل احد لذلك فسالت عن علي فقيل به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فتفلت بعينيه وكلتاهما بعا حال من كرة رمداء ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرات الملاحا لطهما ريقك الذي هو الشفاء الاكبر قال رضي الله

٣٣١ فغدا ناظرا لعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواءُ

فغدا اي ذهب تلك الراية يضرب بعينيه المثل في حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال ناظر العيني عقاب ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولما غدا وهو كما ذكر هرول اهرولة حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن موانت قال علي ابن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران لما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه اليهودي فطرح ترسه من يده فاخذ بابا يترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية اراد وا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فخروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا كله في غزاة معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب لواءُ اراد باللواء الراية وهي العلم

الفخم

الفخم لان الذي كان يوميد الراية لا اللواء ولم يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالويه فقط نعم قال العياض في مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب اسود وكانت من برد لعايشة رضي الله عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارحه ان النبي تسمى العقاب بيضا ولهذا التي اعطاها لعلي فهو مخالف لما رايته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواه يحتمل ان العقبان كانت تحوم على الجوم القتلى كالهذا يات ترفعه انتهى وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم يوميذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها لعلي رضي الله عنه ويحتمل انه اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية علي كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس ان عليا هو الذي كان يحمله لواء النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن سعيد ابن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعليه فقول النظم لها العقاب لواه لا تختص بخيبر خلافا لمن توهمه صنيعه قال

٣٣٢ وبريحانتين طيبهما منك الذي اودعتهما الزهداء

و اقسم عليك ايضا بريحانتين وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما منك لانهما

يضعنان منك مع ما لاحظهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم معروفا منشورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب
بل كان تمام انس رضي الله عنهما تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم لتطيبوا به بناتها
ريحه الذي نعت لطيبهما **اودعتهما** بالبنا للمفعول فاطمة **الزهراء** مبتدا خبره
ما قبله وهما الصلة كذا ذكر الشارح ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول
وجوز البنا للفاعل وان المفعول الثاني محذوف اي الذي الزهرا اودعتهما اياه
وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذي نعت للريحانتين بتاويلهما
بالمذكورا ونحو نظير ما ذكرته في الذي اقوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه
ابو داود هذا ميتي يعني الحسن والحسين ونظير ايضا قوله تعالى وخضتم
كالذي خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون الصلة
ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختار ان في قوله تعالى كمثل الذي
استوقد نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد
وقيل في الاية الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نون تخفيفا
وقيل بوصوفه لفظ مفرد وكل ذلك فيما نحن فيه فاستدفه واشار بقوله اودعتهما
الى ما هو من خصايصه ان اولاد بناته ينسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه
تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعه وهو الذي اودعها لك الذرية لتخرج
منها منسوبة اليه وسميت بالزهرا لانها لم تحض كما في حديث رواه الغساني
وروى الخطابي ابنتي فاطمة حوراء ادميه لم تحض ولم تطمث وانما سماها الله تعالى
فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم رحمه الله عليا
وفاطمة وابنيهما وما بي ذكرتني من قضايا لهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر
اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان
الضلال والزيغ والابتداع والزندقة الذي لم يولف في هذا الباب اجمع منه
واخرج الطبراني والخطيب ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وذريتي في

صلب

صلب علي ابن ابي طالب وفي حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه
انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطايف فما قال اوصيكم بعترتي
خيرا ان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لينقمن الصلوة ولتوتن الزكوة او لابعثن
اليكم رجلا مني كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا ثو في كرم
الله وجهه عن ثلاث وستين سنه ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع
عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا
وقال الحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه ما لقي فقال ادع عليهم
فدعا انه يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر من ذلك الليلة للخوج
والنظر الى السما وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت
وما ان ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان تنبشه الخوارج
وفي رواية انه حمل ليدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله
فلم يدر اين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه في السحاب **قال**

كنت تاديهما اليك كما اوت من الخط نقطتيهما الياء

كنت علي الدوام **تاديهما** اي تضمهما **اليك** لمزيد محبتك لهما وشفقتك
عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين صبيان يمشيان
ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني
هذان ابناي وابنا بنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي
احب اهل بيتي الي الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من احب الحسن
والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وجاء من طرق صح بعضها
ابناي الحسن والحسين سيدا شباب الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما
خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربع افضل من اهل البيت نعم
ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتاخرين
بتفضيل الحسنين على غيرهما اي من حيث تلك البضعة وان كان ممن ذكر افضل

منهما علما وعملا ومعرفة فتامله **كما اوت** بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر في اصل الكلمة **من الخط** حال من الفاعل **بقطيتها الياء** اي ابواءً كابواء الياء لقطيتها حال كونها من جملة حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخري ويضمنا ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما وصح عن اسامة ابن زيد رضي الله عنهما قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت وما هذا فكشفه فاذا حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابنائي وابنا بنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف لانها ماى كل حرف منها لاخر في الحقيقة كما انها الاول لذلك وهكذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا وربتبة واخرهم وجودا وختما فعنصر الكريم مندرج ومبثث في جميع الانبيا بالفعل بالنسبة لمن في عموده نسبة وبالقوة اخري بالنسبة لمن ليس في عموده **قال** رحمه الله

من شهيدين ليس نسبتي الطف مصابهما ولا كربلاء

من بيان للريحانتين وحينئذ فلا تجديد فيه خلافا لما زعمه الشارح **شهيدين** اما شهادة الحسن فسببها ان يزيد ابن معاوية ارسل الى زوجته جعدة الكندية انه سمها ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعث ليزيد بما وعدها فابى وفي سنة موته اقال والاكثرون الخامسة خمسين وحمد به للحسين ان يخبره بمن فابى وقال والله اسد لفتة واجدى كبدي تقطع واني لعارف من ابن دهيت فحتى عليك لا تكلمت في ذلك

ابني ثم قال واقسم عليك ان لا تريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف بهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له ولى الله ما اراد ان يجمع الله لنا النبوة والخلافة وربما استخفنك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عايشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فادامت فاطلب منها وما اظن القوم الا يسمعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عايشة رضي الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة رضي الله عنه ثم دفن بالبقيع الى جنب امه رضي الله عنهما وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى في جنازته فقال الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت في ذلك الى احمل من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا اسند الناس بعضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان ابن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروي ايضا حديثا من حملته قول عايشة رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سال ربه انه من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليعلم الشاهد الغايب اللهم اني احبه واحب من يحبه اللهم اني احبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل قمته في فمه ويقول ذلك وفي اخري من احبني واحب هذين وابا هما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وصح انه حج خمسا

وعشرين حجة ماشيا وان الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين
وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه ابهر ولم يسمع
منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصم ليس لم عندنا الا ما رغم انفه وجا
من طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني
هذا الحسن سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين وقد
حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه مات وفي الخلافة بعايعة اهل
الكوفة فكان اخر الخلفاء الراشدين بنص جد صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث
الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي ستة الاشهر الباقية
منها وعند مضيها سار الى معاوية رضي الله عنه في اربعين الفا فلما رآه الجماعة
علم الحسن انه لم يغلب احدا الطايفتين حتى يذهب الكثر الاخرى فرضي بالنزول
لمعاوية عن الخلافة سنفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينيذ
صار هو التمام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل ماجورا

واما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع
ومن فضايله حديث حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا حسين
سبط من الاسباط وفي رواية للحسن والحسين سبطان من الاسباط وجا
من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك القطر ولعلهما واقعتان
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض
التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله تتحول دما فكان كذلك
وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية فاشار جبريل
بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى
كربلا وبالطف كذا قاله بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف
بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسوددي واما حسين
فله جراتي وجودي والبغوي وغيره سميهما هارون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت

ابني

ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية نسبيهما ان
يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على
الحسين فقر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه
ويحميهم فيه من الجور فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وبين له غدرهم وقتلهم
لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله اذهب فابى فبكى ابن عباس
وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى وقبل ما بين عينيه استودعتك الله
من قتيل ولذلك ابن الزبير رضي الله عنهم بالم يبق بمكة الا من حزن لمسبين ولما
بلغ اخاه محمد ابن الحنفية بكى حتى ملا طستا بين يديه وقدم امامه مسلم ابن عقيل
فبايعه من اهل الكوفة اثني عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار
الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فساله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم
مع بني امية والقضاء ينزل من السماء ولما توجه من القادسية تلقاه من اخبره
الخبر وامره بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لاحيي ناخذ بثارنا او نقتل كما سار
فلقيه اول خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف
مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى
فقاتلوه وكان اكبر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاهم فر واعنه
الى عدو فحارب ذلك العدو الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبتت في
ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم حالوا بينه وبين المام قدروا عليه ولما
استحر القتل في اهله حتى بلغوا خمسين صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد ابن الحارث رجاء شفاعة جده فقاتل بين يديه
حتى قتل ثم فنى اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم
فكروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح كفوا سنانكم عن النساء
والاطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى ان انثنى بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين
طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط

الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احد وستين ووضعه
قاتله بين يدي عبيد الله ابن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب
عنقه وقال اذا علمت ذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه
الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رضي الله
عنه ماكان على وجه الارض له يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست
وجعل يضرب ثنايا بقضيب ويخله انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس
وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد ابن ارقم ارفع قضيبك
فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى فاغلظ
عليه ابن زياد وهدده بالقتل قال لاحدثنك بما هو اغلظ عليك من هذا
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على
فخذه اليسرى ثم وضع يده على ناصيتهما قال اللهم اني استودعك اياهما
وصالح المومنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد
ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على ترس عن يمينه والناس
سماطان ثم انزله وجهز مع رؤس اصحاب الحسين وسبايا ال الحسين الى
يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل يبكت الراس بالخيزران
وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد
ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين
في الحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤس ولا عجب فان يزيد بلغ من قبايح
الفسق والخلال عن المروي مبلغا لا ينكر عليه صدور تلك القبايح منه بل
قال احمد ابن حنبل لكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا
لقضايا وقعت منه صحيحة في ذلك بثت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالي
فانه اطال في رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين وقال لم يثبت من طريق صحيح انه
قتله ولا امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه كابن العربي المالكي فانه نقل عنه

انه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي لانه الخليفة والحسين باغ
عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته
كذلك لان كثيرين قدموا عليها غيره مختارين لها هذا مع عدم النظر الى
استخلاف ابيه اياه مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة اهل الحل والعقد على
ذلك ويرد بان هذا انما هو بعيد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع
على تحريم الخروج على الجاير اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد
الحسين اقتضى وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبايحه التي تصم عنها الاذان
وهو اعني الحسين محق بالنسبة لما عنده ونظير ذلك حال معاوية مع الحسن قبل
نزوله له عن الخلافة ومع علي كرم الله وجهه بانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه
غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك فتامل ذلك فان كلام الائمة فيه كما مر تاتي
ولا يزول الاشكال فيه الا بما قدرته فاستفده ولما وصلوا الدمشق اقيموا
على درج الجامع حيث تقام الاساري والسبي قيل ان يزيد ارسل براس
الحسين ومن بقي من اهله الى المدينة ودفن عند قبر امه بقيعة الحسن
وقيل اعيدا الى جثة بكربلا بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن
زياد وقومه من قتلهم اسر قتله ولما نزل الدير ابن زياد بالراس اول منزل
حفروا بالراس فخرجت عليهم من الحايط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا
بدم انترجوا امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب فهربوا وتركوا
الراس ثم عادوا واخذوه اواخذ غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر يوم
قتله من الايات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء
اشتد سوادها لاكمال الشمس حينئذ حتى رويت النجوم واشتد الظلام حتى
ظن الناس ان القيمة قد قامت وان الكواكب ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع
حجر حتى يرى تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة
ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد

ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين
وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضب يورث حمرة الوجه والحق تنزه عن
الجسمية فاظهر تاثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية
ليس منبئي بل كل مسلم كامل الايمان **الطف** اي بذكرها وقع فيه
ومراده ارض بالعراق وانه يسمى كربلا او قريب منها وقبره به معروف ويتبرك به
مصابهما اي مجموعا مما على حد يخرج منهما اللولؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان
من الملح فقط اي مصاب الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فانه بالمدينة
ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نزر من الناس **ولا كربلاء** بكل منهما يذكرني
بذلك المصاب حتى اني اتصورني كل ارض انها هو وظاهره انه مغاير للطف
ومراده قول وكان الناطع لهذا الى ماد واه ابن سعد عن الشعبي ان عليا كرم
الله وجهه لما مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف وسال عنها فقيل كربلا
فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبكي الغصة الاتية انفا في شرح قوله فابكيهم **قال**

مارعى فيهما ذمامك مروس وقدخان عهدك الروساء

مارعى فيهما ذمامك بالمعجمة اي حرمتك ايها النبي الكريم مع انه
يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من
العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بعض شانهما واعتقاد انه على غاية
من الخيانة والضلالة والجراءة والتهور **مروس** اي تابع كالجعدبه في الحسن
وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله عنهما **و** الحال انه **قدخان عهدك**
الروساء اي المتبوعون من الطلقاء الطغاة المتمردين كيزيد فيما لتسببه
في قتلهما لكنهما فاز اعتزاله السهمالي العظمى وهاؤ بجزي الدنيا والاخرة وقول بعضهم
لام ملام على قتله للحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الامر بله على البغاة
وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه

والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية امر يزيد انه
جابر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الجابر التي حكى عليها الاجماع محلها
بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم
يدخلوا تحت حيطة راي غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ولم يبال ببيعته
ولا اعتد بها جماعة اخرين امتنعوا منها وخرجوا ودوي ابن السكن انه
صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق
فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما يرون ايضا مما ترتب
على قتل الحسين مما مر بعضه ودس رعي وخان والمروس والروساء
جناس الطباق **قال** رضي الله عنه

ابدلوا الود والحفيظة في القربى وابدت صنابها النافقاء

ابدلوا اي هؤلاء المذكورون **الود** بمثلثة الواو اي المودة التي حرضهم
الله تعالى عليها في الاية الاتية بنقضهم وقتالهم ولحاق الايذا لهم بكل طريق
امكن حتى ان القرمطي بابهم فابعث الشريفة في عسكر باربعة دراهم والشريف
بدرهمين للكر من سباه منهم **و** ابدلوا ايضا **الحفيظة** اي الحمية **في مضر القربى**
ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم ال البيت النبوي يعني تركوا
هذين واخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول
الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
الاية وقد اختلف المفسرون في القربى والذي جاء عن الحسن ان علي كرم الله
وجهه بسند حسن انهم اهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها
انا الحسن ابن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير ثم قال
وانا اهل البيت الذي افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية على
كل مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف

الحسنات مودتنا اهل البيت وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه
شيعي غال لكنه صدوق لما انزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن علي
واخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جئ به اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين
رضي الله عنهما واقيم على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي
قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرأت قل لا اسألكم عليه اجرا
الا المودة في القربى قال وانتم هم قال نعم ولا بأس في ذلك ما هو المشهور عن ابن
عباس وابناءه من حملها على غير ما ذكر كما في البخاري وغيره عنه ان المراد الا ان تودوني
يا معشر قريش بقرابتي فيكم وفي رواية عنه لما ابوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني
ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيف وان امكن توفيقها بما
كما قدمته في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكر صلى الله عليه وسلم وخص
بقربى اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت وعمم في كل مسلم ذكر ما
هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض سيما ومن نسم
كان ابن جبير وهو اجل بالاثر ابن عباس رضي الله عنهما كان يفسر تارة بهذا وتارة
بهذا وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما الا ان تودوا الله ولا تؤذوا قرابتي
جملة مواد ته تعالى مواد رسوله واهل بيته وادعاء نسخ الاية قول مردود
لا يلتفت اليه فلا يحزن اعتناء كما قاله المعوي وغيره وقد صح خلافه والمراد هم فيه
ابن الجوزي حدبت احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل
واحبوا اهل بيتي لحبي وصح ايضا ما بال اقوام يحدثون فاذا دخل الرجل من اهل
بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم
مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني ثم قال
من اذى عليا فقد اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب حسنا

وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا لسنتي
وبها يعلم بطلان قول الرافضة منع محبتهم مخالفة السنة **وابدت** اي اظهرت
صابها عايد لفاعل ابدت والمراد بالضباب اليراعيع لان **النافقا** لا يكون
الا لها النافقا احدى جحرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا تصاد وهو موضع
من جحر يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحر
الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء براسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا
يقال نفق اليربوع نفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي النظم
تشبيه المكر بالحسين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع في فعلها المذكور فهو
استعارة تصريحية وفي ذكر النافقا استعارة ترشيحية او تشبيه ما عندا وليك
من النفاق بالنافقاء بالجامع الاتي وهي حينئذ استعارة مصرحة ريحت بذكر
الضباب او تشبيه النافقا بما عندا وليك من النفاق الذي حملهم على ان فعلوا
بال البيت ما فعلوا فتشبيه النافقا بنفاق اوليك استعارة بالكناية والجامع
ان النافقا يظهر اليربوع منها غير ما يريد من صياده وكذلك نفاق اوليك اظهروا
حبهم لهم من الدين وفعلوا ما فعلوا وابتنات اليربوع استعارة تخييلية
ويصح ان يكون استعارة بالكناية ايضا لتشبيه الضباب باوليك في المكر
واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية **قال**

وقت منهم قلوب علي من بكت الارض فقدهم والسماء ٣٣٧

وقت اي غلظت واشتدت **منهم** المكرة الفجرة المذكورين وهو حال
من قوله **قلوب** فوصل ايهامهم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهتار
بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم يكن لهم تلك القلوب فقط لان الله تعالى
اراد لها الشقاوة والعذاب الاليم **علي من** اي اوليك الائمة الذين هم
بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري رضي الله عنه في الذين قتلوا مع
الحسين من اهله ليس لهم شبيه على وجه الارض **بكت الارض فقدهم**

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

والسماء وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المومن تبكي عليه السماء والارض اما الارض فمحال سجود المومن وعبادته واما السماء فمحال مصاعد اعماله واذا كان هذا في مطلق المومنين كما علم من الادلة فهما يتاسفان على ما فاتهما من اعمالهما ونواتهما فما بالك بال البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون المراد ببكائهما بكاء اهلهما وهذا واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الابدليل قال

٣٣٨ فابكهم ما استطعت ان قليلا في عظيم من المصاب البكاء

فابكهم ايها الصالح للخطاب ما استطعت اي مدة دوام استطاعتك تاسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم جبريل ثم علي روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلا عند مسيره الى صفين فوقف وسال عن اسم هذه الارض فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففلت ما يبكيك قال كان عندي جبريل انفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات موضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شممتي اياها فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة رات النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبلحيته وراسه فسالته فقال قتل الحسين انفا وكذلك راه ابن عباس رضي الله عنهما نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فساله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكيه ومن ثم قال ايمننا لبكى البكا بعد الموت قلت ليس المراد بالبكا المامور به هنا حقيقته بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله ومن غاية الاستهتار بحقهم والفرح بمصابهم ومن نقال انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم

وذلك

وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك ويتاسف عليه وان يامر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى صلى الله عليه وسلم عن البكا وبكا كما في الحديث المذكور قلت المنهي عنه البكاء الاختياري والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري او بيان للجواز واطلق منه البكا على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اي وقد نهيت عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بين ان مجرد دمع للعين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله ثم ما امر به من البكا بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال ان جراء قليلا اي قليل في مقابلة عظيم من المصاب لا سيما مصاب الائمة بالحسنين واهل بيتهما رضي الله عنهم وبين قليل وعظيم طباق ودينه استفاق ورد العجز على الصدر البكاء وان كثر وهو الصوت الذي يكون مع الدمع واما المقصود فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرهم باستاكة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك قال

٣٣٩ كل يوم وكل ارض لكربي منهما كربلاء وعاشورا

كل يوم وكل ارض لكربي اي لاجل ما حصل لي من الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث يخشى فوتها منهم بسبب هذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر والسب والايذاء كربلاء راجع لكل ارض وعاشورا راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اي زادني ذلك الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التي قتل فيها الحسين وكل يوم اصبح علي تصورت انه يوم عاشورا الذي قتل فيه فكربه عم جميع ما انا فيه من الاربعة والامكنة فلا يفارقني بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين كربي وكربلا اجناس تبعه الاشتقاق لهو او جناس الاشتقاق

وفي ناوي واويت وضمت وتقبضني وطبتم وطاب وسدتم وسودته
وذره والزوراء والقاسم واقاسي وابكهم والبكا قال

ال بيت النبي ان فوادي ليس يسليه عنكم التاساء ٣٤٠

يا ال بيت النبي وهم مومنوا بني هاشم والمطلب وهم المذكورون
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا اكثر المفسرين انها نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله
عنهم وقيل نزلت في نسايه ونسب لابن عباس وكان مولاه يكرمه وينادي
به في السوق وردّ بتذكير عليكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ورجح جمع
بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا وبدل المماصح عزام سلمة قلت يارسول
الله انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول ال البيت خبر مسلم انه ادخل
اوليك الاربعة تحت كساء وفواء الاية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل
هولاء تحت كساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم استمل على العباس
وبنيه عباه ثم قال يارب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من
النار كستري اياهم عباي فهن فقالت اسكفة الباب وحوايط البيت امين
فلانا فعلم ان المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه وهن امهات
المومنين واهل بيت نسبه وهم مومنوا بني هاشم وبني المطلب وصح هذا
عن زيد بن ارقم والاشهر ان هولاء هم المذكورون في قوله اللهم
صلي على محمد وعلى ال محمد وقيل المراد باله هنا كل مومن واخير وخبر الي
كل مومن تقي ضعيف بالمراة وال البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم
المرادون في جميع ماجاء في فضل ال البيت او ال وذوي القربى واولهم
الاربعة هم المرادون في اية المباهلة كما يصرح به ماصح عنه صلى الله عليه
وسلم بها ان فوادي اي قلبي ليس فعل جامد معناه نفي معمون الجملة

في

في الحال ونفي غير بالقرينة وقيل لنفي الحال وغيره وفاه ابن الحاجب
بقوله تعالى الايوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد
للنفي التام المستغرق المراد به الجنس لا المبرية وهو ما يفضل عنه وخبر
عليه ليس لهم طعام الا من ضريع اسمى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير في النظم
يسليه عنكم التاساء بفوقية اوله اي ما يحصل لي من الشدايد والمحن وفي
القاموس تاساه اداه واسخفه به بل محتكم قديمة مقيمة فيه على الدوام
لا تزل لها محنة ولا تنقصها شدة وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يومن
عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن
سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله تعالى وفي الحديث ايضا اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب
الله تعالى وعترتي فناشدكم الله ان ذكرتهم بالقران في ان التمسك بهما يمنع الضلال
ويوجب الكمال واشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه ابدا ولا انفكاك
عنهما من الوفا بحقهما والخسران والخسران لما بهما انما هو مع تفويضه
الامور الى باريها كما قال رضي الله عنه

عبراني فوضت امري الى الله وتفويضي الامور براء ٣٤١

عبراي الا اني فهو استثناء منقطع فوضت امري في ذلك كله الى الله
الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون وتفويضي
الامور الى مقدرها ومدبرها براء اي مبرى للمفوض لذلك اعتمادي
على شيء من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براة من الشرك وكنز من كنوز
الجنة وفي فوضت وتفويضي جناس الاشتقاق وحمله وتفويضي الى اخره تذييل

رب يوم بكربلاء مسيني خففت بعض وزره الدوراء ٣٤٢

رب للتقليل يوم بكربلاء مسيني باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن

معه بها خفقت بعض وذر اي تقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم
التي عندها عبرة لال البيت النبوي الزوراء فنهامع وذر سبه اشتقاق
وهي نخيبة ببغداد ايما وقع من خلفائها بني العباس الذين من جملة ال
البيت من اخذهم ببعض ثارات عليهم الحسين وغيره من ال البيت بالخروج
على بني امية لانهم عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين في ال
البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية
والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكلمات الباهرة والمعالي الفاخرة
ثم بنزع الخلافة منهم بعد ان نصر الله عليهم فقتلوهم اسر قتله كما قال

والاعادي كان كل طريح منهم الزرق حل عنه الوكاء

والاعادي الذين هم اولئك الفسقة الفجرة كان كل طريح اي مطروح منهم
الى الارض ببوارق السيوف الموجبة لتقاتي الحتوف الزرق للنتفخ الملقى
بالارض الذي حل عنه الوكاء وهو ما تشد به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم
حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين وهذه القصة مبسوطة في التواريخ كتاريخ الخلفا للسيوطي ثم
في اختصاري له فعليك بتطلبها من محلها ان شئت قال

الا بيت النبي طبتم فطاب المدح لي فيكم وطاب الثناء

يا ال فهو منادي واصل ال اهل ابدلت الهاهمزة ساكنة وقبلها همزة
متحركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة والاضاف الالى الاشراف كما
هنا والما قيل ال فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف سالبني وهم
انفا بيانهم طبتم اصلا وفرعا ونفوسا وافعالا واقوالا وصفاتا وظاهرا
النظم ان المراد في وبر حانيتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل
ويحتمل انه في الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب منهما وهنا
للباقي الوجه لان ذاك في خصوصهما وهذا في عموم البيت كما دلت عليه

الاية

الاية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وهي منبع فضايلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشانهم حيث ابتدات
بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى لذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب
الايمان به وتطهيرا من سايرالاخلاق والاحوال المذمومة وفي احاديث
تخرجهم على النار وهو فايدة ذلك التطهير وغايته اذ منه لهام الاثابة الى الله
تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم للخلافة الظاهرة
لكونها صارت ملكا عضوضا ومن ذلك لم تتم للحسن عوضا عنها الخلافة
الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب كل زمان لا يكون الا منهم وحكمة ختم
الاية بتطهيرا للمبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه
تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف
ولولف تم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وقد جعل علي علي وفاطمة
والحسين كساء وقراه الاية اللهم ان هولاء ال محمد فاجعل صلواتك
وبركاتك على ال محمد انك حميد مجيد وفي اخرى اللهم اهلي اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل اهل بيتي مثل سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي
سالت ربي ان لا اتروج لي احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك
وحديث واجبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن
حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وولديهما ان لكل بني اب عصبة
ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من
طينتي ويل للمكذبين بفضلكم من اجلهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه
الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت احد الا كبه الله
في النار فطاب المدح لي فيكم وان لم استوف واجب حقكم ومعالي
شرفكم لان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم اثنى عليكم بما تنقطع الاطماع

الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشيء من نهايته **وطاب** لي فيكم **الرثاء** وهو تعداد محاسن موتاكم و في طبتم وطاب بجنيس الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق **قال**

انا حسان مدحكم فاذا اخت عليكم فانى الخنساء

انا حسان مدحكم اي انا المشبه في الاعشاء بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب له منبر في مسجده ينافح عنه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا اخبره النبي صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليها قرابة فقال لاسلكن منهم كما تسل الشعرة من العجين وراه عمر رضي الله عنه ما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شذرا فقال كنت انشد وفيه بين يدي من هو خير منك وهو يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة فشهدوا له به **فاذا اخت** اي رفعت صوتي بالبكا **عليكم فانى الخنساء** بنت عمرو بن الشريد من بني سليم قبائل منهم من قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم الموالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر منهم يوم فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت عائشة رضي الله عنها عليها ثوب الحزن فاخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت اخاها فقاسمها ماله فافتقرت فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة لذلك ثم الرابعة كذلك فعنفته زوجته فاجابها بانها كفته عارها ولما هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لحرير من اشعر الناس قال انا لولا هذا قيل بما فضلتك قال **بقولها**

ان الزمان وما تفنى عجائبه ٠ ابقى لنا ذبنا واستوصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا ٠ بالحالمين فهم هام وارماس
ان الجديدين في طول اختلافهما ٠ لا يفسدان ولكن يفسد الناس

واجمع علماء الشعر انه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها اي فاني شبهها في نوحها على اخيها ورثايها له بالمعاني البديعة والمباني البليغة وبجامع الثناء بجوامع الرثاء ومن شعرها فيه

الا يا صخر ان ابكيت عينا ٠ لقد اضحكتني دهرا طويلا
اذا فتح البكاء على قتيل ٠ رايت بكاءك الحسن الجميلا

وقولها

نوفق في الكمالة حين امسي ٠ ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر ٠ ليوم كريهة وطعان جلس
تذكرني طلوع الشمس صخرا ٠ واذكره لكل غروب شمس
الا يا صخر لا انساك حتى ٠ افارق عيشتي وافوز رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي ٠ على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن ٠ اعزي النفس عنه بالتاسي

وقولها

اعيني جودا ولا تجمدا ٠ الا تبكيان لصخر الندا
الا تبكيان الجرى الجميد ٠ الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ٠ ساد عشيرته امردا
اذا القوم مدوا بايديهم ٠ الى المجد مد اليه يدا
فنال الذي فوق ايديهم ٠ من المجد ثم مضى مصعدا

وقولها وعد من العقم

وان صخرا لتاتم الهداة به ٠ كانه علم في راسه نار

سال الخليفة المهدي المفضل عن الخزيت قالته العرب فذكر له هذا
فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكى ان عليه دينا عشرة الاف درهم
ورلها تطوف بآكلة لاطمه لحذها معلقه نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت
دزيت فارسالم برز احد مثله فقال بي الناس من هو اعظم دزية منك وان
الاسلام قد عطى ما كان قبله واذا لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف راسك
فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها اربع رجال فحرضتهم على البيات
ابلغ تحريض ثم قالت فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها وحللت نارا على
اروقها فتيموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامه في دار
الخلد والمقامه فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي سترني
بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يعطيها
ارزاقهم لكل ما يتان حتى قبض رضي الله عنه وعنهم قال

٤٦ سم

سدتم الناس بالتقى وسوادكم سودته البيضا والصفراء

سدتم الناس اما الحسنان او ذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل
لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شئ واما بقية آل
البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب
واما بالنظر الى السياق **بالتقى** فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك
لكونه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ
عن غيرهم وهذا جواب عما يورد على النظم ان السياق من حيث التقى لا يختص
بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم على اكثر الناس بتقى
لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى
الذي لا يوجد في غيركم ومر ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم
ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب اشهر
من ان تذكر ودليل الاول اعني السياق من حيث النسب الذي هو اشرف

الانساب ايه المباهلة قال بعض محققي المفسرين وفيها ادلة
اقوى من هذا على فضل فاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم اي لانها لما نزلت
دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمة
خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الاية وان اولاد فاطمة وذريتهم
ينسبون ابناهم وينسبون اليه نسبة حقيقة نافعة في الدنيا والاخرة
ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون
ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله ان
رحمي موصولة في الدنيا والاخرة الحديث واخرج الطبراني في حديث ان
الله عز وجل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب
علي ابن ابي طالب وروي غير ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان
يوم القيمة دعا الناس بأسمائهم ستر الله عليهم الا هذا وذريته فانهم
يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل
المتناهية مردود بان كل طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيد
ما صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب
ينقطع يوم القيمة ما خلا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر
والحسب وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم
وعصبتهم وجاء في حديث اخر بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان
عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة لم كلثوم وانكر جماعة من متاخري
اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر لبس في محله واقرار الصحابة لعمر وعلى هذا
الاستدلال صح في رد ما عارضه من اقاويل بعض ائمتنا في هذه المسئلة لا سيما
ما لبعض بني امية في ذلك ودليل الثاني اعني النظر الى السياق بالتقوى
ما صح انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله
عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا اغني عنكم من الله شيئا

عز ان لكم رحما سابلها ببلالها اي ساصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد
نفعا ولا ضرا لكن الله ينفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصه والعامه
واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس
كذلك ان اوليائي منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث
وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم
واخرج احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدان
الا بكم وجاء في احاديث ضعيفه ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها
على النار وفي رواية ان عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله
فطمها وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله
غير معذبك ولا احدا من ولدك وورد يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد
من ذريتك ولا ينبغي لاحد من اهل البيت ان يغتر بذلك لانه استفيد
من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ان اهل بيتي هؤلاء
يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي المتقون الى اخره وحديث
البخاري ومسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين
ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن
ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب
اليه صلى الله عليه وسلم باركابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم
عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول انه منهم في القيمة
يا محمد يريد ان يشفع له فيقول لا املك لك من الله شيئا كما في الحديث وتامل
قول الحسن ابن الحسن السبط رضي الله عنهما لبعض الغلاة فينهم ويحكم احبونا
لله فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا
بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا كابي طالب
اني اخاف ان يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان يوتى المحسن منا اجر

مرتين وكانه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين
ابن علي عن ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم
ان الفرقة المسماه بالشيعة ليسوا من شيعة اهل البيت وانما هم من شيعة
ابليس لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه الدارقطني وقال ان له عند طرفا
كثيرا يا ابا الحسن انت وشيعتك في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك
يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز
يقال لهم الرفضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفي رواية قالوا يا رسول
الله ما العلامة منهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف
وسواكم الذين يدعون سلاة وينقمون عليكم كسفهاء بني امية والمراد وسواكم
اي غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سماة لهم في الدنيا اصلا بل ولا في الدين
عند الاكمل وانما سودته عند الجهلا مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوي
البيضاء اي للفضة والصفراء اي الذهب اي طمع الناس في ماله فتخصيص
هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفي سدتم
وسودته الاشتقاق والبيضا والصفرا التدبيج قال

٣٤٧ وباصحابك الذين هم بعدك فينا للهداة والاوصياء

واقسم عليك باصحابك جمع صحب وهو من اجتمع مومنا ولو طفلا
واعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته مومنا ومات مومنا وحذف الشارح
شيخه الجلال المحلي رحمهم الله بهذا الاخير فيه نظر وايهام وان وقع في صنيع
احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده ما يوهد ذلك كما سنبهي في محل اخر
الذين هم بعدك فينا للهداة اي الدالون الامة على الله بما يجب له
ويجوز ويستحيل عليه تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك وعلى
شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد في الله وغير ذلك

مما يليق بكل ما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام اخص افراد بذلك
فقال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر والاوصياء اي الذين اوصيتهم
بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا
الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت الروس لمعاليهم
واباد اهل الربع عن اخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرءوس وانما حمل الاوصياء
على ما ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر وعلى
وجه الرد الذي دلت عليه صرايح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به انه
صلى الله عليه وسلم لم يوص بامر الخلافة في شيء صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا
ذلك النص وانقضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته
انه لا ينص عليها صريحا انما اشار لها لابي بكر باشارة تقرب من الصريح كما
بينتها في كتابي الصواعق ولعل تلك المصلحة التي ذكرناها في عدم التصريح
هي التي ظهرت له صلى الله عليه وسلم لما طلب في مرض موته دواة وقرطاسا
ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عند اللفظ فمن مريد الكتابة ليقع
التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر رضي الله عنه خشية من مخالفة
النص المودية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل
على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه
ولو كان فيما طلبه مصلحة عايدة على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع
فكونه كذلك اوضح دليل على ما نقد قال

٤٨ سم احنوا بعدك الخلافة في الدين وكل لما تولى ازاءُ

احنوا بعدك اي بعد وفاتك للخلافة عنك في الدين بالقيام بجميع
ما يجب او يحسن به مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا على
استخلاف ابي بكر رضي الله عنه وكرم الله وجهه ثم على استخلافه لعمر رضي الله عنه

ثم على استخلاف اصحاب الشوري لعثمان رضي الله عنه ثم على مبايعة علي
رضي الله عنه ثم ابنه الحسن رضي الله عنه ثم بعد نزول الحسن لمعاوية
على ولاية معاوية رضي الله عنه وعنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة
الاعداء ونشر العلوم الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم
الله عن الاسلام خيرا وكل منهم لما تولى في حياته صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ
الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما
كانت للدين لا غير ازاءُ بكسر الهمزة وفتح الراي كلثاب اي قيم عاتولاه
اهلا له في بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القران
ومن وقعت منهم له هفوة فقد كفرت بحد او توبة قال

٤٩ سم اعنياء نزاهة فقراء علماء ائمة امراء

اعنياء نزاهة اي من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان
من جهته بقطع بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن ساير القطايع
عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اي المال
وانما الغنى غنى النفس اي بالله عما سواه سواء كان بيدها مال ام لا ومن كان
منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه
في مصارفه الشرعية وهو مقتنيه لذلك لا للفخر ولا للمباهاة ولا للمحبة جمع
ذلك الحطام الفاني ولذلك جاء ان عبد الرحمن ابن عوف اعتق ثلاثين الف
رقبة وتصدق هو وعثمان في غزوة بتوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف
عبد يودون اليه الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير من الديون وكون المخلف
عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافي ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى
ليس معناه انه يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب
منه في كل حال او نبس واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل

في يد دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات اصحابه او لان حاله
في الامور الخارقة للعادة ولا يقدر غيره على التاسي به فيها فلا يكلف بذلك
وتخلف ابن عوف رضي الله عنه عن الفقرا في دخول الجنة الوارد اما لكونه
يقف ليشفع او ليسال سوال تكريم مما انعم به عليه او جبر لخاطر الفقرا
بذلك وكل ذلك غير قادح في فضله رضي الله عنه هم **فقراء** اي غالبهم بل
كلهم لان ذوي الغنا منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون من الاغنيا الا
باعتبار الصورة واما باعتبار الحقيقة فهو على غاية من الافتقار الى الله تعالى
ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنا وانما يعدون
انفسهم خزانا لاغيرهم مما تقرر في معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغني الشاكر
افضل من الفقير الصابر وهي مسالة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته
لما علمت ان الغني هو الذي ختم به امر صلى الله عليه وسلم وكان هود اسم
الترقي في الكمالات فلولا ان الغني مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم
له به قيل ومحل الخلاف في الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو
افضل قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره
مع فقر على غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم الا بالغنى مع
الشكر كما تقرر ويعرض صحة هذا القول غالب فقراء الصحابة يفضلون لغيرهم
لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين الفقرا والاغنيا التضاد وكذا بين ايمة
امرا وبين الرخص والاغلا الاتيان وفي الحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم **علماء ايمة** لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به
على من جاء بعدهم وهذا بالنسبة الى اكثرهم والا فقد جاء نحو ان الحسن
البصري رضي الله عنه كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق في خطبة الوداع رب مبلغ بفتح اللام ادعى من سامع هم
امراء اي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم

ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما
رمي بعض المتهودين سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه لما كان اميرا على
الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليهم بدعوات استجيب فيه عاجلا حتى
صار عبرة للناس ومنها ان الله يطيل عمره ويعرضه للفتن فكان وهذب
حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق ويقول
شيخ اصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله عنه ومما دل على انهم
اغنياء نزاهة لاغير لهم **قال**

زهدوا في الدنيا فما عرف الميل اليها منهم ولا الرعباء

زهدوا في الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعل من الدنو
اي القرب لسبقها للاخروي وقيل الدنو هنا من الزوال وهي ما على وجه الارض
وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض ويطلق على كل من ذلك مجازا
كما هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر
والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكي تنوينها واستشكل
ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية
واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجبى ثم الصحابة رضي الله عنهم في الزهد
فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين
فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها
وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شيا الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم
حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا الذي في زهدهم فيها انهم
لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم
واذا تقرر ان زهدهم بقسميهم فيها حقيقي **فما عرف الميل اليها منهم**
بنوع النفات ولا اقبال الحقارتها في اعينهم **ولا الرعباء** اي الزهاة في تحصيلها
وهذا علم من نفي الليل بادلي فذكر مجردا ايضاح وفيه من البديع ذكر

النظير والنذير ولاينافي هذا انه صلى الله عليه وسلم على المال
بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعايه لانه من اصحابه
كابن عوف وانس وغيرهما كثيرت اموالهم جدا الان المال لهم جهات خير تصرفه
في الطاعات والاعانة به على قيام امور الديانات وبالنظر ينبني عليها وجهة
شر تصرفه في ضدذلك وبالنظر اليها يدم ويقبح وهذا قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احيني
فاقلما له وامت دلل الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما
ورد في مدح الدنيا والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح
الاخوين بما لا استغنى عن مراجعته قال

٣٥١ ارخصوا في الوغى نفوس ملوك حاربوها اسلابها اغلاء

ارخصوا في الوغى اي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدايهم في الوقايع المشهورة
ومران لطلاق الوغا على الحرب مجاز لاحقيقة نفوس ملوك كثيرين حربوها
بتوعزم وشد حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله عليهم بقتل
بعضهم تارة وازالة ملك اخرين اخرى اسلابها بفتح الهمزة جمع سلب بفتح
اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليهما من آلة السلاح والنقد وجبته
تقادبين يديه وليس خصوص جمع القلة لان جمع مضاف للملوك الذي هو جمع
الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في الجموع
وعليه كثيرون اغلاء بكسر الهمزة وعليه كثيرون اسم مصدر كغالي السعر
بمعنى اسم الفاعل اي غاية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة
وكانه جمع غال كدار وادوار وبه يندفع قول الشارح لا وجه له
اصلي بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر على الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت
اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع وما اقوله على المعنى الاول الاول انه كما كان
القتل رخاصا للنفوس فالاسلاب اي اخذها اغلا الاسباب وقال بعله

على المعنى الاول ايضا وكانه اي الناظم يقول انهم كما ارخصوا نفوسهم بحاربتهم
بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب
فقابلوا بين ارخاص الانفس واعلاء الاموال التي هي الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه
لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهى وفي كل من المعنيين بعد وخفا والوجه ان
المعنى انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان
على حد رجل عدل اي عادل ورجال عدل اي عادلون فكان المصدر هنا اولى
باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلاء بالغالية وهذا هو المعنى على
فتح الهمزة فتساوي المكسور المفتوح قال

٣٥٢ كلهم في احكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم اكفاه

كلهم في احكامه جمع حكم والحكم الشرعي خطاب الله تعالى المتعلق بفعل
المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين
ايضا على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما في قولهم الفقه العلم
بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما توهمه كلام الشارح
ذو اجتهاد صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم من زيادة ولذلك
لم يعرف عن احد منهم انه قلد عين في مسئلة من المسايل وكان الناس يستفتون
كل من راوه منهم فيفتيه باجتهاد ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان
هناك نص صريح خولف فذكرهم شفهم من يرجع اليه ومنهم من يوله او
يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله تعالى الدين والعقل
وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذوو الهوا او نفس او حظ او بغض
حاشاهم والله من ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه الا وهم على اكمل الاوصاف
واجلها و ذو اصواب بعيني وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاه
على حقيقته انما يتاتى به على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم
الله تعالى تابع لظن المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين

كما صح به الخبر وعشرة اجور كما في رواية وللمخطي اجرا واحدا كما صح به الحديث
لهضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله وعلى
الاول كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مصيب وعلى الثاني علي مصيب وله
اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه على علي مخطئ له اجر واحد وان اجتهاد
بذل الوسع وتحصيل المقصود تم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطاء
فان قلت يمكن تاويل النظم بان مراده وصواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم
عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد
على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم وكلهم اكفاء
اي متكافئون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام
لله لا لحظ ولا للهوى وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي
ذلك قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا قدس
الله امة لست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشايخه
المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه
وسلم له بان الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل ما ليس عندهم ولا سؤال
معاوية لعلي رضي الله عنهما بالارسال اليه في المشكلات فيجيبه ولقد قال له احد
بنيه لم يجيب عدونا فقال ما يكفينا انه يحتاج الينا وسالنا واجمعوا
على ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلوة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم علي
والاصح عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم اهل بدر
ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

رضي الله عنهم ورضوا عنه فاني بحظا اليهم خطاؤ

ام رضي الله عنهم ورضوا عنه اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون
الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله تعالى عن العبد تامينه من
سخطه واجلاله تعالى وكرمه ورضى العبد عنه ان لا يحتاج في سر اذنه خزانة

من

من ونوع فضاء من افضية الجن بل يجد لذلك في قلبه برد اليقين ونلج
في الصدور وتهود المصلحة العظمى وزيادة الطمانينة وبين رضي ورضوا
استقاق كيخطوا وخطاء الاتيين فلسبب ما ذكر من اوصافهم وختمها بما
في الاية في حقهم اني استفهام انكاري تعجبي اي كيف يخطوا اي
يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطاء وهو نقيض الصواب يعني
لا يخطى احد منهم خطاء ياثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا
اخطاء له اجر وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة احاديث ذكرتها في
الصواعق السابق ذكرها مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر جملة منها عربية
عن ذلك اتكالا على اسانيدها تم منها ان الله اختارني واختار لي اصحابا
فجعل لي منهم وزرا وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا اي فرضا ولا نفلا وفي
رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه اذا اراد الله تعالى بامتي
خيرا القى حب اصحابي في قلبه لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ما شانكم وشان اصحابي ذروا لي
اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل
احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي فوالذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من
من لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي انا
فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقي اراذل اي
غالبهم وفي رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم الحديث وهو اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت

للناس ولامقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل
لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته قال

جاء قوم من بعد قوم بحق وعلى المنهج الحنيفي جاءوا

جاء النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة من بعد قوم وهكذا
السابقون الاولون ثم الذي بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه
وسلم وكان الناظم رحمه الله اشار بهذا الى ما في اول صحيح البخاري عن هرقل
انه سأل ابا سفيان عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون
قال بل يزيدون وانه هل يرتد منهم احد سخطة لدينه فقال لا فبين له ان
من شان الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجيئ الصحابة قوما من بعد قوم من
علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال اي فايدة في هذه
الجملة من كلام الناظم وهل هي الا مجرد اخبار مواقع لا يترتب عليه فايدة
اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم ملتبسون بحق فلا مطعن
فيهم لطاعن ومانقمه الرافضة ونحوهم عليهم فلا يصح منه شيء اصلا وانما هو
من علامات الجاهلين ووضع المظهرين وعلى المنهج اي الطريق الواضح الحنيفي
اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج جاءوا كلهم وتابعوهم باحسان
وهكذا لا تزال الطايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى
يأتيهم امر الله وهم على ذلك قال

ما لموسى ولا لعيسى حواريون في فضلهم ولهم نظراء

ما لموسى كليم الله صلى الله عليه وسلم ولا لعيسى روح الله صلى الله عليه
وسلم حواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب
عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب اي يقصرونها او من الحواري اي الدقيق
لبياض العامة في فضلهم بشهادة نص اية كنتم خير امة وفي الحديث خير القرون
قرني وفي رواية خير الناس قرني وحديث المناجاة ان موسى عليه السلام رأى لهذه

الامة في اللوح اوصافا باهرة فقال يارب فاجعلني منهم ولا نقضاء في
فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى
ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا
للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال

وابي بكر الذي صح للناس به في حياتك الاقتداء

واقسم عليك ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو عطف على العلوم
بحذف حرفه ويصح انه وما بعده ابدالات تفصيلية من باصحابك الذي تميز
عن سايرالصحابة بما كان كالصريح في ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل ما عدا الانبيا والمرسلين كما صح به حديث
ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر
وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث استهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة
كما قاله الاشعري فلذا لم يسع احدا من المبتدعة انكاره للناس به في
حياتك الاقتداء فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك الطرق ما اخرجه
الشيخان استدر مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك
لن يستطيع ان يصلي بالناس فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقالت
مروا ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس
فانكن صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حيوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصه قولي
لعمر فقال له فاشتد غضبه فقال مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعايشة
على ذلك خوفها تشاؤم الناس به بقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلوة وكان ابو بكر غايبا
فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعدان اخرج راسه

مغضبا الا لاياتي الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخري انه
فجر الاثنين يوم موته كشف ستجف حجرته فراهم في صلوة الصبح وابو بكر
رضي الله عنه يصلي بالناس فتبسم فضحك فنكص ابو بكر علي عقبيه ظنا ان
يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرجابه فاشار
اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخي الستر فتوفي ضحي وفي
البيت المتلبج الي هذه القصة قال العلماء فيه اوضح دليل علي انه
افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا
علي ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يوم الغوم اقراوهم
لكتاب الله تعالي اي اعلمهم بالقران صريح في انه اعلمهم بالقران مطلقا وقد
استدل الصحابة لانفسهم لهذا علي انه احق بالخلافة منهم علي قال لقد امرنا
النبي صلي الله عليه وسلم ان يصلي بالناس وانى لشاهد وما انا بغايب وما
بي مرض فرضينا لديناما رضيه النبي صلي الله عليه وسلم لديننا وما احسن قول
من قال صلي بالناس ثمانيه ايام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله
وسكت المومنون ومن الظواهر ادالصريح علي خلافته ايضا لما اخرجه
مسلم انه صلي الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته ادعي لي ابا بكر واخاك
حتي اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمن متمن ويقول قايل انا اولي ويابي الله
والمومنون الا ابا بكر وفي رواية ائتوا لابي بكر كتابا لا يختلف عليه احد
ثم قال دعيه معاد الله ان يختلف المومنون في ابي بكر وصح ان قوما سالوا
انسا ان نيالهم رسول الله صلي الله عليه وسلم الي من يدفنون اليه ذكا لهم
بعده فاله فقال لي ابي بكر واخرج الشيخان ان امراة اتته صلي الله
عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايتك ان جيتك فلم اجدك كانها تقول
الموت فقال ان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنهما اخرجه الشيخان من عدة
طرق انه صلي الله عليه وسلم راي انه علي بير لم تطوي فنزع منها بدلو فاخذ

الدلو

الدلو من يد ابو بكر فنزع بها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابي بكر
فاستحالت غربا في يده اي دلوا كبيرة فاستقا منها حتي ضرب الناس بعطن
اي حتي رووا قال العلماء هذا اشارة الي خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقصر
مدته وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمنه وثبت ادلة اخري
سمعية ايات واحاديث كثيرة تدل علي حقيقة خلافته وانه اعلمهم وافضلهم
بينته اتم بيان في كتابي الصواعق المحرقة ذكر قال

والمهدي يوم السقيفة لما ارجف الناس انه الداداء

والمهدي اي المسكن للفتنة والاضطراب في امر الخلافة يوم السقيفة
التي لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلي الله عليه وسلم
فيها الي سعد ابن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما اي حين ارجف الناس
اي اضطربوا في امر الخلافة وبين المهدي وارجف والقربي والاباعد وبقرب
وبعد المطابقة انه علیل للمهدي ولا ينافيه كسران لانهما مع كونهما
للاستيناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به في ان الحمد والنعمة لك في
التلبية الداداء اي المسكن للاضطراب لا غير وكان مراد انه المشهور قديما
وحديثا بانه ليسكن الفتن ويجلي كربتها وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه
انهم لما دفنوا النبي صلي الله عليه وسلم تخلف علي والزبير ومن معهما في بيت
فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون
الي ابي بكر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه انطلق بنا الي الانصار فلما جلسوا
قام خطيبهم فخطب واثنا علي الله ثم مدح الانصار واطنب بحيث لم يترك انه
اوخر جاء فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت
فاراد عمر ان يخطب بما دون اي جمعه في قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكون ثم خطب
واثني علي الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح
الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر او ابا عبيدة واخذ بيدهما وقال بايعوا

من شيتم منهما فقام للحباب ابن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا امير ومنكم
امير فكثر اللغط وخيف الفتن فبادر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه
فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائل قتلتم سعد ابن عبادة اي لانه كان به
بعض مرض فقال عمر قتله الله اي لان الاجتماع عند ربما كان سببا للفتنة
فساغ لعمر في اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذ يوده بما
يراه ان يقول فيخفه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابي بكر
فرجعوا عما كانوا نووه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد
وجلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابي بكر ثم قال قوموا
فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست
بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني اطيعوني ما اطعت
الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير
فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه فلم ير عليا
فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله واستدل كل منهما
حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى
ابن مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها احد منهم
ثم تبعهم من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الان ثم هلم وكذا اكثر الفرق
واقسم عليك يا بني بكل الفاعل لذلك حال كونه كريم الله وجهه

٣٥٨ انقذ الدين بعدما كان للدين على كل كربة اشفاء

انقذ بالقاف فالمعجمة الدين وهو ما جاء به النبي المكرم صلى الله عليه
وسلم اي بجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم بعد
ما مصدرية كان اي وجد للدين متعلق هو وما بعده باسمها
وهو استفاء على كل كربة اي غم ياخذ النفس ويصح كونها ناقصة
وللدين خبرها اشفاء اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام شمل

ابدا

ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله عنه والله لولا ابو بكر رضي الله عنه ما
عبد الله تعالى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته
صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابو بكر
فانه كان تماسكا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم وقبله وقال لقد طبت
حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين ميتتين ثم خرج فتلى عليهم وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فلما سمعوها رد الله عليهم
عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر ما انه انكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر
فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان
الله حي لا يموت ثم تلى الآية فقالوا كانا لم نسمعها الا حينئذ فكان هو المثبت
لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا
كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي مات
فيه فرجعوا اليه ودل لما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا
حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
فرجعوا اليه وبهذا علم انه كان احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه
قصر مدة خلافته واشغاله بقتال المرتدين وما نعي الزكوة ومسيلمة
الكذاب وحال كونه رضي الله عنه قال

٣٥٩ انفق المال في رضاك ولا من واعطى جما ولا كداء

انفق المال الكثير الذي كان بمكة اي صرفه في مصارف الخير حتى نفد
جميعه في اي لسبب او من اجل رضاك يا رسول الله كما جاء به القرآن
قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى آخر السورة قال ابن
الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو
الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به الخبر

الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب ليس اي المذكور
في سوره يس اي حبيب البخاري افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس في الناس
احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد
الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج
الترمذي حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كفيناه ما خلا ابي بكر فان له عندنا يدا
يكافيه الله بها يوم القيمه وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني
ما لاحد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته
والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني بنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله
وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر ولا يناقضه حديث البخاري انه
صلى الله عليه وسلم لم ياخذ منه الراحلة الى الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراه
عنه وصح انه كان بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فابى فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه
وقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه مرتين فقال ان الله بعثني اليكم فقلتم
كذبت وقال ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي
ما شانكم وشانه فما الله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمه الا باب ابي بكر فانه
على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت واسكتم الاموال وحادبي
بماله وواساني وابتغى واخرج احمد واخرون عن جماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر
رضي الله عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب
مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه
واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف دينار وفي رواية اربعون الف
درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه

كان

كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة فتخللها في صدره بخلال
فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي اراي ابا بكر عليه عباءة فتخللها في صدره
بخلال فقال يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرئه
السلام ويقول له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر
رضي الله عنه اسخط علي ربي انا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف
جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة واخبر ان الله امر ملائكته
يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولا انه كالذي قبله
متداول له كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولى وصح عن عمر انا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق
ابا بكر اي ما سبقته يوما فجئته بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله فاتى ابو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال
يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه ابدا
و الحال انه **لا من** منه عليك فيما انفقته وان كثر وانما المنة لك عليه
وعلى غيرك كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن
ثم حرم تحريما غليظا على متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه
ما اعطاه له ويذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى **واعطى** لله عطاء **جما** اي كثيرا من وجوه الخير العامة
والمصلحة الدائمة منها اعطاه ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما
جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء اقام به بضعة عشر
يوما ركب ناقته ونهى ان ياخذ احد بزمامها وقال دعوها فانها مامورة فاستمرت
الى ان بركت عند محل مسجد صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت
على باب ابي ايوب الانصاري من بني النجار احد اخوال جد النبي صلى الله عليه
وسلم عبد المطلب وكانت دارهم اوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت

في مبركها الاول والقت باطن عنقها في الارض ثم صوتت من عزان تفتح
فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله ثم ساوم
بني النجار في تلك البقعة فاشتراها بعشرة دنانير ونقلها من مال ابي بكر
وكان قد خرج بماله كله فكان له من السبب في ذلك المسجد الاعظم ما اقتضى
وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره واستري ايضا جماعة اسلموا فعذبهم اهل
مكة العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم **ولا آكد آء** اي ولم يقطع اعطاءه بل
استمر عليه حتى توفاه الله تعالى قال

وابي حفص الذي اظهر الله به الدين فارعوى الرقباء

وابي اي واقسم عليك بابي **حفص الذي اظهر الله به الدين** كما
جاء في سبب تسميته بالفاروق واخرج ابو نعيم في الدلايل وابن عساكر
عن ابن عباس انه سأله عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة اسلم قبله
بثلاثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب ابو جهل النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبر حمزة فاخذ قوسه فضرب بها احد اخدعي ابي جهل فقطعه فسالت
الدما فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار
الارقم فانطلق حمزة فاسلم رضي الله عنه وبعده بثلاثة ايام اكرم عمر على من
اسلم فقال له ان اختك وزوجها اي سعيد ابن زيد احد العشرة المبشرين
بالجنة قد اسلما فجاء فضرب راس اخته وادماه فقالت له كان ذلك على رغم انفك
فاسحتي حين راى الدما وجلس وسالها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا
المطهرون فاغتسل فاخرجوا اليه صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الايات فعظمت في صدره فقال له
خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله لتعليم اخته وزوجها اني لارجو
ان يكون الله تعالى خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس
يقول اللهم اعز الاسلام بعمر او بابي هشام اي ابي جهل اي وعمر ابن الخطاب

فقال

فقال لي عليه فتوشح بسيفه وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب
الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب
فان اقبل قتلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج
فتشهد عمر فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله انا
على الحق قال ابلى قلت فيما الاخفاء فخرجنا انا في احدهما وحمزة في الاخر حتى
دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم كابة شديدة فسماني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله بي بين الحق والباطل
وفي رواية انه لما اظهر اسلامه صار وا يضربونه ويضربهم حتى اجاء خاله قال فما
زلت اضرب واضرب حتى عز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل فقال
يا محمد قد استبشر اهل السما باسلام عمر فان المشركين قالوا قد انتصف القوم
اليوم منا وانزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وان ابن
مسعود قال ما زلنا اعز منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا
وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت حتى
اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم كان الاسلام
كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا
ضعفا **وشب** قوته في الله وشدة شكيمته كما علم فيما تقرر **ارعوى** اي رجع
واقلع وانكف **الرقباء** اي الاعداء كما كانوا عليه من الافساد في الدين
وعدم النصح له وعدم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
بالامور العظيمة التي كانوا يفعلونها معهم قال

والذي تقرب الاباعد في الله اليه وتبعد القرباء

٣٦١

و هو ايضا الامام العدل القوي في الله **الذي** ينطق الحق على لسانه
وقلبه فلذلك **تقرب الاباعد** عنه **في** اي بسبب اولاجل رضى
الله اليه متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه **الذين**

ليسوا كذلك كما قال النفاني في هذا البيت من انواع البديع العكس نحو لاهن حل لهم الايه والاكتفا وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قررته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو ان يقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الايه

وبتعد عنه القرباء اي قربا وه ادلم يوافق على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا وصديقا وانه لا ارياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محط نظره هو الله تعالى لا غير وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد منه

٣٦٢ عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوى السواء

عمر بن الخطاب من موصوله قوله الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ومن حكمه السوي اي الذي لا اعوجاج فيه السواء تاكيد للمعدل وهذا اولى من جعل المتارح السوي صفة حكم والسواء خبره ولا تضايرهما وليس كذلك قال ـــــ رضي الله عنه

٣٦٣ فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من سناه ابتراء

فر اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات متمرد حبي او انسي اذ لاجل انه كان فاروقا ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مراد لما مر ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فسبب ما منحه من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل وبفر الشيطان منه سببه للنار التي هي اصل الشيطان من

سناه بالقصر اي ضوئه ابتراء اي انجا والاصل في ذلك احاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القران على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفرق منك يا عمر

وفي

وفي رواية اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفي اخرى انا بي جبريل فقال اقرئي عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وان غضبه عز وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر ورد ى احمد وعزه انه صلى الله عليه وسلم قال لدايا اخي اشركنا في صالح دعايك ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم شربت لبنا حتى انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وانه راه وعليه قميص يجر قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذي ينطق الحق على لسانهم رضي الله عنه

٣٦٤ وابن عفان ذي الايادي التي طال الى المصطفى بها الاسداء

وابن اي واقسم عليك بذي النورين اي عثمان ابن عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحه جمع ايدي جمع يد فاني به الناظم في اليد بمعنى النعمة ايضا التي طال اي عظم وامتد الى المصطفى على الخلق كلهم اي المختار وهو من الاصطفا وقيل المصطفى المنتقى من كل شيء وكدر وهو من التصفيه بها متعلق بقوله الاسداء اي الاعطاء قال ـــــ رضي الله عنه

٣٦٥ حفر البير جهز الجيش اهدى لهدى لما انصد الاعداء

حفر البير بير رومة وذلك انها كانت ليهودي في الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بير رومة او من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها وهي موجودة الى الان وتوابها مستمر له الى قيام الساعة وفي رواية ان عثمان رضي الله عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البير اشترى نصفها بماية بكر وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما

راي صاحبها ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي يبيعه منها
باع من عثمان النصف الثاني بشي يسير فتصدق عثمان بها كلها **تنبيه**
تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكاد لم يبال بقول من قال ذلك الحفر
وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها
ثم زاد في تعميقها مبالغة في كثير مما يحتاج الناس اليها ثم رايت
بعض المتاخرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها تباع بمد وانه صلى الله
عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ
عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم **جهز الجيش** اي جيش العسرة
في غزوة تبوك اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش
العسرة فقال عثمان يا رسول الله علي مائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل
الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد
هذه وفي رواية حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا
وصح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة
فنثرها في حجره فجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم
وفي رواية انه بعث بعشرة الاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم
فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن
الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال
انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم
الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله
الجنة فصدقوه بما قال وقد صح عن ابي هريرة رضي الله عنه اشتري
عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بير رومة وجهز
جيش العسرة وصح انه استشهد اقواما من الصحابة على ان رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم قال من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة
بابيق درجات له فاشتريته بعشرين الفا وزدته في المسجد فشهدوا له فقال
الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البير فصدقوه
فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال دعوكم كيف يكون من
هذا له مغيرا ثم ذكروا انهم سيقولون ذلك في غيره فكان كذلك في علي لما
خرجوا عليه فاستشهد الصحابة على خصوصيات فشهدوا له فقالوا صدقوا
ولكنك غيرت وفي رواية ان محمد ابن ابي بكر لما دخل على عثمان وكان مع
الخارجين عليه استشهده ان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال
لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه في بيعة الرضوان وانه قال من يشتري
هذا النخل فيجعل دلوه في المسجد وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين
استبطؤوا عيرهم فسطلهم على انطلاع الخوارج بالسمن والعسل فكان اول
خبيص الحلوا في الاسلام وانهم طمسوا اطماء فحفروها بير رومة فاعظم عليها
الفقهاء ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوي سواء وان المدينة
انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشتري خمسة عشر راحلة طعاما فاخذ
ثلاثة واعطا النبي صلى الله عليه وسلم ثنتا عشرة فدعاله بالبركة فيما اعطى
وما امسك وانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف صفر فصبها في حجره
فقال صلى الله عليه وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى
الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير بحرا فرجف بهم فضربه
بقدمه وقال اثبت حرا فانما عليك نبي او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد
يقول نعم **تنبيه** قال ابن مالك من احسن شواهد قول الكوفيين
واخرين ان او ترد بمعنى الواو وهذا الحديث الاخير **اهدى الهدي** الى
مكة وارسله البها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه
الف واربعماية في ذي القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول

الحرم لما اي حين ان صده عن الدخول اليها الاعداء اي المشركون
وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف هدي غيره
لكن انما ذلك لعزة قومه بها دون غيره ففي الخصوصية حينئذ تامل بل قضيته
ادبه الاتي من تركه الطواف ترك ارساله حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم
ويجاب باحتمال انه اخر هديه لغيبته حتى حضر بعد نحرهم لهديهم فحينئذ
هو لم يرسله الا وقد ايسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة للادب وتفسيري
للماهن بحين هو ما ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك لفظ معنى اذ لانها
مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي تقتضي جملتين وجدت الثانية
عن وجود الاولى وكذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض وجملة
اسميه مقرونة بالفاء او اذا الفجائيه ويجاب لنا في لما ذهب عن ابراهيم الروع
الايه موول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثنا ان كل نفس لما
عليها حافظ في قراءة من شدد لما وفي هذا كلام سوى السواء والاباعد وتقرب
والقربا وادب والادبا جناس الاشتقاق او شبهه قال

وابى ان يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى البني فناء ٣٦٦

وابى رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه
الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه
من مكة ليقع الصلح بينهم على ان يرجع في هذه السنة ولا يدخل مكة ليلا يقول
الناس دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة المقابلة ويدخلها
والاسلحة في غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة
في السنة ولما ارسله امسك سهيل ابن عمرو عنده بدله وفي رواية انه صلى الله
قال لعمر اذهب فاستاذن لنا لنخلو بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس
هناك احد من بني عمي يحسن يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه
فارسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه

من

من دخولها لاداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدي
دون القتال فكلهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم
وقالوا ان شئت ان تطوف فطف اي امتنع حينئذ ان يطوف بالبيت
اذ تعليليه لم يدن اي يقرب منه اي البيت الى النبي متعلق
بيدن فناء وهو ما امتد من جوانبه ولما احتبسوه بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا وذكر الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس على ذلك وضع
صلى الله عليه وسلم يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على
يده اليسرى الحديث وفي رواية للترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة
رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا
وارسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله
تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال

فجزنه عنا ببيعة رضوان يد من بنيه بيضاء ٣٦٧

وسبب ما وقع من عثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه
الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم
للمسلمين لاسيما الاكابر هم كعثمان ومن تادبه مع النبي صلى الله عليه وسلم
الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له فيه جزنه عنا اي تلك الفعلة
التي فعلها من الذهاب اليهم والامتناع من الطواف ببيعة اي في بيعة
رضوان سميت بذلك لما في الاية الثانية من رضي الله عنهم بسببها يد
من بنيه اي عثمان بيضاء اي بالغة في الكرم الذي عم الانام

منها الي مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لاتجارته تلك اليد البيضاء
بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله
عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول قال

ادب عثمان تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء ٣٦٨

ادب عظيم جدا عثمان رضي الله عنه ومن عجيب هذا الادب انه حصل
فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع كونه تركا للفعل العبادي
تضاعفت الاعمال التي في ذلك الفعل وهو الطواف اي ثوابها بسبب الترك
لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك افضل من الفعل لو وقع
منه لانه ليس فيه هذا الادب الذي بلغ به عثمان مالم يبلغه غيره فلذا حق
ان يقال فيه وفي امثاله على سبيل المدح حبذا الادباء وهو تتميم بديع
وعثمان رضي الله عنه من اجل الادبا لانه كان عند من الحياء الذي هو منشاء
الادب مالم يكن عند غيره وهو من اجلهم كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
قال في حقه وقد استحيى صلى الله عليه وسلم منه لما دخل عليه فجمع ثيابه
الا استحيي من رجل تستحيي منه ملائكة الرحمن وروى من عمر فما اشد
امتي حياء عثمان ابن عفان احيا امتي واكرمها عثمان حق فسر تستحي
منه الملائكة ان الملائكة تستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله انما تشبه
عثمان بابينا ابرهيم عثمان ولي في الدنيا وولي في الاخرة لو ان لي اربعين
ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لايبقى منهن واحدة وما زوجته الا
بالوحي من الله وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة تقربها فمر عثمان فقال
هذا يومئذ على الهدي وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اي موليك
الخلافة فان ارادك المنافقون على خلعه فلاتخلعه حتى تلقاني فلذلك قال
لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا واناصابر عليه
وفي البخاري ان بعض اعدايه جاء الى ابن عمر وسماه بانه فر يوم احد وانه

تغيب

تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر رضي الله عنهما بان الله
غفر له وعفى عنه ما وقع منه يوم احد وبان تغيبه عن بدر انما كان باذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض ابنته رقيه وقال له ان لك اجر من
شهد بدرا وسهمه وبان غيبته عن بيعة الرضوان انما كان لكونه اعز اهل
مكة فارسله في حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلى الله عليه وسلم احدى
يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلما ولايعرف احد تزوج
بنتي بني غير وهذا سمي ذي النورين وقال وهو محصور يراد قتله
انه اختبا عند ربه عشرا وانه رابع اربعة في الاسلام وانكحه صلى الله عليه
وسلم ابنتيه ولا تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامرت به جمعة منذ اسلم الا واعتق فيها
رقبة فجملة ما اعتقه الفان واربعماية رقبة ولا زنى ولا سرق جاهلية
ولا اسلاما وجمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعلي صنو النبي ومن دين فوادي ود ان والولاء ٣٦٩

وعلي اي واقسم عليك بعلي وسبق منه الاقسام به ايضا وانما لم يكتف
به لان ذاك وقع نعتا للمجزء المقصورة بالذات وهي برء عينيه بتفله
صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من
ان الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة
وافضلهم ابو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه وهذا اجماع من
الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الشافعي رضي الله عنه
قطعي لانزاع فيه يعتد به ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه وكرم
وجهه وهذا ما عليه الاكثرون وهو ظني لاقطعي وخالف فيه سفيان
الثوري ومالك رضي الله عنه وغيرهما فقالوا بافضلية علي وان كان عثمان
احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة الى ما

من النبي صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضليته
علي على ما صح عن ابن عمر كما تخبر بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فنختار ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابي هريرة رضي الله عنه كنا معاشر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة بعد
نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل يحب محبتهم برعاية افضليتهم
فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجب ترتيبهم المذكور وان كانت لقوة قرابة واحسان
لم يجب رعايتها لذلك صنوا النبي صلى الله عليه وسلم لاجتماعهما في اصل
واحد هو عبد المطلب فهما كفخذين اصلهما واحد ومن اي الذي دين
اي اعتقاد فؤادي اي قلبي وداده اي حبه والولاة له اي مناصرته
والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم سال بوقوع الاجماع عليها وعلى
من خرجوا عليه ونازعوا الامر به ورموا بما هو برئ منه وذلك عملا بما صح عنه
صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا
منه وهو ولي كل مومن بعدي ولتاكد الذب عنه لكثرة اعدايه من بني امية
والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر حصه الناظم
بذلك وهذا استغل جماعة الحفاظ بجمع فضايله نصحا للامة ونصحا
للحق ومن ثم قال الامام احمد ما جاء لاحد من الفضل ما جاء لعلي وقال
اسمعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد من
الصحابة بالاسانيد الحسان الكثيرة ما ورد في حق علي كرم الله وجهه فمن ذلك ما
صح ان الله يحبه بل يؤخذ الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بالناس حتى لابيه في ما مر ان ابا بكر
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة لما نزلت دعا
صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء اهلي وانه قال

انا

انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال
من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون
صحابيا وان الله امر بحب اربعة واخبر بي انه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه
الا مومن ولا يبغضه الا منافق وانه من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه
وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه ينهلك
فيه اثنان محب مفرط ومبغض وان قاتله اللعين ابن ملجم اشقى الاخرين
كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين قال

ووزير بن عمه في المعالي ومن الاهل تسعد الوزراء

٣٧٠

ووزير بن عمه النبي صلى الله عليه وسلم في المعالي اي ناصره وحامل
كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم ونائب عنه في المعالي الدينية والدنيوية
جمع العلا وهو الرفعة والشرف واصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه
على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان
فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي
ومر الكلام عليه في شرح او دعنيما الزهراء وقال صلى الله عليه وسلم
فيما اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه علي مني وانا منه ولا
يودي عني الا علي والترمذي انت اخي في الدنيا والاخرة والخطيب علي
على منزلة راسي من بدني وابن عدي علي يعسوب المومنين والمال يعسوب
المنافقين والبزار علي يقضي ديني والنسائي والحاكم ان كل نبي اعطي سبعة
نجبا واعطيت انا اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة
وابو بكر وعمر الحديث واحمد انت اخي وابو ولدي يقاتل على سنتي الحديث
قال ابن عباس نزلت في علي بمنعاية ابه وليست الوزارة خاصة به رضي الله
عنه فقد اخرج الترمذي في حديث ما من نبي الا وله وزيران من اهل
السما ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من اهل السما فجبريل وميكايل

واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع
والبصر وفي رواية هما مني بمنزله السمع والبصر من الراس واخرج الطبراني
وابو نعيم ان الله امدني باربعة وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكايل
واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين
ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر الوزارة فيه
دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب وردت بمعناها
على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت مني بمنزله هرون من موسى فان
هذه الوزارة المستفادة من هذا التي هي كوزارة هرون من موسى اخص
من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص
على انه الخليفة بعده وهو كذلك لما يأتي قريبا المبطل لذلك الاستنباط
وبما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم اخاه دون غيره
وارسله موذنا على الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة على الحج ابو بكر
لان العرب لا يعقلون من بلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وحقدته وانه
استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودايعه وقضى ما عليه واتاه باهله
فهذه كلها موذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط
على انه وصفها بما هو اعظم منها واجل ومن ثم لا اهل نسعد الوزراء تدل
مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن ثم السعادة ما امده صلى
الله عليه وسلم من المواخاة فقد اخرج الترمذي اخى صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك
ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة
ومن العلوم التي اشار اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن
اراد العلم فليات الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها
وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علي واختلفوا في حكم هذا الحديث

لولا امام

فجماعة

فجماعة منهم النووي على انه موضوع والحاكم صححه وصوب بعض الحفاظ
المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي
بينهم فقال لا ادري ما القضا فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه قال علي رضي الله عنه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين
اثنين وقيل له مالك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سالته انبانني
واذا سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها ابو الحسن يعني
عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي رضي الله عنه وذكر عند
عايشة فقالت اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر
وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيما نزلت وابن
نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني
عن كتاب الله فانه ليس من اية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل
ام بجبل فلاجل هذه العلوم الكثيرة التي فيضت عليه من تلك الحضرة النبوية

٣٧١

لم يزده كشف الغطاء يقينا بل هو الشمس ما عليه غطاء

لم يزده كشف الغطاء يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة
التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل وبما جاوا به ما لا يزيد
اليقين فيه رويته ذلك عيانا واحترز بمجيء زيادة اليقين نفسه عن زيادة
ثمراته فان عاقلا لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق
اليقين اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمانينة برويته العيان
فلا منافاة فيه لما قاله علي كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه بل للاضراب
هو اي علي في فضله وعلمه وزهده وتقدمه على من عدا الخلفا الثلاثة
قبله وحقيته خلافته وقيامه وبها من قام به من قبله وزيادة الشمس

اى مثلها في الظهور والاضاءة التي لايلتفت فيها الي معقول متقول ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك ما عليه غطآء اي ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي ثمانية عشر منقبة ماكانت لاحد من هذه الامة وابو يعلي عن عمر قال اعطي علي ثلاث خصال لان يكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطي حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطآءه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي ابن ابي طالب وما احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا امير المومنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك منك اليها وقول احمد وقد سأله ولد عن علي ومعاوية اعلم ان عليا كثير الاعداء فتش له اعداء شيأ فلم يجدوا فجاؤا الي رجل قد حاربه وقاتله فاطروه وكادا منهم له وصح لمن نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحي اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا الله سبحانه ان يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها علي الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم رحمه الله اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الي من زعم انه لا اجماع على خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اي من الصبيان واعتد باسلامه حينيذ لان الاحكام اذ ذاك منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك واخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحي وهو احد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه

وسلم

وسلم وكتب كثيرا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امر ان يقيم بعده بمكة حتى يودي عنه ودايعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر فاذن في الناس في الموسم ببرئة لان العرب لا تعتدون بما يجي على لسان الكبير الا اذا كان الرسول منه من اهله ومن ثم جاء في حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر عقب فتح مكة فكان مما قال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوة ولتوتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضا الا تبوك لانه استخلفه على المدينة وقال له لما قال اتخلفني مع النسا والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وبكونه انما قال له ذلك حينيذ يبطل تمسك الشيعة به على ان الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حياة موسى صلى الله عليهما وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الي صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راي النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكى اليه ما لقي فقال ادع فدعا انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الي السما وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت والها الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلوة صحن فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوايح وقيل لم تمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر فعثمان

رضي الله عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما اما عمر فقتله مجوسي عبد
للمغيرة ابن شعبه لكونه شكى اليه ثقل خراجه فلم يسكه لعلمه بقدرته عليه
وزياده لكسب صنايعه فكمن له ابي لؤلؤة بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من
صلوة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم
فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستاذن عايشة في ذلك فقالت كنت اعددت
ذلك المكان لنفسي ولاوثرنه به فاستدرجه بذلك ولما عثمان فاجتمع
على قتله اوباش اربعة الاف مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه
في اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمانين
سنة وقيل اكثر وقيل اقل وتوهما منهم انه اراد قتل محمد ابن ابي بكر رضي الله
عنهما وهو بريء من ذلك وانما فعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع
عنه لكن منعهم ان يقاتلوا محاصروه لما قال له زيد ابن ثابت ان الانصار
بالباب يقولون ان شيت كنا انصار الله مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك
كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر عليه ومن ثم
كان عنده في الدار مما يملكه الكثيرون فاراد وا ان يمنعوا عنه فقال
من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبارهم صلى الله عليه وسلم انه مقتول
مظلوم وانه على الهدي وانه لا مخلص له من القتل وامر ان لا يعز نفسه كما صح
في الحديث وهو يا عثمان انك ستولي الخلافة من بعدي سيراودك المنافقون
على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك تفطر عندي كما مر ذلك في الاحاديث
وصح ان عثمان اشرف من كوة فقال العلي يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب
متني فقال اصبر يا عبد الله فوالله ما غبت عن قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين كنا على احد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت احد فانه
ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولا قتلن
معك وليقتلن طلحة والزبير رضي الله عنهم اجمعين قال

ويا بي

٣٧٢

ويا بي اصحابك المظهر الترتيب وبنا تفضيلهم والولاء

واقسم بيا بي اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة
منها ان عمر رضي الله عنه لما ان جعل الامر شوري بين الستة انكر عليه بانهم
ليسوا رضى فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له بدك في يدي تدخل معي يوم القيمة حيث ادخل وذكر في عثمان حديث
انه يوم يموت تصلي عليه الملايكة السموات ذلك له خاصة وفي طلحة
ان رجل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال من يتوكر لي وهو في الجنة
فبدر طلحة فسواه له فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك
في اهوال يوم القيمة حتى ابجيك منها وذكر في الزبير انه جلس يبث عن وجه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله لم تزل
قال لم ازل بابي انت وامي قال هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك يوم
القيمة حتى ادب عن وجهك شور جهنم وذكر في سعد ابن ابي وقاص انه
صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر مرة يدفعها
اليه فداك ابي وامي وذكر في عبد الرحمن ابن عوف ان الحسنين استدبكا وهما
جوعانا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف
بصحفة فيها حيسة ورغيفان بينهما اهاله فقال صلى الله عليه وسلم
له كفاك الله امر دنياك وامر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حرا لما ارتج عليه
وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد قال له
النبي صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها
من رواية عمر ابن نفيل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة
وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف
في الجنة وسعد ابن ابي وقاص في الجنة وتاسع المومنين في الجنة فنشدوه
بالله عنه فقال انا اذا نشدتموني فانا تاسع المومنين ورسول الله

صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح **المظهر** اي
المبين **الترتيب** بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول **فينا**
اي لنا **تفضيلهم** علي حسب المراتب التي بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم
وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول اظهر **و** المظهر ذلك بينهم لنا
ايضا **الولاء** اي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم
ومن ثم سيل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب
ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة او احسان لا يجب ان يكون
لذلك وما تاله في الخلفاء الاربع ياتي في بقية رضوان الله عليهم

طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء

طلحة ابن عبد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهود لهم بالجنة ٣٧٣
واحد الثمانية السابقين الي الاسلام واحد الستة اصحاب الشوري في
الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد
الخمسة الذين اسلموا علي يد ابي بكر يكون السبب في اسلامهم وسماه
النبي صلى الله عليه وسلم طلحة **الخير** لجوده فكان غاية فيه حيث باع
ارضا بسبعماية الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حابها فاصبح ففرقها
وفي رواية ففرقها في ليلته علي فقراء المدينة وجاه رجل له بسالة
برجمه فاعطاه ثلاثة الاف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعماية الف
وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الي
عايشة رضي الله عنها في كل سنة عشرة الاف درهم وتصدق في يوم بماية
الف ثم لم يجد نوما يذهب فيه الي المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد
بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم لمن شهدها اجرا وسهما وقيل لانه
كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله وسعيد ابن زيد

رضي

رضي الله عنه للتجسس عن خبر قريش وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافياه
منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة
ويا زبير ان لكل نبي حواري وانتما حواريا اي ناصراي وان الخلفاء الاربعة
وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد كانوا امام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في القتال وخلفه في الصلوة في الصف وليس احد من المهاجرين والانصار
يتوم مقام واحد منهم غاب او شهد **المرتضيه** اي الذي ارتضاه النبي
صلى الله عليه وسلم وجاري عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الي معموله
الضمير العايد علي ال المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والماضيه ومنع
المبرد هذه الصورة واوجب النصب اي ليلا يلزم عليه اجتماع اداتي تعريف
ويرد ان اضافة الصفة الي معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا فمن ثم
جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى كالضاربا او جمعا علي
حد زيد والضاربوا زيدا واصيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل والمضاف
اليه كالقاصد باب الكريم او الي ضمير هي مرجعه اي كما هنا ومن قال التقدير
الذي ارتضى هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينيذ
لانها ليست الي ضمير مرجعه ال فتنبه له **رفيقا واحدا** هو ما في اكثر النسخ
وفي نسخة احد وهو الفاعل الذي ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي
وفي اخرى احدا وهو علي نزع الخافض اي في احد **يوم** ظرف لاسم الفاعل
وقول الشارح انه بدل من احدا اي بناء علي النسخة الثانية بعيد **فرت الرفقاء**
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد وسعيد والامانة
والامناء تمسكت واستمسكت وانطوت وانطوي واغتنا والعوث والغيث
الاتيان جناس الاشتقاق وفي ذكر واحد في اكثر النسخ بل المنقول في السير
وغيرها ان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة
عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفي البخاري لم يبق معه

صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير
ان طلحه وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده
الناس قال وكانت لطلحة اليد البيضا يوم وبى النبي صلى الله عليه يومئذ لما
ضرب بالسيف فشج وجهه بيده فشلت واستمرت شلا وكان الصديق اذا
حدث عن يوم احد يبكي وقال ذلك كله لطلحه وقد قال له صلى الله عليه وسلم
اوجب طلحه اي وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر
بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فبرك
له طلحه فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة
وبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه
وعن عائشه انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة ابن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحه وقد
نزف فاصلحنا من شانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به
بضع وسبعون او اقل او اكثر بين طعنه وضربة ورمية واذا قد انقطع اصبعه
فاصلحنا من شانه ثم رايت حديثا صحيحا مصرحا به في النظم على نسخة واحدا
وهو لقد رايتني يوم احد وما في الارض قرني مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة
عن يساري ولما رجع صلى الله عليه وسلم من احد صعد للمنبر فحمد واثنى
ثم قراء من المومنين رجال لا يه فقيل يا رسول الله من هولاء فقال هذا
منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى
شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة ابن عبد الله وصح ايضا
طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي الزبير بحضرة سعد
ابن ابي وقاص فينهاه فيابى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان مبطلا يريه فيه
اية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هايج يتخلل الناس فاخذ
وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد ابن المسيب فانا رايت

الناس

الناس يتبعون سعدا ويقولون هنيئا لك ابا اسحق اجيبت دعوتك
وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى
للزبير ما يابى ووعظ طلحة فتاخر ووقف في بعض الصفوف فجاه سهم
فرماه في ركبته فقتله في جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين عن اربع وستين
سنة في الاشهر ودفن بالبصرة فجاء علي فجعل يمسح التراب عن وجهه
ويقول رحمة الله عليك ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا قال

وحواريك الزبير اني القدم الذي لجبت به اسماء

وحواريك اي ناصرك الزبير ابن العوام القرشي وامه صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب
الشوري والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه احد
كحمزة وعلي في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفرا
نزلت الملائكة بعمايم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع
اخذ محمد فخرج يتلقى الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم
باعلى مكة فقال له مالك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسبقه
شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها
اليد البيضا والهمة العليا احترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى اخرهم
وفتح مصر مع عمر ابن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى
الله عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال انا فاعاد فقال
انا فاعاد فقال انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري
الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال ارم فداك ابي وامي وصح
عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل
نعم قال لما والله انه لخيرهم ما علمت وانه كان لاجبهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه لخيركم ثلاثا وكان

له الف عبد يودون اليه الخراج كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم
بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج
علي كرم الله وجهه على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادي ادعوا
لي الزبير فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له نشدتك الله
اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال
يا زبير تحب عليا فقلت الا احب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال
يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك ثم ادبر
راجعا فقال ولد عبد الله مالك فذكر له القصة فقال لم يجئ للقتال بل
لنصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال له جبنا جبنا فقال لقد علمت الناس
اني لست بجبان ولكن ذكرني حديثا فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب
رجوعه انه قال لاصحاب علي اتيكم عمار ابن ياسر قالوا نعم فاعمد سيفه
وقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك الفئة
الباغية وما مانع انه قال ذلك ثم ذكر علي بالحديث زيادة في اعلامه ثم
سار فلما وصل وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادي الاول سنة ست
وثلاثين وعمر سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي
قال لابنه عبد الله ما اراني الا مقتول اليوم مظلوما ثم الدعليه في ان يبيع
امواله ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وقدر
دينه الفا الف ومائتا الف وما ولي امارة قط ولا جباية ولا خراجا وما خلف
درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا فقضى ما
عليه ثم اقام اربع سنين ينادي كل موسم من له عليه شئ فليأتنا فلما لم يات
احدا خرج ثلث ماله لانه اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع
نسوة فاصاب كل منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف

ومائتا

وما يتا الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بان الصحيح ان
الذي تركه مما دين والوصية ودث عنه تسع وخمسون الف الف وثلثمائة
الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله كله حلال صرف كذا قيل
ولا حاجة اليه بل اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان اموالهم اما من سلب او سهم
من الغنيمة او الفيء او تجارة مبرورة واوصى اليه سبعون من الصحابة باولادهم
واموالهم فحفظها وكان ينفق على اولادهم من ماله ومن مدح حسان
ابن ثابت فيه رضي الله عنهم قال

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ٭ عن المصطفى والله يعطي فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ٭ وليس يكون الدهر ما دام يذبل
تناول حيز من فعال معاشر ٭ وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

ابي القرم بفتح القاف وسكون الراء اي السيد الكريم عبد الله الذي
الجنب اي انت به في غاية النجابة والشجاعة والراي الحازم والتصرف
الصايب اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين
سنة من الهجرة بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة واشد فرح المهاجرين
به لان اليهود اوعدوهم انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما
ولد بان كذبهم ولما احنكه صلى الله عليه وسلم اعطاه تمرة ومضغها في
فمه فكان لا يراك فيه احد فلما جاء اليه قال لما فعلت بالتمر قال شربته قال اذا
لا يلج النار بطنك ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى
في الخلافة لما مات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز
والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة لتمدها وسماعه من خالته عايشة رضي
الله عنها ما روته له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثوا عهد
بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربي وجعلت
بابها الشرقي لاطيا بالارض كما كانت في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم

فاعادها ابن الزبير كذلك بعد ان شاور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم
من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر ذلك البنا باقيا
له ان يهدمها ذو السويقتين فان البنا الموجود الان كله بناء الاحياط
الميزاب فان الحجاج لما حصر اول الحجة سنة اثنين وسبعين وحج بالناس
ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادي الاول سنة ثلاث وسبعين هدم
ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج
الستة تم اخر الجدار كما هو اليوم وسد باب الغربي واعلى الباب الشرقي
لتصير كما كانت قبل من ابراهيم فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير صواما
يواصل الخمسة عشر يوما واكثر قواما اطلس لا حية له من زهاد العرب المشهورين
وتجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربع المقاربين سنا وعلما وذكا
وفهما والثلاثة عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو
ابن العاص وليس منهم عبد الله ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم

والصفيين توأم الفضل سعد وسعيد ان عدت الاصباء

والصفيين تثنية صفي وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات
توأم الفضل من اتامت المراة ولدت اثنين اي ان الفضل انجبهما لكنه
ما قام بهما منه ولو قال توما الفضل لكان اوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا
في الفضايل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد **سعد** ابي اسحق
ابن ابي وقاص مالك القرشي الزهري وهو احد الستة اصحاب الشوري
والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام لذلك سبعة
ايام والعشرة المشهود لهم بالجنة والتجعان المشهورين وهو اول من
رمى بسهم في سبيل الله ومن كان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم ولاه عمر
العراق فكان الامير في فتح مداين كسري وغيرها ومن كرامات الظاهرة

قطع

قطع البحر على ظهور الخيل ولم يبلغ منها الى حزمها والناس في غاية الطمانينة
كانهم سايرون بالبر وكان الذي يسايرهم سلمان الفارسي رضي الله عنهم
ولذلك ولاه عثمان ولاية جليلة وكان صلى الله عليه وسلم بنا وله البنل
يوم احد ويقول ادم فداك ابي وامي واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس
مع اصحابه فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس ياخالي
فان الخال والد دعاله فقال اللهم سدد رميه واجب دعوته وفي رواية
صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك
وكان مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه
يعيش وقال له لعل الله ان يرفعك فينتفع بك اقوام ويضربك اخرون
واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيا من تلك الحروب
توفي بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه
مروان ابن الحكم وهو يوميذ وال بالمدينة وصلى عليه امهات المومنين
في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين وكان
اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت
اخباها لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان اية ولا تطرد الذين
يدعون ربهم نزلت في ستة منهم سعد وابن مسعود **وسعيد** بن زيد
ابن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة المشهود لهم بالجنة
وشهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد بدرا ومر في ترجمة طلحة
انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا
وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب في اسلامه
كما مر ولذلك لم يدخله في اهل الشوري كولد عبد الله ليلا يظن به انه
حابى اقاربه واخرج الشيخان ان امراة ادعت عليه عند مروان انه اخذ
لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال
مروان لا اسالك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم
بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها وبينا هي تمشي في ارضها وقعت في
حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه كان
جارها بالعقيق فانه اعطاها الذي ادعته ثم دعا عليها بما مر توفي سنة
خمسين عن بضع وسبعين سنه ودفن بالمدينة وابو زيد توفي في الجاهلية
لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسلا غفر الله لزيد
ابن عمرو رحمه ومنها وهو صحيح سيل صلى الله عليه وسلم فقال يا بني يوم
القيمة امة وحده يبعث وبين عيسى ان عدت الاصبناء فهذان من اكابرهم
كيف وفي اسمهما ما يشعر بعلو همهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة

وابن عوف من هونت نفسه الدنيا ببذل عمره اشراء

و عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري احد الثمانية
السابقين للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة
والخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شيء فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي نصفه
وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد دروا لي اصحابي ولو كان احد
ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم يزن غدوة وروحة من غدوات
وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن بيت يوم احد ودعته
صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني الكلب وعممه بيده الكريمة
وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم او قال سريعهم
ففتح الله عليه وتزوج بنت سريعهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصح انه
صلى الله عليه وسلم ايتم به في غزوة بتوك فصلى وراءه ركعة من صلوة الصبح

وهذه

وهذه منقبة لم تكن لصحابي غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم
ذهب لحاجته فاداركهم الوقت فاقاموا الصلوة فتقدمهم عبد الرحمن ولما
اتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل
صالح من امته وايتم صلى الله عليه وسلم بابي بكر ايضا لكنه اخرج نفسه عن
الامامة بتاخر وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت
وقد استرت اليك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يقدم بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك قلت
الظاهر انه لم يعلم بافتدايه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى الله عليه
وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به
الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء الذي يليه وكان كثير الانفاق في
سبيل الله اعتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما
اعتقه ثلاثون الفا وفي حديث انه امين في السماء امين في الارض وكان
كثير المال محظوظا في التجارة قال ام سلمة خفت ان تهلكني كثرة مالي
فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد النبي صلى الله عليه
وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم بمثلها ثم
خمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية الف وخمسمائة راحلة
واوصى لامهات المومنين بحديقة فبيعت باربعمائة الف واوصى بخمسين الف
دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا باربعمائة دينار وكانوا
مائة وبالف فرس في سبيل الله وكانوا اهل المدينة عيالا عليه تلث يقرضهم
وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة
فسمعت عائشة رضي الله عنها اصواتها فزوت حديث يدخل ابن عوف الجنة
حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال اشهدك انها باحمالها واقتابها في
سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها في اقاربه

بني زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين وروى انه صلى الله عليه
وسلم قال له لن تدخل الجنة الا رحفا فارقرض الله عن وجهك يطلق لك قدميك
قال ما الذي ارقرضه قال تتبرأ من كل مالك فلم يذلك فجاءه جبريل عليه
السلام فقال مره فليضيف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل فاذا
فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذي صح من ذلك اتاني جبريل فقال
مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل وليبدا بمن
يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره
انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه خيار المسلمين روى ابو نعيم وعيره ان
رجلا لين الصوت قراء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي احد
الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم
تكن فاضت عينه فان قلبه وفي حديث ضعيف اول من يدخل الجنة
من اغنياء امتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا
حبوا وفي رواية لاحمد فدرايته يدخل الجنة حبوا لكن ذكر ابن الجوزي في الموضوعات
وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كاني بعبد الرحمن ابن عوف على الصراط
يميل مرة ويستقيم اخرى حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة
انه صلى الله عليه وسلم لقاك امر دينات وامر اخرك فانا ضامن لها وسببه
ان الحسنين استدبكا وهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا
بشيء فاتاه بصحفة فيها حيس ورغيفين بينهما اهاله تو في عن اثنين
او خمس وسبعين سنه سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه
علي وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما امر اقاربه فقال لابن عوف هذا
فعلك فدخل عليه فلامه وقال انما وليتك لتسير سير الشيخين فقال كان عمر
يقطع اقاربه في الله وانا اصلهم في الله فنذر ان لا يكلمه ابدا وترك من الذهب
ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته

ومال

ومال كثر فيما يفوت الحصر قال من بدل مما قبله هونت نفسه الدنيا
اي صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عندها سبب بدل لها في وجوه
الخير والقربات بذلا دايما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات
العلى كما مر في الاحاديث وذلك البذل الكثير عبده اشراه اي كنز المال
الذي فتح الله به عليه واكثر من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث
اذا مسك التراب صار ذهبا قال

والمكنى اباعبيدة اذ نعزى اليه الامانة الامناء

والمكنى اباعبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري امين هذه
الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية واميني وفي اخرى وامينا ايها
الامة واحد العشرة والرجلين الذين عينهما الصديق يوم السقيفة
للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد على يد
الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن
ابن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى
الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم
ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ان يامسه
صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما والهتم القاء مقدم
الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا
عليه وعلى عشرين لعلمه بالحروب ولما ولى عمر اعاكى لكن امره ان يستشير خالدا
وهو اول من سمي اميرا لامرا بالشام وروي انه صلى الله عليه وسلم امره
على سرية فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابو لوم بدر فاعرض عنه فلامه
فلما كثر عليه قتله فنزلت اية فيه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم
الاخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مدبك لابايعك قال ما

كنت لا تامر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى يا حيي قبض
وقال عمر رضي الله عنه لين ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة
ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة
فقالوا الساعة ياتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن
ناقته فاعتنقه وقال انطلقوا فانام دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى
سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر رضي الله عنهما وقال لاصحابه تغيرنا
فقال رجل ملوء هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال اخرجوها
انفقه كذلك قال عمر رضي الله عنه وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوة رجالا
مثل ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح
عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحاب الا لو شيت اخذت عليه في بعض
حلفه غير ابي عبيدة ابن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون
في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبين بيت المقدس اول ما وقع بها
ثم انتشر في الشام وقبره معروف ثم قال النووي رحمه الله زرته فرايت
عنده عجبا ورايت عليه من الجلالة ما هو لايق به اذ ظرف لاقسم المقدر
او تعليل له تعزي اي ينسب اليه اي ابي عبيدة الامانة الامناء
واجلهم بيننا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين
هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية واميني وفي اخرى وامينا
اينها الامة واعلم ان هذا لقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه
اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا ينفي تفضيلا على الخلفاء
الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها
على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما
على من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا

ايضا

ايضا لان المفضول قد يتميز بمزيه بل بمزايا لا توجد في الفاضل لان خلف
المزايا مزايا اخرى اجل منها واعظم فحصل مناط الافضليه فيه وان
خلا عما تميز به المفضول قال

وبعمك بيزي فلك المجد وكل اتاه منك اتاء

واقسم عليك بعمك اخوي ابيك وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما
وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بحنى السنتين نيرى تثنية نير وهو
الكوكب المضيء فلك هو ما تسير فيه الكواكب المجد اي الكرم والحسب
شبه المجد بالسما واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل فلك فهي
استعارة بالكنايه واستعارة تخييليه وريح بذكر النيرين وشبههما بالشمس
والقمر واثبت لهما ما هو من لازمهما وهو الاضاءة وهي ايضا استعارة بالكناية
واستعارة تخييليه وفيها ايضا استعارة تجريديه بذكر المجد الملايم للعمين
وكل منهما اتاه اي حصل له منك اباء بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر
والنماء كما هو في القاموس وقال التاريخ هو ما يستفاد من النعم
والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة
رضي الله عنه وكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان عظيما
شجاعا اخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعه اسلم قديما وسبب اسلامه
ان اللعين ابا جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف
ابو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه
فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشدها شكيمة فغضب وعمد فنجحه في راسه
نجحة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم
فمنعهم ابو جهل خشية الفتنه وهو اول من تحدله صلى الله عليه وسلم لواء
حين بعثه الى سيف البحر بكسر السين من جهته استشهد باحد نصف
شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احدى وثلاثين كافرا قتله وحشي

عبد لعقبة السلمي قال لرايته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما امكنت
من رميته رميت حربتي فاصابته وليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد
ذلك اسلم وحشي هذا فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني
خشية ان يصيبه منه شيء اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامه
فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد
اصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنا نعجب لقاتل حمزة كيف يجيء حتى مات
غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يجد في الخمر حتى خلع من
الديوان وكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى النبي
صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكا ولما راى ما مثل به شهق وقال لن اصاب
بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لي من هذا وروي ابن سعد ان عن ابن
مسعود ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكايه على
حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكا حتى كاد يغشى عليه
يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسد الله واسد رسوله
يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في هذا نوح ولا تعديد بل اخبار
بفضايله وشمايله رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيمة
وانه لولا جزع المناحة لتركته يحشر من بطون الطير والسباع وحديث
رحمة الله عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم حديث
والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة
حمزة ابن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق
ان الملايكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس رضي
الله عنه وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل معظما
بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم ربيا في قريش قبل الاسلام

وكانت

وكانت اليه عمارة المسجد الحرام والسقايه وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم
يثق به في امر كله اسر ببدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا
يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم شدوا
وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل
وارخى من وثاقه ووثاق البقيه وفادي نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان
قال ما معي شيء فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل
اي زوجته حين خرجت اذا انا مت فاعطي بني كذا فقال من اعلمك بهذا
ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج
الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه خفت الهجرة وكان ردء للنبي
صلى الله عليه وسلم يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة سعون به
وكان يحب التقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاءك بمكة
خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا عباس الفدا ابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه
حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس ويقول
اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وها نحن نتوسل بعم نبينا
فاسقنا فيستجاب توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان سنة
اثنين وثلاثين وله نحو ثمانين وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح
حديث العباس عمي وانا منه لاتبوا اموتانا فتوذوا به الاحيا وحديث
سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقه فقال ما كنت لاستعمل
على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى العباس فقد اذاني فان عم الرجل
صنو ابيه وحديث اوصاني الله بذي القربى وامرني ان ابداء بالعباس بن
عبد المطلب واخرج الدارقطني في الافراد لكون في ولد العباس ملوك
يلون امر امتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر ذنبه وتقبل منه

احسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له في ذريته لا توذوا
العباس فتوذوني من سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف
وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي وارثي واخرج الرافعي الا
ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومنك المهدي
في اخر الزمان به ينشر الله الهدي وبه تطفى نيران الضلالة ان الله
فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وابو نعيم في الحليه الا ابشرك يا ابا الفضل
ان الله عز وجل فتح بي هذا الامر وبذريتك يختم ويكون المهدي من ولده
يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمه وصح انه من ولد الحسن
وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسين وشعبة
من ولد العباس والترمذي وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده
مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر علينا اللهم اخلفه في ولده والخطيب
وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر
اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدي وما اخفى وما كان وما
يكون منه ومن ذريته الى يوم القيمه والخطيب يا عباس انت عمي وصنواي
وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومايه فمتى لك
ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي قال
وبام البطين زوج علي وبنيها ومن حوته العباء
و اقسم عليك بام البطين الحسن والحسين فاطمة وهي اصغر بناته
صلى الله عليه وسلم زوج جرده عن التاء لانه الافصح علي زوجها
له النبي صلى الله عليه وسلم تاني سني الهجرة بوحي من الله بذلك كما ورد بيني
بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجه على راس اثنين وعشرين
شهرا وكان سنها حينئذ خمسة عشر سنه وخمسة اشهر ونصف وقيل
نحو عشرين سنه وسن علي لحد وعشرون سنه واشهد قال ابن عبد البر

هي ام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة احب بناته اليه وكان بعلها في قيمها
ويمضها لسانه واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل
عليها توفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشرة بينهما
نحو ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنه اي على القول الثاني وقد اسر اليها
النبي صلى الله عليه وسلم انها اول اهل بيته لحوقا به فسرت بذلك دفنها علي
ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة ولدها
الحسن قرب محلها وكان القطب ابو العباس المرسي يجزم بهذا قيل
ولعله كوشف ورؤي احمد في المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست
ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة الان فلا يغسلني احد ولا
يكفني فماتت فامتثل علي وصيتها لكن يعارضه انها امرت فاطمه بنت عميس
بانها تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وبنيها
يعني اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم
وزينب واولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا
منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا
وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر يعون بن جعفر ثم بعد مونه باخيه محمد
ثم باخيه عبد الله ولم يعقب منهم شيا ثم تزوج الاخير زينب فولدت له عدة
منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما وهم شرف اعلا من شرف اولاد عبد الله
من غير زينب وادون من شرف اولاد الحسين لمزيتهما بما ورد فيهما وللعباس
والطالبيين شرف ايضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي
بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيده نفيسه بنت الحسن
ابن زيد بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم اجمعين ولد منها ولدان لم
يعقبا ومن حوته العباء وهو النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي
وابناهما ومر لبعض هولاء فضايل كعلي وابنيه رضي الله عنهم اجمعين

ومن فضائل فاطمة رضي الله عنها ما صح عن ابيها القايل تعالى في حقه
وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وينصبني ما
انصبها احب اهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيمة نادي مناد من وراء الحجب
ياهل الجمع اغضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر
ان فاطمة حصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة مني
يغضبني ما يغضبها ويسطيني ما يبسطها وان الانساب تقطع يوم القيمة
غير نسبي وسببي صهري فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران
اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك من
السماء فاستاذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل
الجنة يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء
المومنين وسيدة نساء هذه الامة وخبرتاني جبريل بسفرجلة
من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا اشتقت
الى رايحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الايمة رداعلي تصحيح
الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة
فضلا عن الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل علي علي و فاطمة وابنيهما
كساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية
القى عليهم كساء ووضع يده عليهما وقال اللهم ان هولاء ال محمد فاجعل
صلواتك وبركاتك على ال محمد انك حميد مجيد وفي اخرى ان الاية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
انزلت ببيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال
نحوما مر وفي اخرى ان ام سلمة قالت له الست من اهلك قال بلى وانه
ادخلها الكساء بعدما قضى دعاءه لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يارسول الله

وطلحة
بتناسل

انا

انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى وفي اخرى ان وائلة قال
لما سمعه صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم وهم تحت الكساء وعلى يارسول
الله فقال اللهم وعلى وائلة وانها لمن ارجا ما ارجوا قال البيهقي وكانه
جعل فيه حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار
المحب الطبري الى ان التخليل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم
في بيت ام سلمة وفي بيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات
في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم وما اجاب به وائلة وام سلمة
وفي اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال
يارب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم
بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت فقالت امين

وبازواجك اللواتي تشرفن بان صائرهن منك بناء

٣٨٠ و اقسم عليك بازواجك اللواتي تشرفن بان صائرهن عن النار
والنقايض لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله لم يزوجه الا من ستكون
معه في الجنة منك حال من قوله بناء اي دخول وظاهر كلامه ان
من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه على
حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف او تحل لم يحصل
لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات واسرائيلية
اوطن خديجة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما
ولها يوم تزوجها اربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون عند الاكثرين
وكانت قد عرضت نفسها عليه كما مر وهي اول من امن به من النساء في
الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام
او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقري عليها السلام من ربها ومني وبشرها
ببيت في الجنة من قصب اي لولوء مجوف لا صخب فيه ولا نصب ولا ذ

صلى الله عليه وسلم الا ابراهيم واختلف في عدتهم وجملة ما اتفق عليه
منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين
على خلاف فيه واربع بنات زينب وهي اكبرهن ومانت سنة ثمان من الهجرة
عند زوجها ابن خالتها ابن العاص بن ربيع ولدت منه عليا كان ردفه
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلوته
تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهم ثم رقيه توفيت وهو صلى الله عليه وسلم
ببدر ولما عزى بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي
ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابن ابي لهب
ثم فاطمة الزهرا البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين
من مولده صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة
زاد ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهرا لما مر وبتولا لان
الله تعالى فطمها عن النساء حسبا وفضلا او لانقطاعها الى الله واختلف
في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير اولئك الستة فقيل الطيب
والطاهر وعبد الله قيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو
الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن سريته المقبطيه
ولد في ذي الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم ابيه قبل السابع او فيه
روايتان وجمع بانها وقعت قبله بخفيه واظهرت فيه وكان صلى الله عليه
وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند ظئره الحداد فياخذه ويقبله ثم يرجع
ثم توفي وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي
رواية انه لم يصل عليه اي بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو بقي
لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا صلى الله عليه وعليهم وسلم
لكن بالغ النووي في تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال
فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت خديجه

قبل

قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة
ثم تزوج سوده بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي الله عنهما اخي سهيل
ابن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد عقده على عايشة رضي الله عنها
ودخل بها قبل عايشة على ما جمع به بين الخلاف في ذلك واراد طلاقها لما
اسنت فوهبت نوبتها لعايشة فامسكها توفيت بالمدينه في شوال سنة
اربع وخمسين ثم عايشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها في
المدينه في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج
بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسايه ولما فقدها
في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت فقيهه عالمه حافظه
فصيحة ماتت بالمدينه سنة سبع وخمسين وكناها صلى الله عليه وسلم
ام عبد الله بابن اختها عبد الله ابن الزبير لاسقط اسقطته منه صلى
الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي وخديجه افضل امهات المومنين
ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح ان عايشة لما قالت له قد رزقك الله
خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني
حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقراء عايشة السلام من
جبريل وخديجة السلام من الله والاصح ايضا ان فاطمة افضل من خديجه
لما فيها من البضعة الكريمة التي لا بعاد لها بشي والخبر المقتضي لخبريه
خديجه اجيب عنه من حيث الامومة لا السياقة وممن جرى على ذلك
الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة
افضل ثم خديجه ثم عايشه واختار ايضا ان مريم افضل من خديجه
للاختلاف في نبوتها ثم حفصه بنت عمر رضي الله عنهما سنة ثلاث من
الهجرة بعد ما رجعت مهاجرة الحبشه وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها
صلى الله عليه وسلم فاوحي اليه راجعها فانها صوامة قوامة ولها زوجك

في الجنه توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة
سنة اربع وكانت من اكمل النساء مائت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع
ثم ام حبيبه رمله بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله
ابن جحش بالحبشه مرتدا سنة ست زوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري
وكبله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه
صلى الله عليه وسلم ودخل بها سنة سبع مائت بالمدينه سنة اربع واربعين
وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها ودخل عليها بغير عقد
كما دله عليه الايه وكانت تفخر بذلك على امهات المومنين سنة خمس وقيل ثلاث
وهي اول من مات منهن بعد وصح عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها في الدين
واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة واشد ابتذالا لنفسها
في العمل الذي تتصدق به وتقرب به الى الله تعالى وهو الدمع رواه مسلم
مائت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلاليه وكانت تسمى
في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم مائت بعد ثلاثة
اشهر وتزوج ميمونه بنت الحارث الهلاليه سنة سبع بعد خيبر وبنى بها
بسرف وكان حلالا وفي رواية محرما معناها انه في الحرم على انه من خصايصه
صلى الله عليه وسلم ان لمن يتزوج وهو محرم ومائت فيه سنة احدى وخمسين
وقبرها مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعيه وكانت
وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسال
النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال اهل لك فما هو خير من ذلك اؤدي
عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم
من قومها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله
عنها فما رايتنا امراة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق في سببها مايه
اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود عن ابن شهاب انها اختارها

من

من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنه توفيت سنه خمسين
وتزوج صفيه بنت حيي من نسل هرون صلى الله عليه وسلم وهي من سبي خيبر
اذن صلى الله عليه وسلم لدحيه في اخذ جاريه فاخذها فقيل اعطيته سيد
قريظه والنظير لا تصلح الا لك فحتى عليهم الفتنه فاعطاه غيرها ثم اعتقها
وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لها هل لك في قالت يا رسول الله اني كنت اتقى ذلك في الشرك وكان
بعيدا حضرة فسالها عنها فقالت انها كانت تايمه وراس رجوعها ملكهم في
حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب مائت في رمضان سنه
خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه والجمع عليهن واختلفوا في تسع عشرة
امراة بعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط ذلك كتب السير

الامان الامان ان فوادي من ذنوب ايتهن هواء

الامان اي اقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما منحتهم به ان تنيلني من حضرتك
بواسطة شفاعتك بي الى من لا يخيب شفاعتك او يومنني الامان الامان
تاكيد اي من عقاب الله ما اقترفته من الذنوب وفظيعه ما جمعته من الكبو
ان بالفتح تعليلا والكسر استيناف وفيه ايماء الى العلة ايضا فوادي
من اجل ذنوب ايتهن هواء اي خال عن فهم ما تسعى في دبى
ودنياي الحيا والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه
وفي نسخة هباء اي لا وجود له فيرجع معنى الاول ومما يعطيك حتى يزيد
اعتنائك بي وامدادك لي انه قال

قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء

قد تمسكت اي توثقت واعتصمت من ودادك اي محبتي لك وكون
المحبة تستلزم الاتباع افاهوا على كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء
يحب القوم ولم يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب او ان المستلزم لذلك

هو كما لها او ان دلك من الناظم من هضم النفس بتقدير ما لم يقع واقعا كما هو
شان الخوف المراعى مطلقا وفى بعض الاحوال بالحبل اى السبب الاقوى وهو
العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل
بعملهم الذي استمسكت به الشفعاء من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء
فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا ادركتهم محبتك
مرتبة قبول شفاعتهم فى الاعيار او رتبتى ووقع شفاعتك فى جامع انى
احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين واعلم ان العلماء
العارفين رضى الله عنهم اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا
فى حقيقتها بل احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى لا تحد كما
اطبق عليه المحققون وانما يعرف بها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه
ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره هى لا تحد بحد اوضح منها فالحدود
لا تزيدها الا خفاء وجفاء وانما تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها
وشواهدها وثمراتها واحكامها لحدودهم ورسومهم دارت على هذه الشريطة
وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال
وقد وضعوا لها حروفا مناسبين لها غاية المناسبة للحاء التى هى من اقصى الحلق
والباء الشفهية التى هى نهايته فللحاء الابتدا وللباء الانتها وهذا شان
المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب
الضم الذي هو اسد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة سماء وقوتها
واعطوا الحب والمحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكر على القلب
واللسان دهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعانى فعلمك بان غير
لغة العرب لا يلحقها واعلم ايضا انه صح الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون
اليه احب من ولده ووالده وماله والناس اجمعين قالوا المراد هنا حبه
صلى الله عليه وسلم اى الميل اليه اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة

كان

كان حبه راجحا وامانة كان مرجوحا وفى كلام عياض ان هذا شرط لصحة
الايمان ورد بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا
اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع خلو
عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفى صحيح
البخارى ان عمر قال يا رسول الله انت احب الى من كل شئ الا من نفسى التى بين
جنبى فقال له صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين
جنبى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذا المحبة ليست
باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان
طبعى وغير اختيارى بواسطة الاسباب وهذا هو الذي اراده من عمر اذ لا
سبيل الى قلب الطبع وتغييره ما جبلت عليه النفس فجواب عمر اولا بحسب
الطبع ثم تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه نظرا
لكونه الذي انقذه من هلاك الدنيا والاخرى فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجاب
بالان عرفت فتطقت بما يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم ايثار
ما يحبه ومنهيه على جميع اغراضه قال القرطبى وكل من امن به ايمانا صحيحا
لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا
ظاهرا وكثير من العامة يؤثر دينه على اهله وماله وولده وكذا دنياه بل نهاية انانه لما وقر فى قلوبهم من محبته عيان ذلك سريع الزوال
لتوالى الغفلات والشهوات عليهم قال

وابى الله ان يمسنى السوء بحال ولى اليك التجاء

وابى الله اى لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجود ودل عليه
ما تفضل به عليك بتوله عز قايلا فلسوف يعطيك ربك فترضى
والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذى دلت عليه اثارك الجليلة

ان من لجاء اليك لاتخيبه من شفاعتك ولاتحرمه ربك من فضله مسارعة
الى رضاك ومن ثم اخبرتنا عنه تعالى انه سبحانه يقول لك في ذلك الجمع
الاكبر على رؤوس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع **ان يمسني**
السوء بحال اي في حال من الاحوال الدنيوية **و** الحال اني **لى الك الجاء**
اي استناد لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك ومن هو لذلك حقيق بان لا
ينال من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولا اجل ذلك قال

٣٨٤ **قد رجوناك للامور التي ابرمها في فوادنا رمضاء**

قد رجوناك معشر محبيك ايها النبي الكريم اي املنا فيك **للامور** للخطير
العظيم من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات **التي ابرمها** اي
ابرمها **في فوادنا رمضاء** اي نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة بما حل
في قلوبنا والبسته جوارحنا وبين ابرمها ورمضا الفقر والغنا المطابقه

٣٨٥ **واتينا اليك انضاء فقر حملتنا الى الغني انضاء**

واتينا اليك بقلوبنا اي وجهناها الى الاستعانة بك من كل مكروه او
الى قربك المكرم حال كوننا **انضاء** جمع نضو بكسر النون اي مهازيل **فقر**
من الاعمال الصالحة **ملكتنا** ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا
بسبب ثقله **حملتنا الى** حضرتك التي فيها **الغني** الاكبر **انضاء** اي
ركايب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك
العليه اعتنانا للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها قال

٣٨٦ **وانطوت في الصدور حاجات نفس مالها من يدي يديك انطواء**

وانطوت اي استترت **في الصدور** اي القلوب **حاجات نفس** املت
حصولها من جنابك الكريم نرفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وحطيت بحلول
نطرك منها الامداد من مزايك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لاوسيلة
اليه اقرب منك اليه ولا احد يعرك بتوسل اكمل منك فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ

كانت

كانت تلك الحاجات **مالها من يدي يديك الكريمين انطواء** اي استتار
واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا من بها غير عطائك الطامع فلا
ابخل الناس عن واسع جودك ولا انصرف عن ساحة كرمك بل لا نزال معتمين بجوارك
مستمطرين لندي انارك طامعين في حصول كل ما املناه بشفاعتك لدنيك
هي مطمع المقربين ووسيلة المقصدين قال

٣٨٧ **فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء**

فاغثنا بها التقضي جميع حاجاتنا الوفور جاهك وعظيم منزلتك عند
ربك **يا من هو الغوث** للمكروبين والملجاء للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد
والغيث المريح للمضطرين المشبع للجايعين المجزل لهم من الفوايد فازل
شكوانا وارفع لاوانا **اذا اجهد الورى اللاواء** اي اذا ضيق على الخلق
الجذب حتى اشرفوا على التلف قال

٣٨٨ **والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء**

والجواد الاعظم **الذي** لم يخل احد من وصل الى مراتب جوده فضلا عن ان
يباديه فيه **به** اي بسببه **تفرج الغمة عنا** معشر امته **وتكشف الحوباء**
بفتح اوله وضمه اي الاثم اي عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة
وفي نسخة تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهي بمعنى الاولى لتساوي
الكربة والغمة اذهما الكرب الذي يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها
والغماء والحوباء في معانيها المذكورة من عم الهلال البرة غيم او نحوه والخبر استعجم

٣٨٩ **يا رحيما بالمومنين اذا ما ذهلت عن ابنائها الرحماء**

يا ندله يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على
المنادى قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد **رحيما** من الرحمة
وهي رقة القلب وغايتها التفضيل والانعام او ارادتهما ومر في اسماء الله
ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا **بالمومنين** متعلق من قوله

تعالى بالمومنين رؤف رحيم وكان بالمومنين رحيما ومر في شرح رحمته
كله ما يعلمك بسعة رحمته لاسيما بالمومنين وباهر رافته لاسيما على الضعفاء
والمساكين والايمان المتصدين الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي
بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر
غير الضروري وهو ما يستوي في معرفته الخاص والعام او بالاجماع وان لم يكن
ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غير نابل وجماعة منا ولا
يكفي التصديق وحده بل لابد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه
مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن اهل السنة
لكن اشار الغزالي رحمه الله الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من اهل الجنة
وتركه التلفظ معصيه فقط لان قلبه مملو بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن
يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا
كما كثر المحدثين اي من كماله فالميت مومنا فاسقا تحت المشيه قال الله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه
كافر لمعتزله لا كافر ولا مومن وهو عندهما مخلد في النار للاسقاء الايمان
المتكفل بدخول الجنه **تنبيه** مهم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه
وعزة محتواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن
وانه يستعمل في الله وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى
فيه اشكال ومن ثم قال بعض الائمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة
كلها مجاز لاستحالة حقيقته المبالغة فيها لانها ان ثبتت للشيء اكثر مما له
وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا هي انما تكون في صفة تقبل الزيادة
والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي
وغيره فاستكل والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة تستلزم الزيادة
على معين وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان صفة المبالغة لما

يحب

بحسب ذلك الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان
الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال
وبهذا قال بعضهم في حكم معنى المبالغة فيه تكرير حكمه بالنسبة الى الشرايع
وفي الكشاف المبالغة في الثواب اي في نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة
من يتوب عليه من عباده او في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب
قط لسعة كرمه وعبر الزركشي عن الثاني بما يوفق السياق وهو ان المبالغة
انما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها
فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في
الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل وتكمل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان
ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما فان كان للكثير لكنه جيء به في مقابلة
العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب
قابل في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل
الفعل بالواحد وبانه نفى الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة لان الظالم يقصد
بظلمه الانتفاع بما ياخذ فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه
معنى ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل ولا كثرة فيه وبان اقل القليل
نوقع منه تعالى لكان كثيرا كما قال نزله العالم كبير وبانه اراد ليس بظلام
ليس بظالم تاكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد رد على من قال ظلام
فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات
يجزي النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه
كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة رؤس الاي **اذا** ظرف
لرحيما **ما** زايدة **ذهلت** اي غفلت **عن ابنائها الرحماء** مقتبس من قوله
تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته

بالمومنين بهذا ليس باسفلها في عين بل لانها في هذا اليوم اظهر
واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد والتقدم
على جميع الانبيا والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى في فصل القضا
ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع
في ذلك اليوم الا حسبه ونسبه وفي الرحيم والرحمان العجز على الصدر والذمام
والدمار وصاعدات وصعدا وافعى وافقا وعرعر وعرا وسعى والانقطا
ودرعا ودرعا والمرح والعرجاء ومرضى والرضا وحب والحاجناس الاشتقاق
والاهال ومال جناس ناقص وبطان وبطالاحق وحر والحر محرف **قال**

ياشفيعا للمذنبين اذا اشفق من خوف ذنبه البراء ٣٩٠

ياشفيعا من الشفاعة وهي السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع
اليه **للمذنبين** في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم **اذا** ظرف لشفيعا وفيه
ما في الذي قبله **اشفق** اي ذل اذا الشفق يطلق على المشفة وستان من خصلت
له المشفة الذلة والدهش وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له
بالخوف فهو وان كان موضوعا ايضا لكنه لا يناسب هنا لان اللايلايم قوله **من** اجل
خوف عقاب **ذنبه** عايد اللبراء المتقدم رتبة وافرادا نظرا للفظ لا
للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء
ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث **البراء** من الكبائر جمع بري
بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغاير فقط يدل على شدة ذلك اليوم
ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم البرئ الناس لانهم لا يخلون
عن صغاير بل صغاير بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون وبع
ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبيا عليهم الصلوة والسلام
ستارهم في ذلك اليوم **اللهم سلم سلم قال**

٣٩١ **جد لعاص وماسواى هو العاص ولكن تنكري استحيآء**

جد

جد بامن تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه
منك عند ربك **لعاص** استاسرته الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاهوال
في اولنا هو بتخريد والتفات وانثر فيه التنكير لما ياتي ولم يعين لما يجود به عليه
قصد العموم المسول بان يجود عليه في ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل
مرغوب وصرفه عن كل مرهوب **وما** نافيه **سواي** اي غيري **هو العاصي**
ولكن تنكري الواقع في قولي لعاص **استحيآء** منك ان اذكر لك نفسي بلفظ
يدل عليها بخصوصها مواجهة لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحيا
على التنكير مبالغة كرجل عدل **فان قلت** ذانك مصدران بخلاف هذا
قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر في كل يحتاج لتاويل لان الحمل
شرطه المساواة وهي غير موجودة هنا لتباين مدلولهما هذا اقرب عبارة
وفيه مواخذتان احدهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل يفيد قصر
المسند على المسند اليه وكنا تعريف الخبر على ما ذكر صاحب المفتاح ويشهد
له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق اي لا الرزاق سواه وفي الغايتين وكلام الكشاف
يميل اليه ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب
المقام فعلى الاول ان هو العاص دال على حصر العصيان في سواي كزيد هو
القايم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة ففي ذلك القصر بناء على ما هو
المشهور ان النفي يتوجه للقيد فان توجه للمقيد ايضا توجه الاعتراض
الاتي من باب اولى وحينئذ مفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه
عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو قايم احتمل مفهومه ان
زيدا هو القايم وحده وانه وغيره قايمان واذا افهم المنظم ذلك لم يصح قوله
ولكن اني اغر لانه انما بنت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من
انه العاصي وحده اي ادعاوه خصما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف تا بينهما
ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا ولين افاد فان السايل عدم الحيا

لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله
فينعطف عليه فابهامه لنفسه حينئذ غير لايق ولك ان تجيب عن الاول
بان من الواضح ان سوى كغير فلا تعرف بالاضافه الا اذا وقعت بين ضدين بل
قال جماعة لا تعرف بها مطلقا وان ال في العاصي للعهد الذهني وفي الجنس
على حد ولقد امر على اللئيم يسبني فمر فيها التعريف تارة والتنكير اخرى
وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواي انا العاصي
وحدي وعن الثانيه بان السايلين على اقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل
من المركوب ما كان سببا لسواله فيستر نفسه حياء وخجلا عن المواجهة بالتصريح
بارتكاب القبايح وسترا واحتشاما من اعترافه بالمقابح والفضايح خشية
من ان يظهر عليه ما يعين سبب سواله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم
رحمه الله لم يرد اجلاله النبي صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر
الوصف المقتضي لسواله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه
او معصيتها فيكون ذلك سببا لرده **تنبيه** لا ريب ان ما ذكر
الناظم هنا من ان سبب التنكير وقد يكون الاستحياء هل صرح به احد غيره
حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام
لا يليق بالاخر فمن اسباب التنكير اراده الوحدة نحو وجاء رجل من اقصى المدينه
يسعى اي وحده اراده النوع نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلى ابصارهم
غشاوة اي نوع غريب من الغشاوة لا تتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه
مني من الغشاوات ومما يحتملها والله خلق كل دابة من ماء اي كل نوع منها من كل
نوع وكل فرد من افرادها من افراد النطف اراده التعظيم بانه اعظم من ان يعين
ويعرف نحو فادنوا لحرب وظلم عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه اراده
التكثير نحو ان لنا لاجرا اي واغر اجلبلا اراده التقليل نحو ورضوان من الله
اكبر اي رضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها اراده التحقير بمعنى لخطاط

شانه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شيء خلقه اي من شيء حقير مهين
ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء الذي
ذكره الناظم وهنا فاعلة تعم نفعها وهي ان الاسم اذا ذكر مرتين فان
كانا معرفتين فالثاني غير الاول غالبا دلالة على المعهود الذي هو الاصل في اللام
او الاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين ونكرتين فالثاني غير الاول
غالبا وقد اجتمعا في فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله
عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر في القسمين اذ الاول
لكن فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكم
القرائن ونقضت هذه القاعدة بايات كثيرة هل جزاء الاحسان اي العمل
الا بالاحسان اي الثواب وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وبوتكل
ذي فضل فضله ويرد بما مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان
جميع ما اورد عليه من الايات من جملة افرادها وانه لم يسند عنها بيتي
لكن في بعضه تكلف قال رحمه الله

٣٩٢ **وتداركه بالعناية ما دام له بالذمام منك ذماء**

وتداركه اي ادركه **بالعناية** منك له بان مده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه
سجال حلمك حتى لا اباقي قطبه فوق **ما دام له بالذمام** بمعجمتين قسم
متعلق بتداركه اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها عليك ما دام له منك
منك ذماء بالمعجمة اي تعلق واصله بقية الروح في المذبوح اي ما دام فيه ادنى
تعلق به بخلاص من كل ما يحاذره من اليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد

٣٩٣ **اخرته الاعمال والمال عما قدمه الصالحون والاغنياء**

اخرته اي ذلك العاصي **الاعمال** السيئة التي ارتكبها **والمال**
الفاني الذي امسكه عن صرفه في وجوه الخير او جمعه من وجوه الشر حتى
اشتغل به قلبه وطاش في جمعه لبه ولم يبال من اي وادجمعه ولا باي وصف

الكتبه عما قدمه الصالحون جمع صالح وهو القايم بحقوق الله تعالى
وحقوق العباد وهو يشمل حبي الملايكه ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم
ان المصلي اذا قال في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت
كل عبد لله صالح في السماء والارض وبين اخره وقدم النطاق كالحسنات
والسيات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظه وورا
وامام والصيف والشتا والحر والبرد ويوم ولدتني والرجا والخوف والاقويا
والضعيف الاتيات والاغنياء من الاعمال الصالحة والانفاق في وجوه الخير
وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه
لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية
مستدلا عليها للحديث الصحيح الندم توبة قال

٣٩٤ كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعداء

كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملايكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال
العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطايع وقبح فعل العاصي
وعليها اي من اجلها انفاسه صعداء اي متواتر ممدود من سن ما لقوس
كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع في ورطتها انه قال

٣٩٥ الف البطنة المبطئة السير بدار فيها البطان بطاء

الف البطنة بالكسر اي ملابطنه من الطعام والشراب كذا قال الشارح
والذي في القاموس انها الاشر والبطر وقال في البطر انه النشاط والاشر
وقلة احتمال النعمه والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشيء من غير
ان يستحق الكراهة انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن بوزن
كتف انه الاشر للتنول ومن هم نبطه ولا الرغيب لا ينتهي من الاكل المبطئة
السير الى الله تعالى المعوقة عن الاجتهاد في رياضه باستفراغ الوسع
في الاعمال الصالحة التي هي سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل

وصف دنيء وخلق رذيل ولو لم يكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله المومن ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء
من لها فقد بادهاب فطنته والبدن بادهاب فطنته والبدن باذهاب
نشاطه وقوته بدار وهي الدنيا بها اي فيها البطان جمع بطين ككرام
جمع كريم بطاء جمع بطيء وتان الجمع فيه فهم متاخرون عن الفايزين
متعلقون عن السابقين بسبب عصيانهم قال

٣٩٦ فبكى دمه بقسوة قلب نهت الدمع فالبكاء مكاء

وسبب عصيانه بكى دمه بقسوة قلب اي مع تدنه وغلظه المودين
الى ان البكا صورا لاحقيقي ومن ثم نهت تلك القسوة الدمع عن ان
يبرز منه شيء في عين ذلك البكا وسبب هذا انقلب البكاء عن حقيقته
وهي حزن يعتري القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق
ما يحري الدموع ويبيح الرجوع وصار ذلك البكاء كانه مكاء بالتخفيف
اي كالصفير بجامع ان كلا صوت يجري على اللسان ولم يتاثر به القلب
وبين البكا والمكا الجناس المضارع قال

٣٩٧ وغدا يعتب القضاء ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء

وغدا اي صار ذلك العاصي بعد ما وقع منه المعاصي والبكاء الذي لا يعتد
لم يرق قسوة قلبه لعتب من عتب عليه وجد عليه القضاء من صنعه
وقدره اي ليقول لم او كيف قدر علي هذا والحال انه لا عذر لعاص يحتج
به على الله حتى يسقط اثمه وتدفع مواخذته فيما يسوق اليه القضاء
والقدر من المعاصي لان الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم على
اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا للصورة
الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضايه وقدره كما يدل على ذلك
قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم

فاسند تعالى اليهم الرمى والقتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم
باعتبار الحقيقة الايجاديه اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند
الافعال التي فاعلها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار جريان تلك الصور عليهم
والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى
به وانه يعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون
قدرة العبد تخيلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وعفله
عن انه يلزمهم ما هو افحش من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاء على
نسبة افعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشيء انما
هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف في ملكه بما يشاء ولا
نسال عما يفعل وهم يسالون وان نعتقد بطلان مذهب الجبرية ايضا
لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر لا يكون على الشيء من
كل وجه لم يصدر منه فعل يترتب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة
الغراء ان الله تعالى اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم اخرى
فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال من حيث
الصورة وانطنابها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنابها احكاما لان
هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة
والناصبة واهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة
ووالوا عليا وشيعته ووالوا اوليك الاكثرين واهل السنة عدلوا
قالوا الكل ترضوا عنهم فكانوا في الجنة وكان كل من دينك هنا وفيما مر
في النار فان قلت قوله ولا عذر الى آخره ينافيه احتجاج ادم بالقضاء
والقدر في قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلوة والسلام لما قال له موسى
انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيتك اي بالنسبة لمقامك والا فهي
ليست بخطيئة حقيقة لانه نبي كما في الاية وايضا فلعموم عصمة الانبياء

فقال

فقال له كم تجد في التوراة قدر على ذلك قبل ان اخلق قال بارعين سنة
قال بنينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج ادم موسى وذلك
ولذلك احتج عمر رضي الله عنه على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام
فراى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة فرارا من قدر الله
يا امير المومنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اي لاوجعته ضربا
نعم نفر من قدر الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر
ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد
الوقوع فيه وقبل ان يستوفي منه ما وجب به لم منع ذلك بل تعين
به ساغ له ذلك كما صرح به فوله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى
واما الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما هو
بيان لاسرار ما جات به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد
فيه الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول
او لا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضي الله عنه ان المشيات منوطة
باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله تعالى كما قدر علي اناس الموت بالطاعون
قدر علي اخرين عدم الموت به والامتناع من الدخول فرارا من القدر الى قدر
اخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به رعاية
موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنه فان قلت والممتنع من الدخول
اذا سلم رعاية السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول
القاء باليد الى التهلكه وهو منهي عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة
التداوي والفرار من المهلك وهذا محمود في الكتاب والسنة فان قلت
لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوايهما في المعنى المعلل به فيما مر
قلت لاساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير
حافظ ولا متعهد وذلك يودي الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة

منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عدوه مفسدة فجاز
ثم رأيت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضي الله عنه ونقله
عز الدين النووي وعزم واقره حيث قال بان قيل ما فايدة الدعا مع ان القضا
لابرد فاعلم ان من جملة القضا رد البلا بالدعا فالدعا سبب لرد البلا ووجود
الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض
فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فلذلك الدعا والبلا وليس من شرط
الاعتراف بالقضا ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
فقدر الله تعالى الامور وقدر اسبابها انتهى فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه
شبه كثيرين ازالها بحمد الله هذا التقرير الواضح لمن الهم رشده واسعد الله
جده وخلصه من ورطات الفتن وغوايل البدع والمحن حقق لنا ربنا ذلك بمنه
وكرمه واذا تقرر انه لا عذر فيما يسوقه القضا بالمعنى السابق سواء كانت
المعصية صغيرة او كبيرة فكيف بعذر من قال

٣٩٨ اونفته من الذنوب ديون شددت في اقتضائها الغرماء

اونفته اي حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات والى الاخر عن
مقامه الكريم من الذنوب حال متقدمة على صاحبها وهو ديون اي ديون
تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه في حقوق الله وحقوق
عباده شددت في اقتضائها اي طلبها منه الغرماء لان حقوق الادميين
مبنية على المشاحة والمضايقة قال

٣٩٩ ماله حيلة سوى حيلة الموقن اما توسل او دعاء

ماله حيلة اي طريق في التخلص من تلك الديون سوى حيلة الموقن
اي الاسير الذي صار لا يقدر على الهرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك
تنحصر في شيئين لا ثالث لهما لانهما اما توسل الى الله تعالى في خلاصه
بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين او دعاء اليه في ان يرضى

عنه

عنه غرماءه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه قال

٤٠٠ راجيا ان تعود اعماله السوء لغفران الله وهي هباء

راجيا حال من عاص وضمائر المذكورة اي مومل اما تقريبا ان تعود
اعماله السوء عليه لغفران الله له مغفرة عامة لا تبقي عليه وصمة
ذنب ولا تدركه فلتة قلب والحال ان من تلك الاعمال هي في جنب
الغفران اي هباء اي مثله في انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى في
شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من كوة قال

٤٠١ او ترى سيئاته حسنات فيقال استحالت الصباء

او ان تري سيئاته حسنات منة عليه بالدراجه في سلك الامن تاب
وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فسبب استحاله
السيئات حسنات يقال عند رويته ذلك استحالت الصباء اي الخمر
من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات
بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التي هي من لوازم
المشبه به تخييلية قال

٤٠٢ كل امرئ تعيى به نقلب الاعيان فيه وتعجب البصراء

كل امرئ تعيى اي تعنى وتهتم انت يا رسول الله به وتلتفت اليه
نقلب الاعيان جمع عين وهي الجسم وهو معنى تقليبها بانها المبصر
مستقلا بنفسه فيه بان يتحول من صفتها التي لا يريدها الى الصفة
التي يريدها وتعجب البصراء جمع بصير حسا ومعنى اي ذوو البصاير
والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذي لا يعارض
بجحود ولا انكار وشاهد ما وقع لك في ذلك بالفعل اذ قال

٤٠٣ رب عين تفلت في مائها الملح فاضحى وهو الفرات الروا

رب هي هنا للتكثير قاله الشارح عين من عيون الماء اي عيون

كيئة **تفلت** اي بصقت **فى ماءها الملح** الذي لايساغ لاحد **فاضحى**
ماؤها الملح **و** الحال انه **هو الفرات** اي العذب السايغ للشاربين
او وهو كاسم السمي بالفرات الذي هو احد الانهار الاربعة النازله من
الجنة كما صح به الحديث **الرواء** بالفتح اي الذي يحصل بقليله الري الكامل
لشاربيه قال **الشارح** وهو الفرات الروا الجملة خبر اضحى انتهى
وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش ومتبعه ابن مالك تشبيها بالجمله
الحاليه لكن الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجمله على الحال والعامل على
التمام ولعل نسخة بلا واو وقبل هو **تنبيه** لم ار لخصوص النقل في
ماء عين ملح فانقلب عذبا فضلا عن كثرته التي قالها الشارح سلفا ويحتمل
ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق في بير
اريس فلم يكن بالمدينة بير اعذب منها فوجود الاعذبية في هذه البير كم بصاقه
صلى الله عليه وسلم فيها منزل منزله ماؤها ملح صار عذبا وفي حديث سنده
حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير
بير رومة وهذا يقتضي ان ما عدا بير رومة من بقيه ابار المدينة
كانت مياهها فيها ملوحه منعت الاستعذاب منها ومن جمله هذه البير
اريس وقد صارت ببركه تفله صلى الله عليه وسلم فيها اعذب بير بالمدينة
فصار ماؤها الذي تقدم ان به ملوحه اعذب بير في المدينه فنتج من هذا
صحة ما قاله الناظم رحمه الله فتامله ثم رايت البغوي في الصحابة عن بشر
الاسلمي ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء لحديث السابق في بير
رومة فتغيروا باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقدم
في بير اريس يدل على زوال ملوحتها بالكليه وانها صارت اعذب حتى من
بير رومة ثم رايت الشرينبلي شارح مقامات الحريري ذكر ان النبي صلى الله
عليه وسلم تفل في بير اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكر

عن

عن صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي انه لم يرا صلا لحديث
تفله صلى الله عليه وسلم في بير اريس قال عين ومن الغرايب قول العز
ابن جماعه صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحينئذ ما قاله الشرينبلي لا
اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة كون مائها كان اجاجا فصار عذبا
وهذا لم يقل فيه ابن جماعه ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم
رحمه الله راى ذلك في كلام مثل الشرينبلي ممن لا يعتد به فاعتمده ثم رايت
الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وفيه صلى الله عليه وسلم
يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يخدش من تعبيره بيعذب لا
باعذب ان دقيقه فيه فوق ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذا
قد وطئ ما سبقت الاشارة فلا يسعني الا تزير الندم والاستمرار

٤٠٤ **اه مما جنيت ان كان يغني الف من عظيم ذنب وهاه**

اه كلمة توجع اي توجعي عظيم وتندمي زايد دايم **مما** اجل **جنيت** على
نفسي من الذنوب وقبايح العيوب **ان** هي بمعنى اذ على خدوخ فوني
ان كنتم مومنين ولما قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عند
صلى الله عليه انه توبة اي معظمها المستقل باقيها غالبا كالحج عرفه
كان يغني الف من عظيم ذنب من اضافه الصفة الى الموصوف **وهاه** اي
مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبه كما مر ويصح ان يكون ان
على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة اه تفيد التوبه لكن قبولها
ظني لا قطعي على الاصح وذلك ان منعه بان يكفي في توبتها معنى اذا ان
قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي وضع من التردد فيه ولما عرض بوقوع
التوبه صرح برجايها ليبين ان الاهتمام منع من الاكتفا فيها
بالتعريض فقال **رضي الله عنه**

٤٠٥ **ارجى التوبة النصوح وفي القلب نفاق وفي اللسان رياء**

ارجي اومل حسن ظني عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدي
بي فلايظن بي الاخيرا **التوبة** وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب
بخلاف الندم عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهمهم فيه
فان ذلك لاتعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث
الندم عليها لالغرض اخر ايضا وعزم ان لايعود اليها ما عاش لذلك ايضا
لالمحو قطع ذكر والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك
اداية فورا وباداء ما عصى باخذ ظلما الى مالكه اووكيله اووارثه هذا
ان قدر والاعزم عن ماجانما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لفورية
والتوبة ولومن الصغاير واجبة اجماعا وتصح على الاصح وان سبقها توبة
من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك **النصوح** اي التي لايعود من
حصلت له الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شايبة من شوايب الحظوظ
بان تكون لله وحده لالغرض اخر ولو اخرويا كان تاب لاجل دخول الجنة
فان ذلك لايوثر في صحة اصل التوبة وانما يوثر في كمالها لانها مشوبة
بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن اني يعتدني هذا الترجي **و** الحال
اني ملتبس بما قد نهيت عنها اد **في القلب نفاق** من حيث العمل باعتبار انه
قد يبطن خلاف ما يظهر لامن حيث الاعتقاد لان ذلك انما يصدر ممن امن
بلسانه فقط **وفي اللسان** والاركان **رياء** اي نظرا الى الخلق باعتبار
انما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق اوثناء من مخلوق
ومع ذلك لاتترك التوبة ورجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رضي الله عنها
استغفارنا ان كان يحوج الى استغفار لايوجب ترك الاستغفار

٤٠٦ **ومني يسقيم قلبي والجسم اعوجاج من كبر بي والخناء**

ومني

ومني للاستفهام التعجبي **يستقيم قلبي** بان لايبقى فيه نظر الى ما
يحجب عن الله من اهل ومال وجاه اوغير ذلك بل الى الله وحده **و** الحال اني
وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل
عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي انه حصل **للجسم اعوجاج من**
اجل **كبر بي** اي كبر سني ووهن عظمي من كبر بكسر الباء اي اسن **والخناء**
لغاميتي وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها
والاخناء مختص بالقامة اذ يقوس الظهر ويتعذر حينئذ الاستقامة بخلاف
ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادني وعظ يوثر فيه واقل
زجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما
اخرت التوبة الى هذا الزمن لاني **قال**

٤٠٧ **كنت في نومة الشباب فما استيقظت الا ولمتي شمطاء**

كنت في نومة الشباب الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالى على اهله
الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنايم المستغرق الذي لايفيق من
نومه الا بحركة قوية **فما استيقظت** من تلك الغفلة في حال من الاحوال **الا و**
الحال انه **لمتي** اي لحيتي **شمطاء** اي اختلط سوادها ببياضها وما
تقرر في زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والازجار بادني واعظ
وهنا انه محل للغفلات والهفوات لاتنافي بينهما لانه وان كان محل
الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا
كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادني عمل بخلاف زمن الشيخوخة
فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المركب للمعاصي
الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسي وصلب فلا
يتيقوم اعوجاجه الا بعد اليأس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا
تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق

٤٠٨ وتحاديث افتنى اثر القوم فطالت مسافة وافتفاء

و حينيذ بلغت هذا السن الذي تعسر فيه التوبة كما تقرر تحاديت اي طلبت ان افتنى اي اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العليه والفايزين سبل المارب السنيه فطالت على مسافه بيني وبينهم لبعد الدرجات التي فازوا بها وافتفاء لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا بهما الى الله تعالى عن كل علقه و بقعة

٤٠٩ فوراء السابين وهو امامي سبل وعرة وارض عراء

فبسبب طول المسافة التي بيني وبينهم وراء خبر مقدم السابين اي السايرين ليلا من السري وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورايهم الذي هو القياس ليفيد انهم احيوا ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة وهو اي ذلك الورا امامي جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله افتني الى اخره انه مع طول المسافه بينه وبينهم وتقدمه اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا سبل مبتدا اي طرق وعرة يعز سلوكها لان ما وجب ليعزهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اوليك وارض عراء بفتح اوله اي فضاة واسعه قال

٤١٠ حمد المدلجون عب سراهم وكفا من تخلف الابطاء

حمد اوليك المدلجون اي السايرون من اول الليل والقياس حمدوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين من يحيي بعض الليل ومنهم من يحيي كله او اكثره وان هذا القسم التالي افضل واكمل لانهم راوا ما يجدد به حمدهم مما لم يروه من قبلهم عب اي عاقبة سراهم من الفوز برضى الله تعالى وقربه والاطلاع على حقايق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السري وكفى من تخلف عنهم في سيرهم وهذا راجع لقوله فوراء السابين وقوله حمد راجع لقوله

المنازل

السابين فعنيه لف ونشر مرتب الابطاء اي التاني في السير المفوت لاوائل منازلهم وفي ذكره هذا ايماء الى غاية التحسر والتالم بذكر حالهم التي حمدوا عقباها وفاته لعجزه عن ادراكه لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك الكرس لبعده عن تلك اللطايف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من الجد في السير الى الله تعالى قال

٤١١ رحلة لم يزل يغتدي الصيف اذا ما نويتها والشتاء

رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن التهمات وقبايح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها لاني لم يزل يغتدي لم يكذب على او يضعف راي الصيف اذا ما اليه نويتها والشتاء كذلك اي اذا جاء الشتا يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتا لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المومن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي سنده من ضعفه جماعة ووثقه اخرون والارجح توسته وفي هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتا فيه تنزل الرحمة اما ليله فطول للقايم واما نهاره فيقصر للصايم وحديث لم ينزل عذاب قط من السما على قوم الا عند انسلاخ الشتا ومما اوجب ابطائي عن تلك الرحمة انه

٤١٢ بيتغي حر وجهه الحر والبرد وقد عز من لظى الانقاء

بيتغي حر وجهه ذهوما يبدو من الوجنة الحر والبرد باتقايه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العمل في الشتا والصيف كما ان ما في البيت الذي قبله لذلك و الحال انه قد عز اي صعب على من لظى اي جهنم متعلق بقوله الانقاء لاني متلبس بما يوصل لي اليها الا ان يتغمدني الله برحمته ولاجل هذا

٤١٣ صفت ذرعا مما جنيت فنومي تقطرير وليلي ذرعاء

صفت ذرعا بالمعجمة من اجل ما موصولة او مصدرية جنيت اي ضعفت طاقتي عن ان تحمل وزره ولم اجد من يخلصني من ثقله واصل الذرع الخلق فنومي تقطرير اي شديد وهذا كذكر عرا والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص وليلي ذرعاء بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الذرعا التي يطلع فجرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم نهارا وليلا لا ينفك عنه في واحد منهما قال

٤١٤ وتذكرت رحمة الله فالبشر لوجهي اني انحى تلقاء

و لكن خفف عني ذلك اني تذكرت رحمة الله اي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء والها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه عنه علوا كبيرا فسبب ذلك البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وهذا اولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا ايضا اني اي في مكان انحى اي توجه تلقاء اي مقابل اي فالبشر مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه عز وجل انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا قال

٤١٥ فالح الرجاء والخوف بالقلب فالمخوف والرجا احفاء

فسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف وسعة الرحمة المقتضي لسعة الرجا الخ اي اقام الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء كما هو

الراجح عندنا بمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء ليلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله تعالى وقيل يغلب الخوف ليلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويرد هما انهما اذا استويا امنت غلبة احدهما على الاخر فلا محذور بخلاف غلبة احدهما فانها يخشى منها المحذور الذي في مقابله اما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اي يظن انه مغفور له ورحمة والخوف والرجاء اذا توارد على القلب اخفاء اي استقصاء ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لا يطاق لان من لازمه الكف عن كل محرم بل ومشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شان الزاهدين الذي حملهم على ذلك الاعظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجا بسط النفس واستراحتها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه وان تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقضي في مقتضاه هذا ما تقتضيه الاخر لكن تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عند المقتضيان ليلا يغلب احدهما فيخشى منه المحذور السابق انفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس قال

٤١٦ صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعة واستأثرت بها الاتقياء

صاح اي يا صاحبي ودينه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الطاعة لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وعملك عن اهوال القيمة واستأثرت اي انفردت بها الاتقياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى مرنت عليها فصارت عندها الذ من الوفاقها واعظم مشتهياتها قال

٤١٧ ان لله رحمة واحق الناس منه بالرحمة الضعفاء

ان فيه تاية تعليل للنهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة لله رحمة
عظيمة ادخرها لبعض عباده نعم القوي والضعيف والشريف والوضيع
واحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفآء اي الذين لا يعولون
على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله تعالى
في عباداتهم فهم اقوى نية في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب
ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم
من اجلي اي لان مطلوبهم رضائي ومعتقدهم انه لا عمل لهم وبما يؤيد ذلك
انه صلى الله عليه وسلم في منامه الذي رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما
وقرب من خلافة ابي بكر وطول مدة عمر اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد
الانبياء نحو ذلك الضعف فقال بعدان بين علي بيرواته نزع عنها بدلو وان ابا
بكر اخذها منه فنزع بها دلوا او دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه
فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث
ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال
وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار وضدهما استدل على
الضعيف فيحصل له ما لا يحصل للقوي مثال ظاهر في الوجود فقال

٤١٨ سابق في العرج عند منقلب الذود ففي العود سبق العرجاء

بسبب الاحتية المذكور للضعفا السابق في الضعفا المشبهين بحوذ العرج
جمع اعرج وهو من برجله داء يمنعه استقامة عند منقلب الذود اي
رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم ففي العود سبق العرجاء اليه فتفوز منه
عاموها فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك عن كثير الطاعات ربما
اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص
ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب
تاخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطآء الله رحمه الله رب معصية

اورثك

اورثك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم
انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه
وانما الذي افاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب
الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة ذلك وهذا مقتضيا
لسقوطها وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل
على هذا فتنبه له واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلا
يلزم الذلة والانكسار قال

٤١٩ لا تقل حاسدا لغيرك هذا اثمرت نخله ونخلي عفاء

ولا تقل حال كونك حاسدا لغيرك الذي اكثر منها متمنيا زوال نعمة
التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته اثمرت نخله اي كثرت اعماله
فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الثمار ترشيح وآثر التشبيه
بالنخل لان النخلة افضل الشجر لانها خلقت من فضلة طينة ادم ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولهذا شابهت الادمي في كثير
من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى ونخلي اي اعمالي عفاء بالفتح
اي كالتراب لا ثمر لها ولا يعتد بها بسبب ضعفي لانك حينئذ تعترض
على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل منهما بما اراده وقدره ومن ثم كان
الحسد كفر النعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج
بحاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان
تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا
مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا في اثنتين
واحذر ان تتكل على رجايك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل
ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجايك اجتهد قال

٤٢٠ وات بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الاشتاء

وات بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما
استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى
الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا
يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما تقدر
عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو الاولى
فقد ينتج القليل ما لا تنتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار
كما ان يسقط الثمار الكثيرة او النفيسة الاشاء اي النخيل الصغار
اذا خلصت ارضه وزاد ريه وخصبه ولا تسقط ذلك الكبار فلذلك انت قد تقوى
لسبب ضعفك بالمعنى السابق ما لم يغلبه القوى الناظر الى قوته ونفسه
ففي كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من ارق فنون البلاغة والطف
طرق البراعة وتفسير الاناء بالنخيل الصغار وقع في كلام الشارح ولم يبين
ضبطه اهو بفتح الهمزة او كسرها والاناء بالمثناة او المثلثة ولم ار في القاموس
هذا الذي ذكره الشارح وانما الذي فيه الإناء بالفوقية ككتاب تفسير
بما يخرج من الشجرة والثمار وفي الاناء بالمثلثة تفسير بالجارة والماشية
وهذا ممكن تنزيل كلام الناظم عليه اي ان النخلة اذا طالت وصعب عليك
رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة بحجر قال

٤٢١ ويحب النبي فابغ رضى الله ففي حبه الرضى والحباء

واعلم ان افضل الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو مزيد محبة
نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوي واخروي وحينئذ
فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه محبة النبي صلى الله عليه وسلم امتثالا
لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله وولده
والناس اجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا مما ينبغي مراجعته واذا حظيت بهذه

المحبة فابغ اي اطلب رضى الله ففي حبه الرضى من الله تعالى المنعم
بما ليس في الحساب والحباء اي العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدينوية
والاخروية كالتوفيق للاعمال والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من
ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم
الله ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء الفخر للمتحبب والالتجاء
بمن لا تخيب المستغيثين فقال مؤملا انه ببركة توسله به تخلص
من ورطات ذنوبه قال رحمه الله

٤٢٢ يا نبي الهدي استغاثة ملهوف اضرت بحاله الخوباء

يا نبي الهدي اي الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه انك لتهدي
الى صراط مستقيم والاتصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء استغاثة بالرفع خبر مبتدا محذوف
اي مسؤولي وهي نداء من يخلص من شدة او يجفضها والنصب مفعول
مطلق اي استغيث بك استغاثة اي ناديتك نداء ملهوف اي مضطر
يتحسر محتاج الى من يثقل مما يهلكه اضرت بحاله الخوباء اي
سكتته ذنوبه وضعف همته وذلك لانه قال

٤٢٣ تدعي الحب وهو يامر بالسوء ومن لي ان تصدق الادعاء

تدعي الحب لله ورسوله وهو اي والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه
من مخالفتهما لانه لا ينال يامر نفسه او غيره بالسوء اي الاثم فعلا
وتركا والمحبة لغة تنبي عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تامله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذا اشار الى ضمنه ان تصدق في
دعواه محبتهما فقال من استفهاميه اي من الذي يتكفل لي فيه
التفات ان تصدق مني الادعاء اي الدعوة المصممة في الرجوع الى الله
تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص

واي نقص ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يمر
ببـــاله ولا في النوم ومن هـــذا حاله قال

٤٢٤ اي حب يصح منه وطرفي بالكري واصل وطيفك راء

اي حب يصح منه التفات والحال ان طرفي التفات بالكري اي
النوم واصل اي لا ينفك النوم عنه في وقت وليس هذا شان المحب
وطيفك اي خيالك راء اي محجب عني كما احتجب الراء عن واصل
الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها بل يراد فيها او مقاربها
خشية من ان يعيره بلثغته بالراء فصار هجر التي المستهتر يمثل عندهم بهجر
واصل الراء في النظم النوبية لان واصلا بالنظر للكري اسم فاعل و للراء
اسم علم وتلميح لانه اشار الى قصته واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري
اي كيف تصدق محبتي وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم
لا توثر في المحبة لانها امر وجداني فكيف توجد مع عدم خطور خيال
المحبوب بالضمير ولا في حاله النوم وهـــذا ينافي المحبة كما هو محسوس
لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة
نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولما تردد مع ما قدمه ان فقد خطور
الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال رضي الله عنه

٤٢٥ ليت شعري اذاك من عظم ذنب ام حظوظ اليتيمين حظاء

ليت شعري اي ليتني علمت اذاك اي عدم خطور طيفه بقلبي من
اجل عظم ذنب وقع مني وهو الظاهر ام حظوظ اليتيمين اي المحبين
حظاء جمع حظوة بالكسر والضم وهي المكانة والعباس في الجمع الضم
والكسر كعرة وعري وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق اي انصباهم
من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل
وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل قال

ان يكن

ان يكن عظم ذلتي حجب دنياك فقد عز داء قلبي الدواء

ان يكن عظم ذلتي اي ارتكبتها حجب دوماك اي دنا طيفك عني في النوم
التي فقدتها فقد عز داء قلبي الدواء اي قل بل عدم الدواء الذي يكون
لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء بوجه لانه لا يوجد الا من جنا به صلى الله عليه
وسلم فان فرض انه اخذ انسانا بعظم ذنبه لم يكن احد عنه ان ينقد منه
ثم هـــذا التردد في وجود المحبة الذي سبق انما هو لمزيد الخوف وان
الانسان على مدرجة ان يواخذ بذنبه وان كان محبا لا للزوال محبته بل هي
باقية ورجاؤه في محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة وحينئذ

كيف يصدى بالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء

كيف يصدى اي يسود بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب قلب محب لك
وهي الحال له اي لقلبه متعلق بحلا ذكرك مضاف للمفعول اي ذكرك
لك بالتصلية والتسليم عليك وسوال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه
وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون اليك ويصح للفاعل
ذكرك له الجميل العايد على الفاعل الذاكر عالم يكن في حسابه جلاء
ولما غلب على ظنه ما اشار الى التردد فيه بان في قوله ان يكن الى اخره
من ان سبب حجب الدنا عنه عظم ذنبه صرح كما يصرح من وجد
اخذ ماله او قاتل ابيه بعد ياسه منه فقال رضي الله عنه

هذه علتي وانت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء

هذه علتي التي اخلت جسمي وادهشت لبي لا غيرها والحال لك انت
طبيبي العالم بها الماهر في ازالتها فانه ليس يخفى عليك في القلب
داء وانت لا احد من الخلق اكرم منك ولا احلم فجعل لي بدواء ذلك المحل
للشفا من وصمة جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا
يخيب انما رفعت اليك قصتي وشكوت اليك قلة حيلتي مما جنيت على نفسي لان

٤٢٩ ومن الفوز ان ابثك شكوي هي شكوى اليك وهي اقتضاء

ومن الفوز اي النجاة والظفر لمثلي بجميع المطلوب الذي لا فوز اعظم منه ان ابثك من بث وابث نشر واظهر شكوي هي الاخبار عن النفس او الغير بسوء فعله لكن هذه انما هي شكوي مني لنفسي اليك لا لغيرك اي انشر واظهر بين يديك في ضمن مدحي لك ما كاد ان يهلكني من عظيم دائي وبيّض عيوني ورجا ان تلحقني بنظرة تزيل عني كل وصمة وتوجب لي منك كل رحمة لان رجائي واسع ومحبتي لك زايدة وهي ان تلك الشكوي الواقعة في ضمن ذلك المدح البليغ اقتضاء اي طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الورطات وانجو من بوايق سايرالورطات وان اجد لي الشفا من جميع الاواد فان جاهك مكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لاسيما لخادم حضرتك القاني في محبتك كيف وقد قال

٤٣٠ ضمنتها مدايح مستطاب فيك منها المديح والاصغاء

ضمنتها بالبناء للمفعول اي تلك الشكوي لتقبل ويعود على بركة تنولها ماهو المقصود منها بالذات مدايح لجنابك بديعة جمع مدحة اي كلام متضمن للثناء الجميل الذي هو المدح المباين للحمد او المرادف له او الاعم منه او الاخص منه اقوال مرب مستطاب بالرفع صفة مدايح الذي هو نايب الفاعل فيك منها اي من تلك الشكوي متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضيه المديح لك والاصغاء من سامعها اليها لان اوصافك الكريمة زينتها فصارت بها في غاية الكمال الذي يشنف الاسماع ويملأ عيون ارجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالي يسر علي في هذه القصيدة البديعة ببركة التجائي اليك اذ قال

٤٣١ قلما حاولت مدحك الا ساعدتها ميم ودال وحاء

قلما مصدريه حاولت تلك الشكوي مديحك اي لابراز معنى بينه

لم اسبق اليه او اسلوب من انواعه اللايقه بك والمطلوب فيها ان تجري على اعلى سنن البلاغه وقانون البراعه الا وساعدتها ميم ودال وحاء اي مسمى هذه الاسماء وهو مدح اي ما توقف على معنى او نوع من تلك المعاني او الانواع توجهت همتي الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الداله على مدحه تبادر لي الي ناديته بغاية اللطف وتساعدني عليه بنهاية الاسعاف تتاتي فرجيتي منه بما هو ابدع وابلغ وكون ما مصدريه هو ما ذكره الشارح وعليه قال المعنى فلت محاولتها مدحك في عز حال كونها مساعدة لهذه الحروف الثلاثه فانها لا تقل حينئذ بل تكثر اسهى ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ في غير نفي او شبهه وهو النفي او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاه ومن جوزه في الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه الكذب اذ تقدير بثوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جايز بخلاف النفي عنهم الا فردا فانه جايز فان قلت جواز المبرد التفريغ في موجب يلزمه نفي كلهم ولو لا محاولة القوم الا زيد لا كرهتك وما هنا لذلك لان قلت يلزمه نفي ما عدا القليل وهو نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريغ يدخل في الجمله الثانيه التي هي الاولى واما الجواب الذي هو منع فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل بعيد فيما شبه المبني التي في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال فاعل قد محذوف دل عليه المذكور وان ما نافيه والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان استصعب علي ما اردته من مدحك لاني ما حاولته في حال من الاحوال الا باعداد ني فيه حدث علي احمل ما يمنعني ولاجل هذه المساعدة المسهله علي ما اردته من اعلى انواع البلاغه قال

٤٣٢ حق لي فيك ان اساجل قوما سلمت منهم لدلوي الدلاء

حق اي ثبت واستقر لي فيك اي في مجيك ما لم تكن في حسابي وهو

ان اساجل قوما وهم الشعراء الذين مدحوك اي افاخرهم فاقول
ماصنعته خير مما صنعوه وابين لهم ذلك حتى يدعنوالي في ذلك
ويصيرون قد سلمت منهم لدلوي الدلاء وحسنداقوزمنك بابلغ
ما فازوا به وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيم المملوء مذكر ومن هذا
قولهم الحرب سجال كلكتاب اي سجل منها على هولاء واخرى على هولاء
ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المتقيين على بير
بدلاء يختلفه ليربكل منهم ان يظفر على دلو قبل الاخرين شبه بهم
المادحون في تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل انما ابرز خيرمما
ابرز غيره فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييليه
وذكر الدلو ترشيح ثم اشار رحمه الله الى علة اخري لتمين
عليهم وتسليمهم له ذلك فقال رضي الله عنه
٤٣٣ ان لي غيرة وقد رحمتني في معاني مدبحك الشعراء
ان لي غيرة بالفتح على مدبحك اي حمية توجب لي ان لا احب ان غيري
يسبقني فيه والحال انه وقد رحمتني في معاني الفاظ مدبحك الشعراء
٤٣٤ واراد وا ان يسبقوني فيه والحال انه استحكم لقلبي فيك ان في محبتك الغلو
اي مجاوزة الحد الذي بلغ اليه امثالي واني يكون للساني في مدحك
الغلو اي الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك
وامدادك ونظرك لي بما تميزني عليهم فاني استفهامية بمعنى كيف نحو
اني يحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى اين نحو اني لك هذا وترد ايضا
اي بحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى اين نحو اني لك هذا وترد ايضا
بمعنى متى او حيث ويحتمل الكل فانواحي نكم اني شئتم لكن الذي اختاره
ابو حيان وغيره انها في الاية شرطيه حذف جوابها لدلالة ما قبلها
لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شانها ان تكتفي بما بعدها
اي يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او فعلا ويصح كسر

ان

اني اي واني واليا اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا يخفى قال
٤٣٥ فانت خاطرا بذله مدحك علما بانه اللاء لاه
فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم
علي انت خاطرا اي قريحة لي على هذا المدح البديع تمدها بما تفوق به
جميع مزاحميها وسابقيها فانك اكرم من جازي محبيه واجود من جاد
على مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة كيف وقلبي لاذله مدحك
لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع ما لم
يسبق اليه ولا حام احد قبله عليه علما اي لاجل علمه بانه اي مدبحك
اللاء لاه اي الفرج التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرج بالجيم
فواضح او بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه بتلاء البرء بمعنى لمع اي علما
بان مدبحك يضيء قلوب المادحين لاسيما ابلغهم حتى ياتي بي مدحك بالمعاني
البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزي
على غيري بامور منها انه قال
٤٣٦ حاك من صنعة القريض بردا لك لم يحك وشيها صنعاء
حاك اي نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اي الشعر بردا
جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه ربنة لك لم يحك وشيها
اي نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة
النسج والوشي شبه المعاني البديعة في ادهاشها للقلوب عند سماعها
بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رويتها واثبت لها ما هو من لوازم المشبه
به وهو الوشي والحوك كما اثبت للمشبه ما هو ملايم له وهو القريض ففيه
استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر
القريض ومنها انه قد قال
٤٣٧ اعجز الدر نظمه فاستوت فيه اليدان الصناع والخرقاء

اعجز الدر نظمه اي نظم هذه القصيدة المشتمله من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فان الدر النفيس المنظوم الذي يدهش الفكر ويخطف البصر لصوبه وصفايه **فاستوت فيه** اي في العجز عنه **البدان** اي القرينان **الصناع** بفتح الصاد المهمله وبالنون والعين المهملة اي الحاذق الماهر **والحرفاء** اي العنيه **قال رضي الله**

فارضه افصح امرء نطق الضاد فقامت تغار منها الظاء ٤٣٨

فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره **ارضه** اي اقبله ياخير من املة المادحون ورجاه العارفون واكرم خلق الله واجودهم وتخاوز عما بنه وان كان فيه من الفصاحة ما لا يدركه غيرك يا **افصح امرء نطق الضاد** اي بها اي افصح العرب العربا وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد لحديث وخصها لان غير العرب لا تحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوا لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم الى الحد الذي كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تاديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ في بلاغته لا يتاهل الى مدحه لان فصاحته صلى الله عليه وسلم معجزة لغيره فاي بلاغة تودي ما يليق به وكانه يقول يا افصح الفصحاء اقبل ما جيت به وان لم تستم اد في رايحة من ديوايح فصاحتك وما وفى بما يليق بكمالك ويويد هذا قوله الاتي **ابذكري الايات** وسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظا من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد **قامت** فاعله الظا واشار بقامت الى انها تسمى بالظاء القايم حال كونها **تغار منها** اي الضاد **الظاء** لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العليه اي ارادت الظا فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة فلم يحصل لها فغارت حينئذ ثم تظلبى من كرملت يا

اكرم

اكرم الخلق الرضي بهذه القصيدة ليست لكونها وفت حقوقك الواجب استقصاءها في مدحك بل للطمع في سعة حلمك وجودك **قال**

ابذكر الايات اوفيك مدحا اين مني واين منها الوفاء ٤٣٩

ابذكر الايات في هذا النظم اي الخصايص والمعجزات التي علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق **اوفيك مدحا** لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من احاط بمقامك واتى ذلك لغيرك مثلي **اين مني** الوفاء بذلك وانا من جملة العاجزين المقصرين **واين منها الوفاء** بذلك وهي محصورة وكما لا انه صلى الله عليه وسلم غير محصور **قال**

ام اماري بحق قوم نبي ساء ما ظنه بنى الانبياء ٤٤٠

ام متصله **اماري** اي اجادل **بحق** اي بذكري لتلك الايات **قوم نبي** اي المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اي لم اذكر تلك الايات بقصد اني اوفي بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان اجادل بها امته ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يفهم ولا يعقل بياء **ساء ما ظنه بنى الانبياء** لانهم لقلة فطنتهم يحاسدون على الناس بما هم برون منه **قال**

ولك الامة التي غبطتها بك لما انبتها الانبياء ٤٤١

ولك استيناف او عطف على محذوف اي لك الايات التي لا تحصى ولك الامة الوسط كما قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس التي **غبطتها** من الغبطة وهي كما مر ود الانسان ان له من الخير مثل خير من غير سلبه عنه والحسد ود ذلك مع سلبه عنه **بك لما** اي حين **انبتها الانبياء** فانهم وان كانوا من امتك بنص واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الايه ومر الكلام عليها لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك امتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك

فان قلت كان القياس عنطك بها الانبياء لانهم افضل من امتهم
بنص جعلنا كم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اي ودوا ان يكون
لهم مثلهم كما صرح به موسى فيما ياتي قلت هذا وان كان هو القياس
لكنه اركب فيه القلب الذي هو من احد انواع البديع خشية ان يتوهم
من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من اقر به فتامله ثم رايت ما
يدل للقياس المذكور وهو ما رواه ابو نعيم ايضا ان الله تعالى لما ذكر
لموسى صفات هذه الامة قال يارب فاجعلني نبي تلك الامة قال بنيها
منها قال فاجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخروا لكن
ساجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعل نظرك اليها قال

لم تخف بعدك الضلال وفينا وارثوا نور هديك العلماء ٤٤٢

لم تخف بعدك الضلال عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضا
التي لا يزيغ عنها الا هالك و الحال ان فينا اعلام الهدي وهم وارثوا
نور هديك اي ما كنت عليه انت واصحابك وهولاء هم العلماء الذين
هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابي الحسن الاشعري وابي منصور
الماتريدي رحمهما الله تعالى وذلك كما اخبرتنا به بتولك في الاحاديث الصحيحة
لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم
امر الله وهم على ذلك اي وهولاء هم اهل علوم الشريعة والامة من اهل
السنة لان الناس مع وجودهم امنون من كل محنة وضلالة وفتنة وبتولك
ايضا العلماء ورثة الانبيا لان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا
العلم فمن اخذ اخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية زيادة يحبهم اهل
السموات ويستغفر لهم الحيتان في البحر وفي اخري وانما العالم من عمل بعلمه
وفي اخري اقرب الناس من درجة النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
ورواية علماء امتي كانبياء بني اسرايل لا اصل لها ولكن معناها صحيح

لما تقرر ان العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود
اي في العلم والحكمة والنبوة والرسالة ومنه فهب لي من لدنك وليا يرثني
للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة واشار الناظم
بما ذكر الى ان الله تعالى خص هذه الامة في التوراة بخصايص لم يعطها لغيرهم
تكرمة لنبيهم وزاد في شرفهم منها كما في حديث ابي نعيم ان موسى لما راي
مدح هذه الامة في التوراة قال يارب اجعلني في الالواح امة هم الاخرون
السابقون فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد ثم ذكر ذلك مع اوصاف
اخر وكرر جوابه لذلك قال يارب فاجعلني من امة احمد فقال اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي الايه فقال رضيت يارب وفي رواية انه سال ربه
هل في الامم اكرم من امتي فبين ان فضل امة محمد على امم سايرالانبياء
كفضله على سايرخلقه ومنها ان احدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها
الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنايم وان كل ارض يصح
الصلوة فيها ويجوز جعلها مسجدا لا محل سجد الضار ومجموع الصلوة
الخمس والتامين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع لخبر به رواه البزار
والطبراني ومنهم قال جمع مفسرون ان صلوة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا
اركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين وان صفوفهم في الصلوة كصفوف
الملايكه رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة في يومها ورمضان
عند الجمهور فالتشبيه في الاية لمطلق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا في
سنده مجهول ونظر الله اليهم اوله وتزيين الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب
من المسك واستغفار الملايكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم اخر
ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا باس بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان
خصالم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه
البزار وتاخير السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام

الى الهجر والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد ابن جبير ورفع اثقال التكليفات
التي كانت على من قبلهم كحتم القصاص حتى في الخطا وقطع الاعضاء الخاطيه
وموضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمواخذة بالخطا والنسيان وما
وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله تعالى لم يجعل عليهم في دينهم من حرج
وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي اعتمده ابن الصلاح وغيره
خلافه وان شريعتهم اكمل من سايرالشرايع كما ان نبيهم اكمل الانبيا وقد كان لموسى
وشريعته من الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا
اعتدل فيها الامران فلمت عن شدة تلك ولين هذه واعتدلت في جميع جزيياتها
ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس واعطاهم
مرتبة الشهادة على من سبقهم في القيمة فاقامهم مقام الانبيا في الشهادة عليهم
وكمل لهم المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم ما فرق في الانبيا ولكتابهم ما فرقه في
الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما في الحديث المشهور واسانيده كثيرة وسواء
متعدد من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي حديث ضعيف
منقطع لاختلاف اصحابي لكم رحمة وفي رواية امضى كلام الخطابي ان لها اصلا
عنده وبه يزعم كثير من الائمة ان لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس وان
الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم اخبر به رجاله ثقات وانهم حفظوا
اثار رسولهم على قوانين علم الحديث ما لم يوجد نظيره في امة وان فيهم اقطابا
واوتادا ونقبا ونجبا وابدالا كما جا في الحديث في الابدال ونحوهم وانهم يحشرون
من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول
من ينشق عنهم الارض رواه ابو نعيم وسيمزون يوم القيمة بالغرة والتحجيل
من اثار الوضوء رواه البخاري ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة و
تكونون مع نبيهم على كرسي شرف الموقف لغبطتهم فيه جميع الامم رواه جماعة
ويميزون بسماء السجود في وجوههم قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي بياض

شديد

شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال الله تعالى
سيماهم في وجوههم من اثر السجود الايه وقيل هذا في الدنيا وعليه قال
ابن عباس السمت الحسن او السمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه
من اثر السهر ويوتون كتبهم بايمانهم كما صح به الخبر رواه احمد وغيره ويسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة
ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين واية وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخة
او في حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان
زاد الطبري والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا قال

فانفضت اي الانبيا وابانك في الناس ما لهن انقضاء

فسبب ان في الامة وادي هذاك المخصوصين بهذه الخصايص التي لم
توجد لغيرهم من الامم **انفضت اي الانبياء** اي معجزاتهم لانتساخ
شرايعهم بموتهم وان كان من بعد موسى لعيسى انما هو مرسل بكتاب موسى
وابانك اي معجزاتك **في الناس** قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك **ما**
لهن انقضاء فيه العكس نحو ولا هن حالهم الايه ورد العجز على الصدر
اما الاولان فقد مر منهما جملة منها ما في كتب الله تعالى من ذكره ونعته
وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور
العجيبة المهولة للكفر واهله والموبذة لشان العرب كقصة الفيل
وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء
بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصادحة به صلى الله عليه
وسلم بأوصافه واستكاس الاصنام المعبودة لولادته وتظليل الغمام له في
سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار التي بعثته مما هو تاسيس لنبوته وارهاب
رسالته واما الاخيران فكثيرة جدا في كل حين تقع لخواص امته من خوارق
العادات تسبب ما دل على تعظيم قدره العظيم ما لا يحصى كما قال

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الاولياء

والكرامات الواقعه منهم اي الناس معجزات اذكل منهما خارق للعادة وانما تفترقان بالتحدي وعدمه لكنهما في الحقيقه معجزات لك حازها من نوالك اي عطايك وكرمك الاولياء وكان القياس حازوها لكنها اظهر لتبين ان مراده عنهم العايد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قالوه وينبغي ان هذا ضابط للولي الكامل وان اصل الولاية تحصل لمن وجدت فيه صفة العداله الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء ومن معجزاته المشكرة الدايمة ايضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات سببه مما لا يحصى ايضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله تعالى في البدء بان جعله اول الانبيا خلقا واجابة يوم الست جعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول ناظر الى ربه واول نبي يقضى بين امته واولهم اجابة بامته على الصراط وداخل الجنة وهم اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف ما لا يحد كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضا ولواء الحمد الذي تحته ادم فمن دونه وبالسجود اراه العرش ويفتح عليه حينئذ بما لا يفتحه عليه ولا على احد قبله ولا يفتح ايضا على احد بعده والنداء يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وقيامه عن يمين العرش الذي لم يقم مخلوق لعظمه فيه الاولون والاخرون وشهادة الانبياء على امهم تنبيه علم مما تقرر ان الكرامة ظهور امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرف بديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جا به والا فمتى استدراج

او

او سحر او اضلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله انه جاء اعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحه ايضا وتسمى لها انه وقد نظهر الخارق على يد عامي تخلصا له من الفتنه وتسمى معونه وانكر جماعة محرومون كالكثر المعتزله وان وافقهم بعض منا لكن بتعين تاويل كلامه لان جلالته تابى ذلك ان رضى بهذا الزيف الذي انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه قيل يمتنع كونها من جنس معجز نبي والا لالتبست بالمعجزة وردها الفخر الرازي بان المرضى بجوز من جملة خوارق العادات في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء النبوة وكانه لم يرض قول جماعة منهم الامام القشيري رضي الله عنه لا تنتهي الى احياء ميت ولا وجود ولد من غير اب ومن ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير القران انه لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادله الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لهما ولا بدع ان يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك لبعض اتباعه اكراما له ومن ادله الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الاية وفي ولاده عيسى لاصحاب الكهف ولوزير سليمان في عرش بلقيس ونظير ذلك وزعم انها الرخاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون به سلمناه هو لا يمنع تسميته ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل احادا في كرامات الصحابة لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله عنهما وتابعيهم ومن بعدهم الى زمننا هذا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبيا ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا اشياء حتى منها من انفسهم ومشايخهم وكثير ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقه خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في المعجزة على ان الكثير منها لا تنافي قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على غير الانبيا لا يخل بقدرهم بل يزيد في جلاله اقدارهم والرغبة في اتباعهم

حيث نالت امهم وابناءهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم ومما مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من يعلم ان الكرامة لا تشتبه بالسحر اصلا لانا نتكلم في حال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عيانا كدمي حمارا ولا قلب طبيعة مخالف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد قال الجمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز في حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الاية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه الى اخره بل الغيب ان غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفي في هذا الكل فرد من المخلوقين اذ مدلول العام كليه لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم فيه لتحمل الاية عليه باق على حقيقته اذ المغيوب كلها لم يطلع الله عليها احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه منهم على جزيئات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضروري بوقوع الكرامات للانبياء والاولياء تعين ان المراد من الاية غيب مخصوص اي لا يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضاه من رسوله واما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ما حكي عن بعض الكرامية ان الولي قد يبلغ درجة النبوة وان الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالي وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر ذلك في الدين اشد وليس من اولياء العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحبوي محي الدين بن عربي وسراج الدين عمر بن الفارض قدس الله سرهما وابتاعهما خلافا لمن زل فيهما قدمه وطعن قلمه الا ان يكون المراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عبارتهم

المتبادرة

المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم قال

ان من معجزاتك العجز عن وصفك اذ لا يحد الاحصاء

ان تاكيد لتوله ما لهن انقضاء من معجزاتك الباهرة العجز من سايس الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اي عن الاحاطة بكل فرد فرد من اوصافك التي اختصك الله بها اذ لا يحد اي الوصف المذكور الاحصاء اي العد قال

كيف يستوعب الكلام سجاياك وهل تنزح البحار الركاء

كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك سجاياك اي ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضايل والاوصاف البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقي اليه وهي لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى في مراتب القرب في الحياة وبعد الممات وفي الموقف وفي الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضاء وهل تنزح البحار المشبهة اوصافك بها في ان بتلك قيام الوجود الحسي وبهذه قيام الوجود المعنوي لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى في امداده الركاء المشبهة بها الالفاظ ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهايه وهذا تذييل سيق بما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى اخره لا تحد ولا تحصى وسيزيد ذلك بيانا وايضاحا انه

ليس من غاية لوصفك ابعيها وللقول غاية وانتهاء

ليس من غاية لوصفك اي توجد حتى اني ابعيها اي اطلبها وللقول اي مني غاية لما تقرر ان ذلك الترقي لا نهاية له اذ لا مطمع في الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناهي وبهذا اعني قولي مني او لا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار اليه الشارح من اشكال في ذلك وانتهاء تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتباري

ومما يزيده بيانا وايضاحا ايضا ان يقول

٤٤٨ انما فضلك الزمان وايامك فيما تعده الاناء

انما فضلك اي فضايلك الزمان اي يشبهه من حيث الاعمال فيها واما بالنسبة للتفضيل فجزيات كل جزيات الاخر واذ اماتك اي معجزاتك وخصايصك فيما تعده الاناء جمع انا كمعا ومعا كذا ذكره التاج والذي في القاموس والانا ويكسر والانو بالكسر الوهن والساعة من الليل او ساعة مامنه والانا كعلى والاكل النهار امتى والمراد هنا مطلق الساعات اي اللحظات فكما ان هذه لاتحد فكذلك تلك هذا ولاتظن باطالتي في هذه القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم لخالف ماقدمته لها لاتعداد اني قال

٤٤٩ لم اطل في تعداد مدحك تطبيقي ومرادي بذلك استقصاء

لم اطل في تعداد مدحك فيها تطبيقي والحال ان مرادي بذلك استقصاء اي حصر لاوصافه وانما مرادي بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثنا الذي هو منقطع هنا قال

٤٥٠ غير اني ظمان وجد ومالي بقليل من الورود ارتواء

غير اني لم ارد الحصر لكني ظمان وجد اي بي من شدة شوقي لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتوا من سماعها وما اي ليس يحصل لي بقليل من الماء الذي استريه حال الورود منه ارتواء مما بي من العطش فاطالتي في التعداد لطلب مزيد الارتوا من سماع تلك الاوصاف لالطلب حصر لتعدده في كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتعداد الايات وذكر افضل الصفات بظما شديد لايرويه الا الماء الكثير ثم لذلك بذكر الورود والارتوا قال

٤٥١ فسلام عليك تترى من الله وتبقى به لك الباواء

فبسبب حصول الارتوا من تلك الاطالة اختمها بما هو المتعين من الدعا بالصلوة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام عظيم شريف اي سلامة من كل افة ونقص كاينة عليك تترى اي تتابع بعضه بعضا ايما وفي القاموس ترى يترى كرمى تراخى واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين فترة انتهى وقد تشكل على استعمال الناظم تترى هنا مما ذكر الا ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوي الى ماهو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغنا بفهم ذلك الخصوص او العموم منه من قرينة للمقام والسياق فتامله من الله وتبقى به اي بسببه على ممر الازمنة الى تنابها وما بعد ذلك مما لاينتهي لاخر لك الباواء اي الفخر لان تسليم لتلك عليك مع التكرار والدوام زيادة في شرفك وفخرك انما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى شرفيه وسلامك ثابتا لانك في الحقيقة لايكاد يثبت سلام لمخلوق غير سلامك على نفسك فحينيذ قال

٤٥٢ وسلام عليك منك فما غيرك منه لك السلام كفاء

وسلام عليك منك فما اي ليس غيرك من المخلوقين منه متعلق بالسلام لك متعلق بكفاء السلام ولك بمعنى عليك كفاء اي مكافي لحضرتك من المكافاة وهي المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحظ بفضايلك ومع ذلك لايطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام عليك وان لم يكافيك سلامه فمن ثم قال

٤٥٣ وسلام عليك من كل ما خلق الله لتحيي بذكرك الاملاء

وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل نام وجامد وفي نسخة من الاولى غلبت لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد وله

يسجد من في السموات وانما حيث فهذا العموم **لحتى يذكرك الاملاء**
جمع ملاء وهو الجماعة وبالغ الناظم رحمه الله حيث طلب السلام
عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سايرالمخلوقات ليجتمع
له صلى الله عليه وسلم سايروجود السلامة فيه وفي شريعته وامته
وجميع اثار لاجل هذا العموم الذي يوجد في السلام دون الصلوة خصه
بالذكر وتذكروا كما ذكرته في كتابي الجوهر المنظم في زيارة القبر
المكرم الذي لم يصنف في هذا الباب مثله في ايثار الزايرللسلام
تكرره دون الصلوة مايوخذ منه ماذكرته فتامل ﴿ **قال**

٤٥٤ **وصلوة كالمسك تحمله مني شمال اليك او نكباء**

وصلوة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله ومنك ومن كل
مخلوق نظير ما مر في السلام **كالمسك** في الطيب والنفع البالغ **تحمله**
اي ذلك المسك الذي هو عين صلوتي **مني شمال** وهي التي تهب من
جهة القطب الي المغرب **اليك** حتى يتعطر الوجود بعبير وبحيي
الارواح بعبقه ومسير **او نكباء** وهي الصبا وتهب من سهيل الي
الي القطب والجنوب وتسمي الاريب وهي التي تهب من سهيل الي المغرب
والدبور وهي التي تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة
والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهي حاره يابسة
او من وراياها فهي الدبور وهي باردة رطبة او من شمالها فالشمال وهي
باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم
ولهذه الخصوصية للشمال بداء بها الناظم رحمه الله

٤٥٥ **وسلام علي ضريحك تحضل به منه تربة وعساء**

وسلام علي ضريحك اي قبرك المكرم وهو افضل حتى من الكعبة بل
من العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التي ضمت اعضاءه الشريفة

لم يكن في افراده السلام هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه
الصلوة فيما مر **تحضل** بمعجمتين اي تنيل **به منه** اي القبر **تربة**
وعساء اي لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد
البالغ في النفع وهو استعاد مصرحه وخيل له بذكر تحضل **قال**

وثناه قدمته بين يدي نجواي اذلم يكن لدي ثراء ٤٥٦

وثناء في هذه القصيدة **قدمته بين يدي نجواي** اي سوالي منك
بلوغ المامول الواقع في هذه القصيدة توطاجد لعاص الي اخره وفي
عزها **اذ** اي لاجل اني **لم يكن لدي** اي عندي **ثراء** بالمثلثة
اي مال اتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو
اءاشفقتم الايه وجاء انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة بين يدي
النجوي عزعلي كرم الله وجهه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب
وكنايس لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان تقدم بين يدي زيارته
صدقة والناظم رحمه الله ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء الندب
فاعتذر بانه لامال له يتصدق به بين يدي سواله وانه جعل حسن توسله
وثنايه بدل المال الذي يتصدق به **تنبيه** تفسيري لدي بعند
لانها مثلها في اكثر احكامها من كونها ظرف مكان تستعمل في الحضور
والقرب الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عندهم ان الله كتب
كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي ولا تستعمل الا ظرفا
وغير ذلك فلا يا في ذلك في انها تفارقها في كثير جر عند بمن خاصه وامتناع
جر لدي مطلقا وفي ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني وتستعمل في
الحاضر والغايب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدي لدن في ان ذينك
يصلحان في ابتداء غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ

ويعربان بخلافهما في لغة الاكثرين وجر لدن اكثر من نصبها وقد
لاتضاف وقد تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن
اخص من عند والبغ لانه يدل على ابتداء نهاية الفعل قال

ما اقام الصلوة من عبد الله و قامت بروحها الاشياء ٤٥٧ ع

ما مصدرية ظرفية اقام الصلوة اللغوية او الشرعية من عبد الله
والتهجد مع انقطاعه استغناء عنه بما بعد على انا لانسلم انقطاعه لان
اهل الجنة يدعون ويتعبدون كما علم من احاديث اقوار قاوغيرها لكن
للتلذذ لا للتكليف ويضر في ذلك التابيد انقطاعه مدة يبين للخبر
الصحيح لاتقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر
الصحيح ايضا لازال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم
الى ان تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء ان الله تعالى قبل قيامها
يرسل ريحا لينة فلا تمر على مومن ولا مومنة الا مات ثم تتمحض الكفرة فلا
يبقى على وجه الارض مومن ثم تقوم الساعة وما قامت اي بقيت بروحها
على ابلغ نظام واتقن احكام بروحها اي بايجاد وامداد
الاشياء اي الموجودات في الدنيا والاخرى وايدها بالاول مع انقطاعه
بفنا هذه الدار لما مر للتبرك بذكر المتعبدين اخر كلامه وبالثاني الذي
لاينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام
الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب الى استفتاح ابواب توبيته
واستمناح سوانح لطفه وهدايته جعلنا الله ممن حقق
له حقايق قربه وامداده واسعافه واسعاده ولمنا من كل فتنة
ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا انيل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم
الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم وبارك افضل صلوة

وافضل

وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا محمد وآله
وصحبه عدد معلوماتك ابدا وعلينا معهم كلما ذكرك الذاكرون
وغفل عن ذكرك الغافلون امين امين امين والحمد لله رب العالمين

٩٨٩ فرغ من تعليقه نهار الاربعاء المبارك سابع ربيع
الاخر العبد الفقير الحقير احمد بن احمد ابي العنايا
ابن عبد الرحمن بن مكية المعروف بالعنايابي
عفى الله عنه ولمن نظر فيه ولجميع المسلمين
اجمعين والحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده
وسلم

توفي المرحوم الولد علي رحمة الله عليه واسكنه فسيح جنانه
في نهار السبت ١٥ شهر رجب الفرد من شهور سنة
٩٩٠
باسكدار وكان ذلك بالطاعون